# الأعمال الكاملة

# لبدر العبريّ

## الجزء التّاسع والثّلاثون

ربيع الثّاني – شوال [1446هـ] 2024م/ 2025م

المقالات والبحوث والرّحلات والأنشطة والأجوبة

## مقدّمة الأجزاء

الإنسان بطبعه متطوّر في فكره ونظرته إلى الحياة، فما تكتبه قبل سنوات قد لا تقبله اليوم، وما تكتبه اليوم قد ترفضه أو تتراجع عنه أو تطوّره بعد عشر أخرى، وهذا طبع الإنسان.

وما كان في هذه الأعمال حصيلة تأمل وفكر وأحداث أبقيتها كما هي، ووضعتها حسب السنوات دون تعقيب أو حذف، لذا قد يجد القارئ الكريم بعض التّناقض، ولكنه ليس تناقضا بل تطورا، كما أنه سيجد بعض التّكرار، أثبت ذلك لأنّ في الجديد زيادة لا يوجد في السّابق.

وهذا لا يعني أنّ هذه هي الأعمال الكاملة، فبعضها فقدتها مع الزّمن، وما وجدته أثبته ودوّنته لعل القارئ الكريم يجد لي من العذر والتّقويم، وبالله التّوفيق.

## مقدّمة الجزء التّاسع والثّلاثين

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وبعد:

فيسرني أن أقدّم لكم الجزء التّاسع والثّلاثين من أعمالي الكاملة للفترة من ربيع الثّاني – شوال [1446هـ] 2024م/ 2025م، والّذي يتضمّن المقالات والبحوث والرّحلات والأنشطة والأجوبة، وفي هذه الفترة لا زالت أحداث غزّة ومعانتها غير الإنسانيّة من الاحتلال الإسرائيليّ، ولا زالت أوضاع السّودان واليمن وليبيا وغيرها في سوءاتها وصراعاتها الأهليّة والله المستعان، كما في هذه الفترة صدر لي والحمد لله كتاب **"إيران التّعدّيّة والعرفان"**، الطّبعة الأولى، عن الجمعيّة العمانيّة للكتّاب والأدباء – عُمان، ودار جدل – السّعوديّة/ الكويت، 2025م، والطّبعة الثّانية من الجمال الصّوتيّ من الدّارين، ونشر لي بحث "ماجد الغرباويّ: أنسنة التّراث وعقلنة النّصّ الدّينيّ"، مؤسّسة المثقف في سيدني – أستراليا، ودار العارف للمطبوعات، بيروت - لبنان 2024م، وبحث **"التّحوّلات الدّينيّة في عمان"**، طبع ضمن كتاب التّحوّل الثّقافيّ في عمان المعاصرة، تحرير: مبارك الجابريّ، ط: الجمعيّة العمانيّة للكتّاب والأدباء، مسقط، ودار جدل السّعوديّة/ الكويت، وبحث **"قراءة وصفيّة في فكر صادق جواد سليمان: قراءة من الدّاخل"**، طبع ضمن كتاب: هل نحتاج إلى الفلسفة في حياتنا؟، ط بيت الزّبير، سلطنة عُمان – مسقط، والآن ناشرون وموزعون، الأردن – عمّان، الطّبعة الأولى، 2025م، كما نشرت **مذكرات رحلتي إلى جزيرة جربة بتونس** في مجلّة المسار، الجمهوريّة اليمنيّة، السّنة (26)، العدد (76)، إبريل 2025م.

وفي هذه الفترة شاركتُ في فعاليّة: **"جماليّة التّعايش في الإسلام"**، والّتي أعدّها مجلس ابن رجب بالبحرين، بالتّعاون مع قناة أنس اليوتيوبيّة، 16 ربيع الثّاني 1446هـ/ 19 أكتوبر 2024م، كما كانت لي زيارة معرفيّة ولقاء بعلماء وكتّاب ومثقفي القطيف بالمملكة العربيّة السّعوديّة، وزيارة مركز إثراء الثّقافيّ التّابع لشركة أرامكو، 17 – 18 ربيع الثّانيّ 1446هـ- 20 – 21 أكتوبر 2024م، وشاركتُ في ندوة المدينة، الدّورة الرّابعة، بعنوان: **"الإنسان والتّعبير"**، من تنظيم المعهد العاليّ في الدّراسات التّطبيقيّة في الإنسانيّات بسبيطلة، جامعة القيروان في الجمهوريّة التّونسيّة، 29 – 31 أكتوبر 2024م، حيث قدّمت بحثا بعنوان **"أنسنة التّعبير في**

**و اقع الدّولة القطريّة من لاهوتيّة المدارس السّياسيّة الإسلاميّة الأولى إلى أنسنة الدّولة القطريّة المعاصرة"**، ثمّ جولة معرفيّة في القيروان 30 أكتوبر، وسوسة 31 أكتوبر – 2 نوفمبر، والعاصمة تونس 2 – 6 نوفمبر 2024م، وشاركتُ كمستمع في مؤتمر الفجيرة الدّوليّ للفلسفة بدورته الرّابعة الّذي ينظّمه بيت الفلسفة في مقرّه بالفجيرة، تحت عنوان **"النّقد الفلسفيّ"**، 21 فبراير 2023م – 23 نوفمبر 2023م، وكانت لي رحلة معرفيّة إلى البحرين لأجل تدوين رحلات الكاتب القوميّ العمانيّ حسين حيدر درويش، والّتي نشرها في صحيفة صوت البحرين عام 1953م بعنوان: **"أوروبا كما رأيتها"**، وزيارة فعاليّات "ليالي المحرّق" من الأربعاء 25 ديسمبر - الاثنين 31 ديسمبر 2024م، وشاركتُ في ندوة: **"عُمان ومصر: الوئام الأزليّ"**، في معرض القاهرة الدّوليّ للكتاب (56)، حيث عُمان ضيف شرف، وقد قدّمتُ ورقة بعنوان: **"العلاقة الثّقافيّة بين عُمان ومصر"**، في الثّالثة والنّصف بتوقيت القاهرة، الثّلاثاء: 28 رجب 1446هـ/ 28 يناير 2025م، وتبعتها برحلة استكشافيّة ومعرفيّة إلى أسوان وبلاد النّوبة في مصر، من الجمعة 30 رجب 1446هـ/ 31 يناير 2025م إلى الأربعاء 5 شعبان 1446هـ/ 5 فبراير 2025م، ثمّ رحلة استكشافيّة ومعرفيّة وأداء عيد الفطر في هانوي عاصمة جمهوريّة فيتنام الاشتراكيّة، من الثّلاثاء 25 رمضان 1446هـ/ 25 مارس 2025م، وحتّى الاثنين 1 شوال 1446هـ/ 31مارس 2025م، بجانب العديد من اللّقاءات التّلفزيونيّة والإذاعيّة.

وبالله التّوفيق.

بدر العبريّ

الموالح الجنوبيّة – ولاية بوشر

في مساء الخميس 24 ذو القعدة 1446هـ/ 20 مايو 2025م

## أولا: المقالات

### أبو محمّد الجولانيّ وتطوّر مفهوم الدّولة في الحركات الجهاديّة[1]

من المعلوم أنّ الحركات الجهاديّة منذ القاعدة وحتّى تنظيم الدّولة الإسلاميّة (داعش)، والّذي تأسّس على يد أبي مصعب الزّرقاويّ، حيث غايته في الابتداء وفق أدبيات روائيّة منها ما يتعلّق بأشراط السّاعة، وهو قيام دولة إسلاميّة ابتداء في العراق والشّام، ثمّ تمدّد الدّولة لمناطق أوسع لأجل عودة الخلافة الإسلاميّة من جديد، ولئن ولدت القاعدة ابتداء في خضم مواجهة الاتّحاد السّوفييتيّ في أفغانستان، ثمّ تطوّرت في صراع مع الأمريكان، إلّا أنّهم تبنوا مفهوم الخلافة، وضرورة تحرير البلاد العربيّة وعلى رأسها الحجاز من الهيمنة الأمريكيّة، وإقامة خلافة إسلاميّة فيها، ولهذا تبنوا من التّسعينات عدّة عمليات (إرهابيّة) في المملكة العربيّة السّعوديّة خصوصا.

هذه الحركات الجهاديّة تبنت الجناح المتشدّد الّذي ولد في الأساس من رحم حركة الإخوان المسلمين، وإن كان الإخوان المسلمون تبنوا في الابتداء ضرورة عودة الخلافة الإسلاميّة، بيد أنّ مفهومهم حول الدّولة الوطنيّة في الابتداء ليس واضحا، إلّا أنّه تطوّر لاحقا إلى تبني أسلمة الدّولة الوطنيّة، مع الاستفادة من الأدوات المعاصرة في تطوّر الدّولة، وإن كانت أدوات علمانيّة أو غربيّة، حيث ولدت فيها العديد من القراءات، منها المنفتحة بشكل كبير على الأدوات العلمانيّة، ومنها من مال إلى التّزاوج مع الفكر السّلفيّ المتشدّد، والرّافض لأي انفتاح حول المفاهيم المعاصرة، واستندوا كثيرا إلى أدبيات ابن تيميّة (ت 728هـ)، مع محاولة تطبيق مفهوم الحاكميّة كما عند أبي الأعلى المودودي (ت 1979م) وسيّد قطب (ت 1966م) بصورتها الحرفيّة، لهذا اتّجهوا إلى تكفير الدّولة الوطنيّة، واعتبار العديد من أدواتها أدوات كفريّة وولائيّة لغير الله.

هذا الاتّجاه المتشدّد والّذي ولد بعد التّعامل غير الإنسانيّ معهم في عهد جمال عبد النّاصر (ت 1970م)، وهو ما ماثله عند معمّر القذافيّ (ت 2011م) في ليبيا، وزين العابدين بن

[1] جريدة عُمان.

عليّ في تونس، وهذا مع حدث مع البعثيين في العراق في عهد صدّام حسين (ت 2006)، وفي سورية في عهد حافظ الأسد (ت 2000)، واستمر الحال في عهد ابنه بشّار الأسد، فأصبحت هذه المناطق بيئة خصبة لنمو الحركات المتطرّفة؛ لأنّه لم يكن هناك بيئة مهيئة لتفكيك بنية تفكير هذه الجماعات، وتهذّب تفكيرها، كما أنّ الوضع الاجتماعيّ والاقتصاديّ المتدني ساهم في تمدّدها بشكل كبير، أيضا توسع دائرة الاستبداد، والحكم الشّموليّ العِلويّ المطلق أعطى مناخا لهذه الحركات، وللولاءات الخارجيّة.

هذه الحركات الجهاديّة المتطرّفة لا توجد لها أدبيات متكاملة يمكن قراءتها، على عكس اتّجاه الإخوان المسلمين، حيث ظهرت لهم رموز كتابيّة كسيّد قطب (ت 1966م) وفتحي يكن (ت 2009م) ومحمّد قطب (ت 2014م) ويوسف القرضاويّ (ت 2022م)، وكذا الحال عند في الاتّجاه السّلفيّ الصّحويّ كما عند محمّد سرور زين العابدين (ت 2016م) وعبد الرّحمن عبد الخالق (ت 2020م) وسلمان العودة والحوينيّ، وهؤلاء منهم من يميل إلى جانب السلفيّة الحركيّة في شكلها الدّعويّ الأفقيّ، ومنهم من تطوّر إلى المطالبة بإسقاط الأنظمة وإقامة حكومات إسلاميّة بشكل علنيّ كما عند المسعريّ وسعد الفقيه.

بيد أنّ محمّد عبد السّلام فرج (ت 1982م) حاول في كتابه "الفريضة الغائبة" أن يبلور بشكل واضح أدبيات الحركة الجهاديّة، ابتداء من كفر الدّولة الوطنيّة بما فيها ذلك النّظام الحاكم ومن يعينهم من الاتّجاهات الأمنيّة والعسكريّة ومن يساندهم في العمل الحكوميّ؛ لما بينهم وبين الكفّار (أي أمريكا والغرب) من ولاءات، ولأنّهم لا يقيمون الشّريعة، واستبدلوها بالقوانين الغربيّة، وعليه "حكّام العصر كفّار مرتدون وعقوبتهم أشدّ"، "وأنّ إعانة الدّول الّتي لا تحكم بالشّريعة حرام، وأموالهم مستباحة بعد التّخميس، وقتالهم واجب، ولا تجوز موالاتهم"، مستندا إلى بعض ظواهر المتشابهات من القرآن، وإلى بعض الرّوايات، وبعض الآثار، مع الاقتباس من آراء ابن تيميّة خصوصا من فتاويه.

أدبيات كتاب "الفريضة الغائبة" تبلورت بشكل عمليّ عند القاعدة في أفغانستان، ولكنّها كانت في الابتداء مدعومة سياسيّا من الأمريكان وبعض دول الخليج ضد السّوفييت، ثمّ انقلبت

ضدّ الأمريكان أنفسهم، ثمّ توسعوا إلى تهديد قواعدهم في الخليج، وبعد أحداث 11 سبتمبر، ثمّ حرب العراق، اتّجه أبو مصعب الزّرقاويّ (ت 2006م) إلى تشكيل جناح للقاعدة في العراق، ولقي دعما من ابن لادن (ت 2011م) في الابتداء، بيد أنّ الثّاني يرى عدم تشتيت المقاومة، بحيث يكون الهدف هو أمريكا وقواعدها في المنطقة، إلّا أنّ الزّرقاويّ رأى تمديد حركة القتال لتشمل السّنّة والشّيعة الموالين لأمريكا، كما مارس العنف ضدّ الأقليات من قتل وسبي كالإيزيديين، مع حرق وذبح الأسرى، ممّا ولد اتّجاه جديد أكثر عنفا، وأكثر رغبة في التّمدّد لإقامة خلافة إسلاميّة، ومحاولة تجنيد أكبر عدد من الشّباب عن طريق الوسائل الرّقميّة المعاصرة، وانضمامهم إلى داعش، وإعلان البيعة لزعيمهم، وأنّه من مات وليس في عنقه بيعة (لزعيم داعش) مات ميتة جاهليّة.

في هذه الأجواء القتاليّة في العراق انضمّ السّوريّ أبو محمّد الجولانيّ، لتتقوى علاقته بالزّرقاويّ، ويكون جزءا من هذا العنف، وبعد أحداث 2011م وجدت القاعدة وفرعها (داعش) في سوريّة منطقة خصبة لتمدّدها، مستغلّة الثّورة السّوريّة، والّتي كانت أهدافها إصلاحيّه، بيد أنّ النّظام السّوريّ لم يستوعبها ويحاول احتوائها بطرق سلميّة، بل قابلها بالعنف والتّعذيب والقتل والتّشريد، ممّا خلق بيئة ساهمت بشكل كبير في خلق انشقاق وتكوّن اتّجاه ثوريّ عسكريّ من خلال الجيش السّوريّ الحرّ، بيد أنّ هذه الأجواء مهدت لتمدّد القاعدة من خلال داعش، وأصبح الجولانيّ أكبر رموزها في المحيط السّوريّ، وأصبحت من يسيطر على الجيش السّوريّ الحرّ، ولم تعد هناك ثورة في بعدها الإصلاحيّ كما في مصر وتونس ولو قادت إلى تغيير النّظام، بل أصبح النّظام في مواجهة الجماعات الجهاديّة المسلحة، وهو ذاته ما حدث في ليبيا، وإن كتب له عمرا أطول من البقاء والمواجهة قبل سقوطه هذه الأيام.

في هذه الأجواء ولدت جبهة النّصرة، أو جبهة تحرير الشّام، وزعيمها الجولانيّ ذاته، ومارست ذات العنف الّذي مارسته داعش في العراق، ثمّ حدث لها انقسامات داخليّة كجبهة فتح الشّام، وأنصار الدّين، ولواء السّنّة وغيرها، ومع محاولة الزّرقاويّ أن يبقيّ النّصرة موحدة مع داعش العراق، ومع الصّراعات بينها إلّا أنّ جبهة تحرير الشّام سيطرت على الوضع العام،

وأصبح مركزها محافظة إدلب، وسميت بحكومة الإنقاذ، وهنا بدأت تغيّر أدبياتها، وتبتعد عن تطرّف داعش إلى شيء من الاعتدال، فاعترفت بالأقليّات، كالدّروز والمسيحيين والنّصيريين، وضرورة إقامة دولة وطنيّة لها دستورها تستوعب الجميع، ولم تستخدم مصطلحات التّكفير بصورة كبيرة، ولا وسائل العنف، وأعطت مجالا رحبا لمن يريد حتّى من النّظام ذاته وعسكره أن يلقي سلاحه، وينظمّ إلى الثّورة، فلا يقتل، ولا يتبع أن أدبر، مع حضور مفردات الإنسان والتّنمية والبناء والعدالة والحرية والمساوة، وأنّها ضدّ الطّائفيّة، وضدّ الولاءات الخارجيّة، وأنّها ثورة سوريّة ليست غايتها التّمدّد، بل غايتها بناء سورية.

هذه الأدبيات غدت واضحة في خطابات ومقابلات الجولانيّ، والّذي أظهر اسمه الحقيقيّ أحمد الشّرع، ممّا لقي حاضنة خارجيّة ودعما دوليا أجبر بشّار الأسد إلى التّنازل والخروج من سورية، وإقامة نظام جديد، والّذي أرجو أن يبقى هذا النّظام عند مبادئه، وأن يحقّق دولة مدنية تستوعب الجميع، وأنّ لا تكون مجرد شعارات للوصول إلى الحكم، ثمّ تتحوّل إلى دولة لاهوتيّة ماضويّة مغلقة ترفض التّعدّديّة، وتمارس الاستبداد الفكريّ والدّينيّ، فهذا يؤدّي – لا قدّر الله – إلى صراعات أهليّة، كما أرجو وجود دستور يحمي الحريّات، ويعنى بالإنسان السّوريّ، ويكون هو مدار التّنميّة، وأن يكون مداره الولاء للوطن وليس لاتّجاهات خارجيّة، فآن لهذا الشّعب أن تحقّق كرامته وحقوقه في بلده، فسورية لها فضل كبير على العالم الإنسانيّ والعربيّ قديما وحديثا، فهي بلد السّريان، لغة العلم والمعرفة قبل العربيّة، كما أرجو لها أن تتخلّص من الأفكار المتطرّفة، وأن تعنى بالإنتاج والعلم والإبداع والفنّ كما كانت وستكون بعونه تعالى.

## أحداث سوريا وحقّ تقرير المصير[2]

الحديث عن سورية اليوم ليس حديثا سهلا، والّذي يتحدّث من الخارج ليس كالّذي يعايش الوضع، ولا شكّ أنّ وجود فراغ في السّلطة ليس هينا، ويجعل أوضاع البلد ليست مستقرّة، كما أنّ آثار التّغيير لا تستقرّ في يوم وليلة، وقد قلت في مقالة لي في جريدة عمان الأسبوع الماضي، والّذي بعنوان "أبو محمّد الجولانيّ وتطوّر مفهوم الدّولة في الحركات الجهاديّة": "الّذي أرجو أن يبقى هذا النّظام عند مبادئه، وأن يحقّق دولة مدنية تستوعب الجميع، وأنّ لا تكون مجرد شعارات للوصول إلى الحكم، ثمّ تتحوّل إلى دولة لاهوتيّة ماضويّة مغلقة ترفض التّعدّديّة، وتمارس الاستبداد الفكريّ والدّينيّ، فهذا يؤدّي – لا قدّر الله – إلى صراعات أهليّة، كما أرجو وجود دستور يحمي الحريّات، ويعنى بالإنسان السّوريّ، ويكون هو مدار التّنميّة، وأن يكون مداره الولاء للوطن وليس لاتّجاهات خارجيّة، فآن لهذا الشّعب أن تحقّق كرامته وحقوقه في بلده، فسورية لها فضل كبير على العالم الإنسانيّ والعربيّ قديما وحديثا، فهي بلد السّريان، لغة العلم والمعرفة قبل العربيّة، كما أرجو لها أن تتخلّص من الأفكار المتطرّفة، وأن تعنى بالإنتاج والعلم والإبداع والفنّ كما كانت وستكون بعونه تعالى".

ثمّ لا نريد أن نكون أوصياء على المجتمع السّوريّ، فمن حقّ هذا الشّعب أن يهنأ ببلد يحتويه، ومن حقّه أن يعالج ذاته بذاته، فلسنا بأعلم منه بحاله، والّذي نريده لا أكثر أن نحترم قراره، وأن نسعد بأيّ إحياء واستقرار فيه، فمن أبجديّات قوانين قيام الدّول الوطنيّة واستقرارها هو حقّها في تقرير مصيرها، وهذا ما نصّ عليه ميثاق الأمم المتحدة، كما ينصّ على حريّة الشّعوب في "تقرير مركزها السّياسيّ، وحريّته في السّعيّ لتحقيق نمائها الاقتصاديّ والاجتماعيّ والثّقافيّ"، وهذا يتناسق كليّا مع أحقيّة الشّعب السّوريّ في حقّه في تقرير مصيره، واختيار النّظام الّذي يريده.

[2] جريدة عُمان.

لهذا في نظري، علينا أن نترك المرحلة للشّعب السّوريّ أن يقرّر كلمته، وأن نحترم قراره، كأيّ شعب آخر في العالم، وهو يعاني اليوم الأمرين، خلاصه من وضع استبداديّ عانى منه لأكثر من نصف قرن، حيث كان مستبدّا شموليا، وكما قيل بمقدار تمدّد وقوّة الاستبداد تكون الآثار المترتبة للخلاص منه أشدّ أثرا سلبيّا، من دماء وتهجير وسجن ونفي، وهذا ما حدث في سوريا، فمنذ أحداث 2011م وحتّى اليوم، لم يكن هناك احتواء حقيقي للمطالبات الإصلاحيّة، والّتي لم يستوعبها المستبدّ، فتطوّرت إلى الجيش الحرّ، لكنّها ما لبثت أن انحرفت، فركبت موجتها مخابرات ودول خارجيّة، وفي الوقت نفسه تمكنت داعش وبعض الجماعات المتطرّفة أن تركب موجتها، فلم تكن هناك رؤية إصلاحيّة واضحة، بقدر ما كان هناك غرس لتوجهات يمينيّة متطرّفة، ممّا أدّى أن يتحالف مع النّظام المستبدّ ذاته مخابرات ودولة خارجيّة، فأصبحت سوريا ليست دولة وطنيّة خالصة، بل أصبحت ميدانا لصراعات خارجيّة وطائفيّة معا، فالمعارضة محسوبة على السّنّة، والنّظام محسوب على العلويين (النّصيريين) الشّيعة، كما أنّ المعارضة محسوبة على التّحالف الغربيّ والتّركيّ وبعض الدّول العربيّة والخليجيّة، والنّظام محسوب على التّحالف الشّرقيّ المتمثل في روسيا وإيران، فليس هناك أيّ ضوء لوطنيّة سوريا ولو من بعيد يمكن التّمسّك بخيطه، لعلّ التّغيير والإصلاح يكون بأقلّ التّكاليف، ولكن كما أسلفتُ يصعب تحقّق ذلك إذا تمدّد الاستبداد واستحكم جميع مفاصل الدّولة.

والأمر الثّاني مستقبله المجهول أمام واقع ثوريّ وتغييري أعطاه شيئا من الأمل واقعا، لكنّه أيضا يحمل شيئا من التّوجس والخوف مستقبلا، فسوريّة كدولة وطنيّة هي واحدة كذات أيّ دولة أخرى في العالم، لكنّها تحمل أيضا تعدّديّة وانتماءات مختلفة، ففيها أعراق مختلفة من العرب والسّريان والآراميين والكرد والأرمن والشّركس والتّركمان والشّيشان والرّوم وغيرهم، وهؤلاء يحملون لغات عرقيّة مختلفة، وعادات وتقاليد وفنون متباينة، فضلا عن الأديان والمذاهب، فإذا كان الغالب هو الإسلام فإنّ المسلمين ليسوا على صورة واحدة، فغالب أهل سورية من السّنّة الأشاعرة، وفيهم سلفيون صفاتيون، وفقها فيهم الأحناف والشّوافع والحنابلة، وفيهم العديد من الطّرق الصّوفيّة، وفي مقابل السّنّة هناك الشّيعة الإسماعيليون

السّبعيون، والشّيعة الدّروز الموحدون، وهؤلاء انبثقوا من الإسماعيليّة، وهناك الإماميّة الاثنيّ عشريّة، كما تعتبر مركزا للشّيعة النّصيريّة، وهم اثني عشريّة أيضا، يتباينون في محمّد بن نصير العبديّ فيراه النّصيريون بابا للمهديّ في الغيبة الصّغرى، ولا يرى ذلك الإماميّة، حيث يعتقدون أنّه كان ينوب عن الإمام المهدي سفراء أربعة ليس من بينهم العبديّ.

وأمّا عن الأديان فهي وإن غلب عليها الإسلام كما أسلفت، بيد فيها أيضا اليهود والكنيسة الآشوريّة أو الكلدانيّة المعروفة قديما بالنّساطرة، وفيهم الأرثذوكس السّريان والرّوم والموارنة، وفيهم الكاثوليك السّريان والرّوم والأرمن، وفيهم البروتستانت والإيزديون والبهائيّة وغيرهم، وإذا جئنا إلى الاتّجاهات المعاصرة فيهم أيضا العلمانيون والإنسانويون واللّبراليون وغيرهم من الاتّجاهات الفكريّة والسّياسيّة.

لهذا طبيعيّ أن يشعر اليوم أصحاب هذه الأقليات والتّوجهات الأخرى بحالة من التّوجس والخوف، فسوريّة لم تتكوّن قبل خمسين عاما وقت حكم الأسد، بل هي موغلة في القدم، وكانت مركز المعرفة خصوصا وقت نبوغ السّريان، فصعود طائفة تتبنى الفكر السّلفيّ المتشدّد ستعتبر – إن لم يكن هناك مراجعات – هذه الأقليّات إمّا مشركة ليس لها خيار إمّا الإسلام أو السّيف، أو يعتبرونهم أهل كتاب ذمّيين يوجبون عليهم الجزيّة، فداعش العراق اعتبرت الإيزديين مشركين، مارست فيهم القتل والسّبيّ، كما أنّ التّيارات المتشدّدة ترى المتوسلين بالقبور السّنّة المتصوّفة، أو الشّيعة عموما؛ تعتبرهم مشركين قبوريين، وهذا ما نراه – إن صح ما ينشر – من هدم الأضرحة والمزارات، وهذا قد يؤدّي إلى صراعات أهليّة طائفيّة، كما أنّ التّيارات المتشدّدة لا تقبل بالتّعدّديّة الفكريّة، والقراءات الدّينيّة الجديدة، وتنظر إلى المرأة إلى إنّها في منزلة أقل، وقد تفرض عليها لباسا معينا، وهذا سيؤدّي إلى تراجع الحريّات، ويؤثر هذا في الاستقرار الاجتماعيّ، والتّقدّم العلميّ والمعرفيّ، لضيق دائرة الإبداع والحرّيّات.

ما أسلفت ذكره يجعل الوضع الحالي في سوريّة، وقد قرّرت تقرير مصيرها؛ أن تؤسّس دولة وطنيّة تسع الجميع، تتجاوز الماضي إلى الحاضر، وتتجاوز الأيدولوجيّات الضّيقة إلى سعة المواطنة، وأن يكون الدّستور حافظا للتّعدّديّة، حتّى لا تخرج من استبداد وتدخل في استبداد

آخر، فإن كان الأول باسم البعث أو القوميّة، فلا يكون الثّاني باسم الدّين أو المذهب أو الإسلام، فالقوميّة قامت لبعث كرامة الإنسان وحقوقه وحرّيّاته في دولة المواطنة، وكذلك الأديان جاءت لتقرير ذلك، فلا ينبغي جعلهما لباسا للوصول إلى السّلطة، فلا استقرار في العالم اليوم إلّا بدولة وطنيّة ولاؤها للوطن لا للخارج، والنّاس فيها سواء، عقولها تفكّر لإحياء واقعها، وعمارة حاضرها، والرّقيّ لأجل مستقبلها، وهذا ما نرجوها لها وللمجتمع الإنسانيّ.

## التّعدّد الثّقافيّ في بناء مجتمع عمانيّ متسامح[3]

المجتمعات بطبيعتها ليست على صورة واحدة، فلا يوجد هناك هويّة ثقافيّة واحدة بالمعنى الحرفيّ، نعم، قد تشترك في خيوط جامعة بينها، لكنّها من حيث الابتداء متباينة فيما بينها، ومنها المجتمع العمانيّ، فهو ليس على صورة وهويّة واحدة، ويعود ذلك إلى أسباب مختلفة، منها تباين التّضاريس في عمان، فمن البحر إلى السّهل والجبل والصّحراء والبادية والواحات، كما أنّ الانفتاح البحريّ في عمان، وفرت للعمانيين سهولة الهجرة والانفتاح على الخارج منذ القدم، فانفتحوا على حضارات بين الرّافدين والسّند وفارس وشرق آسيا، وأجزاء كبيرة من أفريقيا، كما حدثت هجرة عكسيّة أيضا إلى عمان، وامتزجت في المحيط العمانيّ، فكما أنّ هناك قبائل مهاجرة إلى الخارج، ولا زال لها وجود في المناطق الّتي أشرنا إليها، هناك من القبائل من استقرت في المحيط العمانيّ أيضا، وأصبحت جزءا من الهويّة العمانيّة الجامعة من حيث الانتماء الكلّي والمواطنة.

هذا جميعه شكّل لوحة ثقافيّة متباينة ومتعدّدة في عمان، فهناك لغات مختلفة، من الكمزاريّة والشّحريّة والمهريّة والبطحريّة والحرسوسيّة والبلوشيّة والأورديّة والفارسيّة والهنديّة السّنديّة وغيرها، بجانب اللّغة العربيّة الأم، وهي اللّغة الجامعة بين الكل، وهناك أيضا لهجات متباينة ومتعدّدة في عمان داخل اللّغة العربيّة نفسها، لها جماليّتها الصّوتيّة، ولها خصوصيّاتها المعجميّة.

كما شكّل لوحة جميلة من التّعدّديّة الثّقافيّة في العادات والتّقاليد، بما فيها الفنون المختلفة، المرتبطة بالأفراح والأعراس والمواسم الدّينيّة وسفر البحر والحجّ ومواسم الأعياد وغناء الأطفال والرّكبان، فضلا عن التّعدّدية في الملبوسات والمطعومات وبعض طرق الحياة وتقاليدها.

[3] جريدة عُمان.

أيضا الانفتاح الّذي عاشته عمان بسبب البحر والهجرة سابقا، وبسبب العمل والسّياحة حاليا؛ أوجد تعدّديّة دينيّة ومذهبيّة، كما أنّ الانفتاح الفكريّ والمعرفيّ اليوم أوجد تعدّديّة معرفيّة وفكريّة، فنحن اليوم أمام فضاء مفتوح افتراضيّا وواقعيّا، فطبيعيّ أن تهاجر إلينا بعض الثّقافات المعاصرة، وهذا يعطي تنوعا ثقافيّا أيضا في الوقت ذاته.

كذلك التّأريخ الّذي مرت به عمان، وحضورها لآلاف سنين مضت، أوجد تعدّدية ثقافيّة في العمارة والمخطوطات والآثار البنائيّة، كالحصون والقلاع والأفلاج والقبور والأسوار والأدوات المعدنيّة والنّحاسيّة والفخاريّة والصّناعات التّقليديّة والخطوط والنّقوش وغيرها، فضلا عن أدوات الرّعي والبحر والتّنقل ونحوها.

التّعدّديّة الثّقافيّة ليست حالة سلبيّة، هي حالة طبيعيّة، منها ما تنقرض أو تضمحل، ومنها الّتي تهاجر إلى الخارج وتتفاعل مع مجتمعات أخرى، ومنها ما يُستقبَل لتتفاعل مع مجتمعاتنا، وتتثاقف مع هويّاته، ومن الثّقافات والهويّات ما تتثاقف داخل المحيط ذاته، فتندمج مع بعضها، أو تشكل هويّة وثقافة جديدة.

لهذا التّعدّديّة الثّقافيّة في البلد الواحد كما أنّها تعطي لوحة جماليّة، فالجمال في التّعدّد والتّنوع؛ هي في الوقت ذاته تعطي ثراء سياحيّا واقتصاديّا إذا ما أحسن استثماره، فالسّياحة الثّقافيّة لا تقل أهميّة عن السّياحة الطّبيعيّة، كانت سياحة فنيّة أم دينيّة أم ثقافيّة معرفيّة، أم كانت سياحة في الثّقافة بمفهومها الواسع والمتعدّد، ولا يقتصر هذا عند المتاحف والمهرجانات، بل هي حالة طبيعيّة يجدها السّائح من الخارج، والسّائح من أبناء الوطن ذاته، كما أنّها تخلق فرص عمل جديدة، وتشجّع على نمو واستقرار الاقتصاد الوطنيّ، حيث كثرة السّياحة بشكل عام، والسّياحة الثّقافيّة بشكل خاص، تعطي حراكا سوقيّا واقتصاديّا في المجتمع، على مستوى الفنادق والمطاعم وسيارات الأجرة والمترجمين والقائمين بالتّعريف السّياحيّ، وعلى مستوى الشّركات الصّغيرة والمتوسطة بما تقدّمه من خدمات، ثمّ على مستوى الثّقافة ذاتها، لتتحوّل إلى عنصر متحرك مرتبط بالنّفعيّة الفرديّة والجمعيّة.

في المقابل التّعدّديّة الثّقافيّة تعطي مادّة خصبة للسّينمائيّ والفنّان والكاتب والأديب والمترجم، فحضورها مادّة خصبة في الأفلام والسّينما والمغنى والشّعر والأدب والرّواية والقصّة، وتفتح أفقا واسعا للباحث والمفكّر والفيلسوف، ويجدها خصبة أيضا المهتم بالتّوثيق والإعلام، والمعنيّ بجماليّة تعدّد الثّقافات، فتهاجر معنويّا إلى الخارج بسبب الأفلام الوثائقيّة والسّينمائيّة والغنائيّة، ويقرأها العالم عن طريق الأدب بأنواعه، وعن طريق الصّورة، والتّحليلات الكتابيّة، خصوصا إذا ما ارتبطت بالتّرجمة إلى لغات مختلفة، فهذا يشجّع أيضا على معرفة البلد وثقافاته، وتسويق ذلك في الفضاء الخارجيّ، ممّا يشجّع على السّياحة، وكما أسلفنا هذا له أثره في دعم الاقتصاد الوطنيّ.

كلّ ما ذكرناه سلفا له قيمتان مهمتان: القيمة الأولى تحقّق النّاحية الجماليّة، والقيمة الثّانيّة تحقّق النّاحية التّعايشيّة والتّسامحيّة، فإذا كان الجمال في التّنوّع، فكذلك الوحدة كامنة في التّعدّد، فكلّما كانت المجتمعات أكثر تعدّد كانت أكثر تعايشا إذا ما أدركت أنّ تعدّدها ثقافيّا لها صورة جماليّة، وهو انعكاس لوحدة ذاتها، فترتبط المواطنة بذات الإنسان الواحدة، وارتباطها بهذه الذّات يجعلها تحترم تعدّديّتها الثّقافيّة، وفي الوقت ذاته تستثمره إيجابا في الأبعاد الوطنيّة والاستثماريّة والسّياحيّة.

وعمان تحقّق فيها هذا لثلاثة أبعاد: الأول البعد الذّاتيّ والتّأريخيّ الّذي خلق في أفرادها بعدا انسجاميّا متقبّلا للآخر وثقافته وخصوصيّاته، من ذلك ما ذكره زكريا المحرمي في مقالته في مدونته "عمان من التّسامح إلى الانسجام" أنّ المبشر الإنجليزيّ ويليام جيفورد بالجريف (ت 1888م) في زيارته لعمان عام 1863م قال عن العمانيين: "هم بطبيعتهم دون أدنى شكّ، حسب خبرتي بهم، الأفضل سَجِيّة، والأحْسن مَعْشَرا، والأكثر أنسا، من جميعِ الأجناسِ العربيّة، التسامحُ بأقصى درجاتِه التي لا تُوجدُ حتّى في أوربّا، مَكفولٌ هنا لكلِّ الأجناسِ، والدّياناتِ، والعادات، المسلمون واليهودُ والمسيحيّون والهندوس جميعُهم يعبدون اللّه بحرّيّة حسب معتقداتِهم، ويلبسون ما يشاؤون حسبَ عاداتِهم، ويمارسون الزواج ودفنَ الموتى، والمواريث، حسبَ تقاليدِهم الخاصّة دون قيد، أو إزعاجٍ، أو مَنْع".

والبعد الثّاني تسامح سلاطينها مع المختلف، أسقط ذلك على باقي شرائح المجتمع، فلم يعهد عنهم تأريخيّا استبدادا في هذا الجانب، كما ذكر هلال الحجريّ في كتابه "عمان في عيون الرّحالة البريطانيين" أنّ الرّحالة جيمز ريموند ويلستد في حكومة السّيد سعيد بن سلطان (ت 1273هـ/1856م) من سلاطين دولة البوسعيد، وذلك لمّا زار عمان عام 1833م حيث يقول: "إنّ أهم ما تتسم به حكومة هذا الأمير – أي سعيد بن سلطان – هو بعدها عن ضروب القمع والاعتقال العشوائيّ، وسعة صدرها لكلّ المعتقدات، وتسامحها معها، وإبداؤها الكرم واللّطف الكبير لتجار أيّ بلد يفدون إلى مسقط ويقيمون بها".

والبعد الثّالث البعد القانونيّ، فقد وقفت عمان موقفا صارما لكلّ من يثير النّعرات الدّينيّة والمذهبيّة والقبليّة، ومن يسئ إلى الثّقافات الأخرى، وهذا بدوره أعطى اطمئنانة أحدثت شيئا من الاستقرار الدّاخليّ، وبمرور الوقت تحوّل إلى ثقافة تعايشيّة وتسامحيّة، فهذه الأبعاد الثّلاثة عموما أوجدت مجتمعا متسامحا من داخله، وهذا لا يعني عدم وجود مؤثرات سلبيّة حاليّة، لكنّها ليست بتلك الصّورة الكبيرة، وفي الوقت نفسه يجب قراءاتها وتفكيكها حتّى لا تتحوّل إلى ظاهرة تؤثر سلبا في الاجتماع التّعايشيّ والسّلميّ في عمان.

## البابا فرنسيس ورسالة طوبى لصانعي السّلام[4]

البابا فرنسيس أو خورخي ماريو بيرجوليو رمزيّة مسيحيّة كاثوليكيّة لكونه كان لفترة طويلة أسقفا عريقا في مذهبه الكاثوليكيّ، ثمّ أصبح حبرا أعظم (البابا) منذ 2013م وحتّى وفاته في 21 أبريل من هذا الشّهر، هذا الرّجل خرج من الأرجنتين منتميا إلى أمريكا اللاّتينيّة والّتي عانت لقرون من الاستعمار والاستبداد، وعانى حاضرها من الصّراعات السّياسيّة والفقر، فهو مدرك تماما للأنا المتمثلة في السّياسة الغربيّة عموما، والأنا السّياسيّة الأمريكيّة حاليا، وما نتج عن ذلك من حروب وصراعات منذ الحرب العالميّة الأولى وحتّى اليوم.

اختير البابا فرنسيس حبرا أعظم في فترة عصيبة تمرّ بها الكنيسة الكاثوليكيّة من جهة، وما يمرّ به العالم من صراعات سياسيّة من جهة ثانية، خصوصا في المشرق، والمشرق عموما رمزيّة لجميع الأديان في العالم، فمنه خرجت الدّيانات المقدّسة اليوم شرقا وغربا، والّتي يعتنقها غالب البشر، كما أنّ من الشّرق الأوسط خرجت الأديان الإبراهيميّة، وجميعها من مصبّ واحد، وتشترك في جوانب لاهوتيّة وطقوسيّة وتأريخيّة عديدة، وجميع هذه الأديان الثّلاثة ترى في جغرافيّة الشّرق الأوسط - خصوصا مناطق الهلال الخصيب - أنّها مرتبطة بأماكن مقدّسة لقبلتهم وحجّهم وزيارتهم، بجانب مدن وقرى ارتبط بها أنبياؤهم وقدّيسيهم.

ولا يمكن بحال فصل المسيحيّة عن الشّرق الأوسط، فهذه المنطقة مرتبطة بالمسيح والحواريين، وبالعهدين القديم والجديد، وبالأناجيل الأربعة وموعظة الجبل، وبالعشاء الأخير والصّلب والقيامة، وبكنيستي المهد والقيامة، ولا يمكن قراءة النّصوص المسيحيّة الأولى بعيدا عن هذا المكان، وقبل اعتناق قسطنطين المسيحيّة عام 313م كانت أورشليم هي الكنيسة الجامعة للجميع، يتبعها الإسكندريّة، لتكون رمزيّة مكانيّة ثانية بعد أورشليم، ثمّ تليها أنطاكيّة لتمتدّ حضارتها وحضورها من تركيا إلى فلسطين، وتظهر فيها المعارف والإبداعات السّريانيّة، هذه الكنائس الثّلاثة الجامعة لم تخرج عن الشّرق الأوسط قبل مجمع خلقودنية 451م،

[4] جريدة عُمان وصحيفة المثقف.

لتنقسم الكنيسة إلى شرق وغرب، أرثذوكس وكاثوليك، يعاقبة وملكيين، لتظهر روما ممثلة عن الكاثوليك بصورة أعمق وإن كان حضورها المسيحيّ أقدم من مجمع خلقودنية، ثمّ تهاجر رمزيّة الإسكندريّة إلى القسطنطينيّة، لتبقى روما كما هي حتّى اليوم رمزا للكاثوليك، ويتوارثها حبر إثر حبر، ويرجعون تأريخهم إلى القدّيس بطرس (ت: 67م)، حيث البابا فرنسيس هو البابا رقم (266)،إلّا أنّ الإسكندريّة بقت رمزيّة روحيّة للمسيحيين عموما، والأرثذوكس خصوصا، فهي كنيسة روحيّة جامعة، إلّا أنّ المكان البابويّ الأرثذوكسيّ انتقل إلى العبّاسيّة في القاهرة، بيد أنّهم لا يعتبرون القاهرة مجمعا كنسيّا جامعا كالإسكندريّة، والّتي توارثها البابوات حبرا إثر حبر منذ مرقس الأول (ت: 68م)، ويمثلهم حاليا البابا تواضروس الثّاني، بابا الإسكندريّة وبطريرك الكنيسة القبطيّة الأرثوذكسيّة، وهو البابا رقم (118).

هذا الشّرق الأوسط اليوم، يعاني من اضطرابات سياسيّة لم تتوقف منذ الاستعمار والتّحرّر منه، إلى نكبة فلسطين 1948م، والّتي حولت (فلسطين – القدس) المكان الّذي يشمل الأماكن المقدّسة في الأديان الإبراهيميّة (جبل جرزيم وجبل صهيون وحائط المبكى والمهد والقيامة والأقصى)، وإليه كان يحجّ الجميع بكلّ اطمئنان، ويمارسون طقوسهم، ويرونه أرض الخلاص من آلامهم، وكانوا متعايشين في تأريخهم، وإن لم تخلو بعض فتراته من صراعات وحروب، بيد أنّها ترجع من جديد إلى أمنها واستقرارها، إلّا أنّ نكبة فلسطين 1948م قلبت الأوراق، فاختلطت السّياسة بالدّين، ظاهرها حروب سياسيّة، وباطنها أبعاد لاهوتيّة وتأريخيّة، فأصبح اليهوديّ المُحارب في الغرب المسيحيّ الكاثوليكيّ لقرون خلت، ولأسباب تأريخيّة ولاهوتيّة، أصبح الغرب اليوم في قسمه المسيحيّ البروتستانتيّ الإنجليكانيّ خصوصا المنبق من الكاثوليكيّة داعما لليهوديّة الصّهيونيّة، وأصبح اليهوديّ والّذي وجد في الشّرق عموما والشّرق الإسلاميّ خصوصا ملاذا له، فكان حاضرا في الحضارة الإسلاميّة والعربيّة معرفيّا وأدبيّا وسياسيّا واجتماعيّا، بقسميه من الفريسيين والقرّائيين؛ أصبح اليوم يمارس العنف في مجازر لم تتوقف منذ النّكبة وحتّى ما بعد 7 أكتوبر 2023م، وفي منطقة حمته لقرون طويلة وحفظته من الإبادة لأسباب تأريخيّة ولاهوتيّة.

هذه الاضطرابات مع السّياسات الغربيّة في جوّها الأمريكيّ، والّتي أعلنها بوش الابن أنّها حرب صليبيّة جديدة، وباسم صليب الخلاص من الخطيئة ذاتها، وعلى رأس الخطايا القتل، وقد جاء في متّى [5: 21]: "قد سمعتم أنّه قيل للقدماء: لا تقتل، ومن قتل يكون مستوجب الحكم" أي الغضب، فكان حرب ودمار العراق 2003م، وما تبع ذلك من اضطرابات وحروب في المنطقة، تأثر بها المسيحيون عموما ومنهم الكاثوليك، فهم يشكلّون تنوعا في هذه المنطقة، وهم جزء أصيل من هويّتها، في العراق وبلاد الشّام وغيرها، هذا جميعه تناقض كليّا مع رسالة المسيح المخلّص: "المجد لله في الأعالي، وعلى الأرض السّلام، وبالنّاس المسرة" لوقا: [2:14]، نتج عن هذا هجرات إلى الغرب طلبا للخلاص والأمان، ولأجل حياة آمنة كريمة، فكثر اللّاجئون من المسلمين والمسيحيين، وتعدّدت وجهات نظر المجتمعات الغربيّة إليهم لأسباب عرقيّة ودينيّة ولغويّة، كأيّ مجتمعات قطريّة أخرى يكثر فيها اللّاجئون، ليصبح هؤلاء بين نارين: نار الحروب والفقر، ونار التّشريد والبحث عن هويّة تنظر إليهم بإنسانيّة ورحمة.

في هذه الأجواء كانت رسامة البابا فرنسيس، فهو إمّا أن يرضي مركزيّة السّياسات الغربيّة وعلى رأسها أمريكا اليوم، وإمّا أن يقف مع الإنسان، أيّا كان دينه ولونه وعرقه، فضلا عن معاناة الكنيسة الكاثوليكيّة في بعض الجوانب الطّقوسيّة والأخلاقيّة والماليّة، فآثر أن ينتصر للإنسان، وأن يتحمل تبعات ذلك، متنازلا عن العديد من المزايا الدّنيويّة من الأبهة والغنى والتّظاهر بالملك والرّياسة، ليقترب من الفقراء والمحرومين واللّاجئين، ويعلن تحوّلا إصلاحيّا جديدا في الكنيسة الكاثوليكيّة، وهي العودة إلى مركزيّة الإنسان المتمثلة في رسالة المسيح ذاته، فينظر إلى العالم أنّه بيت واحد للنّاس جميعا، تمثله آيات متّى ولوقا من وصايا المسيح: "وحين تدخلون البيت سلّموا عليه، فان كان البيت مستحقا فليأت سلامكم عليه، ولكن إن لم يكن مستحقا فليرجع سلامكم إليكم".

لم يكن البابا فرنسيس رجل كلام وبيانات، فمع قصر مدّة رسامته حبرا أعظم حتّى تنيحه (وفاته) بالمفهوم القبطيّ، إلّا أنّه جسّد ذلك إلى جانب عمليّ بعد أقل من عام من رسامته، بدأ ذلك في زيارته للأردن 2014م، ثمّ القدس والأراضي المقدّسة في الأدبيات المسيحيّة، وفي

2017م زار مصر ليلتقيّ بأهم رمزيّة سنيّة في العالم الإسلاميّ أي شيخ الأزهر أحمد الطّيّب، وبثاني رمزيّة مسيحيّة عموما، وأولى الرّمزيات المسيحيّة الأرثذوكسيّة أي البابا تواضروس الثّانيّ، وفي 2019م زار المغرب تمهيدا لبعث رسالة السّلام بين الأديان عموما، وبين المسيحيّة والإسلام خصوصا، تجسّد ذلك في زيارته إلى الإمارات في ذات العام، والّتي نتج عنها "وثيقة الإخوّة الإنسانيّة من أجل السّلام العالميّ والعيش المشترك"، ووقّع عليها البابا ذاته مع شيخ الأزهر، وسبق أن أشرت إليها في إحدى المقالات، وفي عام 2021م يدخل التّأريخ بأول زيارة بابويّة إلى العراق ليلتقي بالأقليّات فيها، وفيها زار أيضا أكبر مرجعيّة شيعيّة في العالم الإسلاميّ أي السّيّد عليّ السّيستانيّ، ليختم جولته لبعث السّلام عام 2022م في زيارته للبحرين، وقد كتبت عنها في جريدة عُمان، وفي عيد الفصح الأخير، وهو عيد الآلام والعشاء الأخير، لم ينس ما يحدث في غزّة، ليكون آخر رسالة له قبل وفاته بيوم أن يعمّ السّلام في فلسطين، راجيا أن تتوقف الحرب، وأن يطلق سراح الرّهائن، ليفارق العالم وهو يحمل رسالة بولس الرسول إلى أهل روميّة "إن كان ممكنا فحسب طاقتكم سالموا جميع النّاس"، فهل من سيأتي بعده سيحمل ذات النّهج، ويتحمل آلام ذلك كما تحمل المسيح، أم سيكون رهينا لشهوات السّاسة وأنانيّتهم.

## الحدّاديّة بين الجاميّة والحركات الجهاديّة المتطرّفة[5]

مرّ العالم الإسلاميّ منذ حالة الإفاقة في القرن التّاسع عشر الميلاديّ بمرحلتين: الأولى تتمثل في انقسام العالم إلى كتلتين، تمثلتا لاحقا في دول التّحالف والمحور، وكان ما يتشبثون به يتمثل في أمرين: الخلافة العثمانيّة ووحدة محاربة الاستعمار، ومن جهة أخرى هناك من يرى أنّ الخلافة العثمانيّة قادت الأمّة إلى الجهل والتّخلّف، ولا يمكن مقارعة الاستعمار إلّا بمحاربة الجهل، وهنا استخدم بعض المصلحين مصطلح السّلفيّة في المعنى الإحيائيّ القيميّ، أي الشّيء الّذي كان سببا في إحياء السّلف، فلن يصلح آخر هذه الأمّة إلّا بما صلح به أولها، وليس بمعنى الجمود، أو إحياء الصّراع الأول بين الصّفاتيين والمعتزلة، فنجد مصطلح السّلفيّة حاضرا في أدبيات محمّد عبده (ت: 1905)، ومحمّد رشيد رضا (ت: 1935م)، في المقابل نتيجة تهميش الأقليات، والبعد عن الجامع بالمعنى الدّينيّ، كان اتّجاه آخر في الإحياء بالمعنى القوميّ الأكبر، دون تهميش للأقليّات، أو استخدام الدّين في تبرير الاستبداد وإقصاء الآخر، فظهرت حركات اليسار، وكان فيها رجال دين تبنوها كفكر، ولاحقا كمنهج تحت مظلّة الاشتراكيّة في الإسلام.

في مقابل القوميّة والّتي قادت روحها مصر منذ أيام الملكيّة كمنهج دعوة إلى منهج سياسيّ واقتصاديّ في عهد جمال عبد النّاصر (ت: 1970م)، قابله تشكل خطاب دينيّ تحت مظلّة السّلفيّة، لقي دعما من المال بسبب انتعاش المنطقة بالنّفط، وتمثل هذا في المملكة العربيّة السّعوديّة، فمنذ ضعف حضور إخوان بريدة في عهد الملك عبد العزيز (ت: 1953م)، وبداية استقطاب الإخوان المسلمين، خصوصا نتيجة الاضطهاد في مصر؛ بدأ تشكل سلفيّة جديدة، مازجت بين معتقد السّلفيّة وأصولها التّقليديّة، وبين حركيّة الإخوان، المتمثلة ظاهريّا في الدّعوة وأسلمة الدّولة، ومستقبليّا – عند العديد منهم – قيام الخلافة الإسلاميّة، أو قيام حكومات إسلاميّة، وتحقّق الثّاني يكون بتحقّق الأول عند الفريق الأغلب، وهنا ظهرت التّيارات الصّحويّة والسّروريّة والقطبيّة وغيرها، يجمعها هذا التّمازج، بيد أنّ فريقا آخر يرى تحقّق الأسلمة لا يكون إلّا بتحقّق الحاكميّة، وقيام حكومة إسلاميّة لا يكون إلّا بقيام أنظمة حاكمة

[5] جريدة عُمان وصحيفة المثقف.

إسلاميّة، وبدأ فكرا في حاكميّة المودوديّ (ت: 1979م) وسيّد قطب (ت: 1966م)، وظهر كأول منهج حركيّ واضح عند مصطفى شكريّ (ت: 1978م) وعبد السّلام فرج (ت: 1982م) مثلا، من خلال نشوء جماعات جهاديّة متطرّفة ومكفرة، مستخدمة أدبيات ابن تيميّة (ت: 728هـ/ 1328م) وبعض السّلف، وحاكميّة المودودي وسيّد قطب، وحركيّة الإخوان في محاولة تغيير الأنظمة ذاتها.

هنا نشطت الأحزاب الإسلاميّة النّاتجة عن حركة الإخوان المسلمين، تحت مظلّة العمل الاجتماعيّ، وأسلمة الدّولة، والانفتاح على الوسائل العلمانيّة، وتبني العديد من الخطابات اليساريّة، ولكن تحت مظلّة عالميّة وشموليّة الإسلام، وليس تحت مظلّة القوميّة، كما تمدّد من الاتّجاه السّنيّ إلى الاتّجاه الشّيعيّ في حزب الدّعوة، والحركة الشّيرازيّة مثلا، ونشط الحراك الإخوانيّ الصّحويّ والحركيّ الإسلاميّ، وأصبح أكثر تمدّدا، وسيطر على الخطاب في الجامعات والكليّات، وكانت له منابره من خلال "الكاسيت"، والمنشورات والمجلّات الإسلاميّة، ولقي دعما سياسيّا في مواجهة الحركات اليساريّة، وغربيّا في مواجهة الاتّحاد السّوفييتيّ لاحقا.

هذا التّزاوج السّياسيّ بالحركات الإسلاميّة حدث له ثلاثة تشكلات في منطقة الخليج وما جاوره أثرت فيه، تشكل الجماعة السّلفيّة المحتسبة والّتي قادت إلى حركة الحرم 1979م، والخوف من تمدّد الجماعات المحاولة لإسقاط أدبيات روائيّة تأريخيّة كالمهدويّة، وتشكل نجاح الثّورة الإسلاميّة في إيران 1979م، والخوف من تمدّد تصدير الثّورة، ثمّ التّشكل المتمثل في تشجيع الشّباب للمشاركة في الحرب ضدّ الرّوس، باسم الحرب ضدّ الشّيوعيّة الملحدة، ممّا جعل المناخ أكثر تمدّدا للحركات الإسلاميّة، الصّحويّة الإخوانيّة السّنيّة كبديل عن جموديّة السّلفيّة المحتسبة، ومواجهة للتّمدّد الشّيعيّ الحركيّ، ولتأثيرها في الخطاب الجمعيّ ضد الرّوس والحركات اليساريّة والقوميّة، وفي الاتّجاه الشّيعيّ في تثوير المجتمعات، وتمدّد نظريّة ولاية الفقيه.

بيد أنّ حرب الخليج 1990م، واستعانة المملكة ودول الخليج بالأمريكان، وقيام قواعد أمريكيّة في المنطقة؛ تحول الصّراع مع الخارج: روسيا وإيران وإسرائيل، أي الشّيوعيّة والشّيعة

واليهود، إلى بدايات الصّراع مع الحكومات الخليجيّة، وعلى رأسها المملكة العربيّة السّعوديّة، خاصّة وأنّ التّمدّد الصّحويّ الإخوانيّ أصبح أكثر تأثيرا لدى الشّباب والقاعدة الأفقيّة في المجتمع من الخطابات الدّينيّة الرّسميّة، فأصبحت هذه الحكومات أمام تحدّ جديد تمثل في ذات الحركات اليساريّة، ولكن تحت اللّباس الدّينيّ الإسلاميّ، لهذا في هذه المرحلة ولد التّيار الجاميّ والّذي يوجب طاعة وليّ الأمر، وعدم جواز الخروج عليه ما لم يظهر كفرا بواحا، كما لا يجوز النّصحية لولا الأمر في العلن، لما فيه من فتنة بين النّاس، وحرمة تشكل الأحزاب السّياسيّة والدّينيّة، ولقي هذا التّيار دعما سياسيّا، وأصبح يتمدّد شيئا فشيئا، مما ظهر له تحولان: التّحول المدخليّ والّذي بالغ في الجرح والتّعديل، من بينها تجريح الرّموز الصّحويّة والإخوانيّة وكل المذاهب الإسلاميّة بما فيها الأشاعرة والماتريديّة والمتصوّفة إلى حدّ تكفير بعضهم، وتحوّل الحداديّة – أي نسبة إلى محمود أحمد الحدّاد -، وهذه توسعت من تكفير وتفسيق المعاصرين، إلى تكفير وتفسيق الأموات، حتّى داخل التّيار السّلفيّ ذاته، ولها حضور في وسائل التّواصل المعاصرة مثل: يوتيوب – تك توك – انستقرام – تلجرام وغيرها، ممّا يحدثون تأثيرا على الشّباب وصغار السّنّ، من خلال خطابات محمّد شمس الدّين، وعبد الكريم الكثيريّ، وعبدالله الخليفيّ وغيرهم، وهؤلاء بين أنفسهم تناقضات، بيد الجامع بينهم مشترك السّلفيّة الجاميّة، وتوسع التّبديع والتّكفير المدخليّ والحدّاديّ، والاشتغال بالشّخوص وتجريحهم.

هذه التّجاذبات جميعا، منذ بداية ضرورة إرجاع الخلافة وأسلمة الدّولة عند الإخوان المسلمين، وتوسيع دائرة السّلفيّة ومحاربة البدع والفرق الضّالة وعدم موالاة الكفّار، ونواقض الإسلام العشر عند السّلفيّة المعاصرة (الوهابيّة) بشكل عام، ومحاربة الأمريكان ومن يواليهم من الحكّام كما عند بعض الصّحويين والسّروريين، ثمّ التّوسع في محاربة المختلف وتبديعه، وقد يؤدّي إلى تشريكه وجواز دمه وماله كالمتوسلة من المتصوّفة والشّيعة والحركات الباطنيّة، كما عند المدخليّة والحداديّة؛ جميع هذه التّجاذبات أعطت إرثا عمليّا عند الحركات الجهاديّة، ابتداء من جماعة التّكفير والهجرة بشكل مبكر، إلى تكوّن القاعدة ومن ثم داعش وتفرعاتها.

من حيث البنية التّبديعيّة والتّكفيرية قد يجد القارئ من الخارج شيئا من التّناقض، فالسّلفيون الصّفاتيون بدأوا بتبديع من يخرج عن نظريّة الصّفات من المعتزلة والأشاعرة والماتريديّة، إلى تكفير المستغيثة والمتوسلة من المتصوفة والشّيعة والحركات الباطنيّة، مع تكفير الاتّجاهات العلمانيّة واليساريّة، بيد أنّهم وقعوا في جدل بين تكفير الأعيان، وفي الاقتصار على التّكفير بالعموم، وبين تكفير وتبديع العامّة، وبين اقتصار ذلك على الخاصّة، بما في ذلك تبديع وتفسيق رموز الحركات الجهاديّة كما عند الجاميّة لخروجهم على ولاة الأمر، وإن وقعوا في تناقض في تبرير ذلك اضطروا إلى وجود مخرج لتكفير بعضهم تكفيرا بواحا، توسع فيه الصّحويون المسعريون مثلا ككتابهم "الأدلّة الشّرعيّة في تكفير الدّولة السّعوديّة"، وضيّقه بعضهم على بعض الاتّجاهات المذهبيّة والمعاصرة كالنّصيريّة والقوميّة اليساريّة والعلمانيّة، كما أنّ توسع المدخليّة والحدّاديّة في التّبديع والتّكفير أعطى مناخا خصبا للحركات الجهاديّة المتطرّفة، كذلك ضبابيّة مفهوم الخلافة والأسلمة واستدعاء حوادث تأريخيّة كالحرق والذّبح للأسرى، والرّجم وقطع اليد لبعض العصاة، والجزية لأهل الكتاب، والسّبيّ وقتل رجالهم لمن كان خارج أهل الكتاب، أو محكوم عليه بالشّرك، هذه مفردات ضبابيّة وتأريخيّة لقت ميولا ورواجا عند هذه الحركات المتطرّفة.

سنجد اليوم دول المنطقة تعيش في اضطراب آخر، وفي محاولة متفرقة ما بين من كان مغضوبا عليهم من الاتّجاهات الثّقافيّة، ومحاولة خلق أجواء ثقافيّة تحرّريّة، وبين من يحاول خلق تيارات دينيّة تتقبل الآخر المختلف، وتحاول تعميق الأبعاد الإنسانيّة والوطنيّة، بيد أنّ هذه الحالة قد تنقلنا من اتّجاه إلى اتّجاه آخر كما رأينا سلفا، وهي وإن كانت حالة صحيّة في العديد من جوانبها، إلّا أننا بحاجة اليوم إلى تفكيك بنية الخطاب الدّينيّ ذاته، بما فيه ذلك الخطاب الدّينيّ الرّسميّ؛ لأنّه بذاته يحوي مفردات تأريخيّة مبطنة غير ممنهجة تؤدّي إلى الاتّجاه نحو هذه الحركات المتطرّفة، كما أنّ التّطرّف العلمانيّ الشّموليّ يخلق فراغا لفئة كبيرة تميل إلى التّدين، وتجد ما يسدّ رمقها في خطابات هذه الاتّجاهات، وفي المقابل نجد الرّؤية التّقريبيّة والإصلاحيّة الحاليّة في رموز الجامعات والمجامع الإسلاميّة الكبرى، ومن جميع

المذاهب الإسلاميّة، لا زالت تحاول تلميع المشترك، دون تقديم منهج نقديّ يفصلنا تماما عن تكرار مثل هذه الاتّجاهات الماضويّة والتّكفيريّة، أو يحدّ من توسعها، فكل المذاهب الإسلاميّة بلا استثناء لها سلفيّاتها قد تشترك بوجه أو بآخر مع مغذيّات الحركات المتطرّفة الحاليّة، ولا يقتصر فحسب عند السّلفيّة الصّفاتيّة.

## الدّولة الوطنيّة في العالم العربيّ وما بعد فكرة الخلافة[6]

بسقوط الدّولة العثمانيّة عام 1922م انتهت دولة الخلافة، وبدأ تكوّن الدّولة الوطنيّة القطريّة، ومفهوم الدّولة بمعناها الإقليميّ الوطنيّ التّعاقديّ تبلور بشكل كبير في الغرب بعد عصر الأنوار، وتجاوزت ما كان يرى أندروفنسنت في كتابه نظريّات الدّولة إلى أنّه يُعتقد أنّ "السّلطة كان مصدرها الله، وفي نهاية المطاف كانت الكنيسة ورجال الدّين، والّتي تمثل الكيان الرّوحيّ أعلى من السّلطات المدنيّة"، "ولم تكن الكنيسة فقط أعلى أو أكثر أهميّة من السّلطة الدّينيّة، ولكن أيضا فقد التحمت معها الكنيسة والمسيحيّة متساوية في امتدادها مع المواطنة، كانت السّياسة فرعا من اللاّهوت، وكنتيجة لذلك تمتع رجال الدّين بامتيازات، كان البابا يُنظر إليه على أنّه يجسّد الحاكم الرّوحيّ والدّنيويّ للإقليم"، الأمر ذاته في العالم الإسلاميّ، هناك ربط بين الخلافة والإمامة وبين الجانب الإلهي، فالخليفة ظلّ الله في أرضه، كما أنّ الفقيه هو الموقع عن الله تعالى.

لهذا بدأت بعض المراجعات مبكرا، وأجرأها ما قدّمه عليّ عبد الرّازق في كتابه "الإسلام وأصول الحكم"، والّذي صدر مبكرا عام 1925م، والّذي خلص فيه "بأنّ محمّدا - صلّى الله عليه وسلّم - ما كان إلا رسولا لدعوة دينيّة خالصة للدّين، لا تشوبها نزعة ملك، ولا دعوة لدولة، وأنّه لم يكن للنّبيّ - صلّى الله عليه وسلّم - ملك ولا حكومة، وأنّه - صلّى الله عليه وسلّم - لم يقم بتأسيس مملكة، بالمعنى الّذي يفهم سياسة من هذه الكلمة ومرادفاتها، ما كان إلا رسولا كإخوانه الخالين من الرّسل، وما كان ملكا، ولا مؤسّس دولة، ولا داعيا إلى ملك".

بيد أنّ طرح مثل هذه القضايا، ورغم بدايات تكوّن الدّولة الوطنيّة؛ لم يكن بتلك الإنشراحة في عالمنا الإسلاميّ والعربيّ، ولم توجد قراءات ناقدة بشكل كبير، خشية الرّهاب الدّينيّ، وتأثيره على الجانبين السّياسيّ والاجتماعيّ، ومع ذلك طرحت بعض القضايا المتعلّقة بالدّولة والحكامة حينها، وقد كان الاستعمار في النّصف الأول من القرن العشرين الميلاديّ وحد

[6] جريدة عُمان وصحيفة المثقف.

جميع الاتّجاهات، وتناغم الإسلاميون مع الاتّجاه اليساريّ والاشتراكيّ بشكل عام، لنجد كتابات إسلامية تحمل بعض مضامينها عناوين اشتراكيّة، ككتاب "التّكافل الاجتماعيّ في الإسلام لمحمّد أبو زهرة (ت 1974م)، و"اشتراكيّة الإسلام" لمصطفى السّباعيّ (ت 1964م)، و"العدالة الاجتماعيّة في الإسلام" لسيّد قطب (ت 1966م)، و"ومن هنا نبدأ" لخالد محمّد خالد (ت 1996م)، واعتبر عليّ شريعتيّ (ت 1977م) أنّ أبا ذر أول اشتراكيّ في الإسلام، فقد كانت هناك شيء من الانشراحة في التّعامل مع النّظريّة الاشتراكيّة، خصوصا في أجوائها الثّوريّة والاجتماعيّة وليس العقائديّة.

نظريّة الخلافة ظلّت عالقة في التّفكير الإسلاميّ الحركيّ، بيد أنّهم لاحقا أكثر انفتاحا على الأدوات العلمانيّة في الوسائل وليس الحاكميّة، والحاكميّة هي أسلمة الحكامة كما طرحها أبو الأعلى المودودي (ت 1979م) وسيّد قطب، ثمّ ظهر فريق آخر من التّيار السّلفيّ كفّر الدّولة المدنيّة لثلاثة أسباب كما عند محمّد عبد السّلام فرج في كتابه الجهاد الفريضة الغائبة: الأول: تعلو فيها أحكام الكفر أي تعطيل الشّريعة واستبدالها بالقوانين الغربيّة، والثّاني: ذهاب الأمان للمسلمين، إشارة إلى الاستبداد ضدّ الإسلاميين والتّضييق على أنشطتهم، والثّالث: المتاخمة أو المجاورة أي مع الكفار، وعلى هذا حكّام العصر كفار مرتدون وعقوبتهم أشدّ، ويستندون إلى نصوص ظاهريّة من القرآن مثلا: {وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ}، وبعض الرّوايات كرواية: "من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهليّة"، وتشكلت مؤخرا في أدبيات الحركات الجهاديّة كالقاعدة وداعش.

كما أنّ الحركات اليساريّة والقوميّة كانت الأرقى في تصوّر الدّولة المدنيّة في النّصف الأول من القرن العشرين، وكانت لها الرّؤية العصريّة في التّعليم والصّحة والزّراعة والرّعي، بيد أنّ الحركات اليساريّة في العالم العربيّ فشلت في التّطبيق العمليّ في الجملة، ويمكن القول بعد مائة سنة من سقوط الخلافة الإسلاميّة؛ لم توجد تجربة قطريّة وطنيّة متكاملة في الوطن العربيّ، كما لم توجد روح إحيائيّة تجعل الجميع سواء في نهضته الوطنيّة، وعدم التّدخل في شؤونه الدّاخليّة، لهذا نحن اليوم، ومع بدايات القرن الحادي والعشرين؛ لازال غالب أقطار

العالم العربي في صراعات طائفيّة وأهليّة، كما يعاني من الجماعات المسلحة، ومن الفقر والبطالة والضّعف في جميع المستويات.

وفي نهايات النّصف الثّاني من القرن العشرين، وبداية الألفية الجديدة، وجدت العديد من القراءات النّقديّة، أكثر انشراحا واقترابا من دولة المواطنة والإنسان، ووجدت العديد من الأطروحات والنّظريّات الإحيائيّة والنّقديّة، ولكن لتحقيق هذا علينا أن نمايز بين الإحياء والتّدخل المصالحيّ، وبين اتّجاهات الحكامة في الماضي وبين الدّولة الوطنيّة المعاصرة، وبين الدّولة الوطنيّة الشّموليّة وبين الدّولة الوطنيّة التّعاقديّة.

وأمّا التّمايز بين الإحياء والتّدخل المصالحيّ؛ فالإحياء مرتبطة بالإنسان من جهة، وبالقوميّة من جهة ثانية، من حيث الأنسنة، أي يرتبط كمواطن بذاته بعيدا عن أيّ انتماءات هويّاتيّة، ومن حيث القوميّة فهي قديمة كظاهرة اجتماعيّة، حديثة كانتماءات إحيائيّة وليست تصارعيّة أو احترابيّة ، فالأمّة العربيّة وإن كانت ابتداء مكوّن إنسانيّ، إلّا أنّها قوميّة مستقلّة لها جوامعها الخاصّة، لهذا لابدّ أن يفكر جميع أقطارها بعقل الإحياء للكل، لا بعقل المصالح والمنافع الآنيّة، فإحياء جزء منها هو إحياء للكل.

وأمّا اتّجاهات الحكامة في الماضي وبين الدّولة الوطنيّة المعاصرة، فظرفيّة الماضي تختلف عن ظرفيّة الحاضر، فلها قيمها المطلقة، إلّا أنّ مصاديقها ظرفيّة، ومنها ما يتعلّق بمصاديق الحكامة والسّلطة كما يرى حسين الخشن أنّ "الحكم الصّادر عنه – صلّى الله عليه وآله وسلّم – بصفته قائدا للمجتمع، وما يسمّى بالحكم التّدبيري أو الولايتي أو السّلطاني فالأصل أن يكون ظرفيّا وليس دائميّا"، فعلى العقل المعرفيّ أن يشتغل بقيم الدّولة، وحقوق الإنسان فيها، ومدى تحقّق قيم العدالة والمساواة، بدل الإغراق في قضايا ماورائيّة، أو صراعات مفاهيميّة

وهذا ينطبق أيضا على الدّولة الوطنيّة الشّموليّة بينها وبين الدّولة الوطنيّة التّعاقديّة، فدولنا العربيّة والإسلاميّة عموما كانت ملكيّة أم جمهوريّة، عليها أن تؤمن اليوم بضرورة

التّعاقد، لأجل تحجيم الاستبداد، ولأجل الشّراك في الموازنات الدّاخليّة، والاستفادة من التّدافع بشكل إيجابيّ، فيما يحققّ النّهضة الإحيائيّة في الدّولة القطريّة، مع ضرورة بعث الإحياء لجميع البشر، واحترام ما يرتضونه من تعاقد بينهم.

## الدّولة والسّلفيّات الدّينيّة والمذهبيّة[7]

الدّولة - إن صحّ التّعبير – كائن متطوّر، وإذا كانت هناك قيم مطلقة عابرة للزّمكانيّة، إلّا أنّ الدّولة إجرائيّا لها ارتباط وثيق بالظّرفيّة، ولا يمكن بحال استنساخ نماذج إجرائيّة سالفة في واقع مختلف تماما، كما لا يمكن الوقوف عند حرفيّة النّصوص الإجرائيّة الماضويّة في واقع مختلف، قد تكون الرّوح مطلقة كالمساواة والعدل والحريّة، إلّا إنّ إجراء تحقّق ذلك لا ينفصل عن الواقع المعيش، وفي نظري لا توجد ديانة أو فلسفة من حيث الابتداء أرادت أن تختزل الدّولة في صورة إجرائيّة مغلقة، لكنّها تناولت الدّولة وفق ظرفيّة واقعها الّتي تعيشه، فإذا وجدت نصوص في ذلك فهي لا تخرج عن روح القيم المطلقة، أو الظّرفيّة المقيّدة بواقعها، وعليه ربط الدّولة كليّا بواقع ظرفيّ مختلف تماما ربط يقود العقل المعاصر إلى الجمود والتّخلّف، وقد يقوده إلى الصّراع والنّزاع والاحتراب، كما يجعل العقل يعيش في مخيال وهميّ يتمثل في أنّ استنساخ الدّولة في صورتها الإجرائيّة الماضويّة تقوده إلى الرّفاهيّة والكرامة والخلاص من آلام الواقع، وهو نوع من الوهم، والهروب من واقع الحال الّذي ينبغي أن يدرس بعقلانيّة الواقع، لا بأوهام الماضي، وكثيرا ممّا يروى عن الماضي يصلنا منه ما هو مختزل عن واقعه، وليست الصّورة الحقيقيّة المرتبطة بإنسان تلك المرحلة وفق تقدّمه أو تأخره وفق مقياس واقعه وظرّفيّة زمنه.

ولمّا نتحدّث عن السّلفيّة لا نريد هنا السّلفيّة بالمفهوم المذهبيّ المغلق المتمثل في بعض الجماعات الدّينيّة المعتدّة بأرثوذوكسيّتها، أو الّتي ترى الخلاص في رؤى واجتهادات السّلف، وليس المراد أيضا الوقوف عند بعض الجماعات الإصلاحيّة المعاصرة والّتي تبنت السّلفيّة لقبا لها، والمراد من حديثي هنا أنّه لا يوجد ديانة أو مذهب أو حركة لا سلف لها، أو لا رؤية سلفيّة لها، تسمت باسم السّلفيّة، أو حتّى كانت رافضة لهذا المصطلح، فالعديد من هذه الحركات لها ارتباط سياسيّ في النّشأة، ولها رؤية سلفيّة حول الدّولة والاجتماع البشريّ، قد تجمد عليها، وقد تتطوّر رؤيتها إذا ما حدث انفتاح عند بعض منظريها وأتباعها، بيد أنّ الخلاص من الرّؤية الماضويّة لا يمكن أن يتمثل في جميع أفرادها، وقد يتعرّض المنظرون الجدد لإقصاء من قبل

[7] جريدة عُمان.

التّقليديين [السّلفيين] في كلّ مذهب، والّذين يستخدمون البرجماتيّة النّفعيّة وفق كيان الدّولة القائم، وإن كان واقع خطابهم له رؤية ماضويّة خلاصيّة حول واقع الدّولة، لهذا يحاربون المنظرين الجدد باسم الدّولة نفسها عندما تكون المصلحة واقعة بين السّياسيّ والدّينيّ الأرثوذكسيّ.

قد يكون من النّاحية الشّكلانيّة لا خطورة في علاقة السّلفيّات الدّينيّة والمذهبيّة بالدّولة في الخطوط الجاميّة والنّفعيّة البرجماتيّة، الخطورة لمّا تتسع دائرتها حيث يتمثل إشكاليّتها في رفض الآخر القريب دينيّا أو مذهبيّا إذا كانت مخالفا لسلفيّتها الحرفيّة، ورفض البعيد خارج التّفكير الدّينيّ ذاته محاولة لإقصائه وإبعاده، مستخدمة أدوات الدّولة ذاتها من حيث المؤسّسات، وقد تتسع إلى القضائيّة والضّغط الاجتماعيّ، ولو كانت الدّولة لها صورة لبراليّة أو علمانيّة من حيث الابتداء، ليخرج مفهوم الاخر المختلف من دائرة المواطنة المرتبطة بالذّات الواسعة، إلى المواطنة المرتبطة بمدى النّفعيّة من جهة، وبضيق التّصنيفات المذهبيّة تجاه المختلف من جهة ثانية، وتتسع الخطورة عندما يملأ العقل الجمعيّ المستقِبل لخطابات سلفيّة ترى الخلاص في نماذج ماضويّة هي بذاتها تصارعت وتحاربت، واختزلت في روايات وقصائد شعريّة، يستقبل العقل الجمعيّ هذه الخطابات بلا إعمال عقليّ، ولا نقد معرفيّ، تجعله يعيش الازدواجيّة بين مخيال الخطاب وظرفيّة الواقع، ليسقط ذلك سلبا في تأثره بجماعات متطرّفة باسم الدّين، أو يكون ناقما لمحيطه الّذي يعيش فيه.

لهذا لابدّ من إعادة قراءة الدّولة وفق نظريّات الواقع، ولابدّ من نقد مثل هذه الخطابات غير المنضبطة من تديين الدّولة وإخراجها من إطارها الإنسانيّ المتحرّك، إلى الأطر اللّاهوتيّة المغلقة من جهة، ومن طبيعتها الحاليّة الواقعيّة إلى الخلاصات الماضويّة الوهميّة من جهة أخرى، ليبنى العقل الجمعيّ على المواطنة المرتبطة بالذّات المتساوية بين الجميع، هذه الذّات لا تلغي الخصوصيّات الدّينيّة والمذهبيّة والفكريّة والثّقافيّة، ولكنّها من حيث الدّولة يبقى الجميع ذاتا واحدة لا تمايز بينهم، والكلّ سواء في العمل والاجتهاد والشّراك والإبداع والكفاءة، فإذا لم يحدث مثل هذا النّقد، وإذا لم يتم إعادة التّعامل مع العقل الجمعيّ ليكون متعقّلا ناقدا

محاورا، وليس مستقبلا فقط لخطابات من الخارج باسم المقدّس أو غيره، قد ينضبط تفكيره حاليا نتيجة قوّة الدّولة الوطنيّة، وليس لسبب ما يتمثله من ثقافة جمعيّة مؤمنة بإنسانيّة الدّولة وظرفيّتها الزّمكانيّة، يظهر ضرر ذلك في الخطابات غير المنضبطة والّتي قد تتحوّل إلى فعل حال ضعف الدّولة المركزيّة.

فالجماعات الحركيّة المتطرّفة مثلا لم تكن بعيدة عن هذه الخطابات والسّلفيّات غير المنضبطة، والّتي بنيت على كراهيّة وإقصاء الآخر تحت مفهوم "الولاء والبراء"، أو تحت عموميّة الأسلمة بما في ذلك المتحرّك في الاجتماع البشريّ، ومحاولة لاستنساخ تجارب سابقة لها ظرفيّتها وفق التّديين والخلاص باسم المقدّس، ولو كانت مرجعيّتها روائيّة وتطبيقات تراثيّة لا علاقة لها بالنصّ الأول من حيث الابتداء، هذه الجماعات تجاوزت حدّ الخطاب إلى الفعل، بيد أنّ الخطاب الّذي تحمله لا يختلف عن خطاب السّلفيّات الدّينيّة والمذهبيّة في عالمنا العربيّ والإسلاميّ، فلا زالت النظرة الخلاصيّة للدّولة في صورتها الماضويّة حاضرة، والعديد من أدبيات هذه الجماعات الحركيّة المتطرّفة لا يختلف تماما عن الّذي يطرح في الجامعات والمساجد، وما نراه أيضا في الكتب الدّينيّة التّقليديّة فيما يتعلّق بالحكامة، وتصنيف المختلف الدّينيّ والمذهبيّ، وكلاسيكيّة الولاء والبراء والتّكفير والتّفسيق، وإسقاطات ذلك على المعاملات والحدود والقوانين المدنيّة وما يماثلها.

## السّجون وذاتيّة الإنسان[8]

انتشرت بعد الأحداث السّوريّة الأخيرة، وتغيير النّظام صور ومقاطع مرعبة ومخيفة حول سجن صيدنايا، وهو من السّجون المعدّة لاحتجاز السّياسيين وأصحاب الرّأي منذ عام 1987م، ويعتبر سجنا عسكريّا، وهو يذكرنا قريبا بمعتقل غوانتانامو، والّذي يقع في أقصى جنوب شرق كوبا منذ عام 2002م، ويعتبر من أكثر المعتقلات بشاعة، ويرون المساجين فيه أنّهم في درجة أدنى من الحيوانات، ففيه صنوف التّعذيب والإيذاء البدنيّ والنّفسيّ، ممّا لا يتصوّره إنسان في العالم، وتشرف عليه دولة الأصل أن تكون حامية لحقوق الإنسان ومواثيقه، بما فيها حقوق السّجين.

التّأريخ والواقع المعاصر يحدّثنا أنّه لا قيمة إنسانيّة للسّجين، فهناك نماذج عديدة سلّط الضّوء على بعضها كسجن جيتاراما في رواندا، وسجن إي دي إكس في أميركا، وسجن ميندوزا في الأرجنتين، وسجن بلاك دولفين في روسيا، وهناك سجون شاهدة على بشاعة التّعذيب بعد خروج أصحابها منها، كسجن إيفين في إيران أيام الشّاه، وسجن القلعة أو الحربيّ في مصر أيام جمال عبد النّاصر، بيد هناك سجون لا أحد يعرف أو يقترب منها، يُدرك ذلك من مذكرات من دخل فيها، وكتب له الحياة من جديد، والّتي تحوّلت إلى مادّة خصبة للرّوايات الأدبيّة والأفلام السّينمائيّة تحكي بشاعة الإنسان ووحشيّته.

من المعلوم أنّ الكرامة الإنسانيّة لا تسقط حال الجرم أيّا كان نوعه وشدّته، فالجرم جانب عرضيّ لا يسقط كرامة ذاتيّة الإنسان، فالذّاتيّة مكرّمة منذ الولادة وحتّى الموت، فأسير الحرب لا تمتهن ذاته، وقتيل المعركة لا يمثل في جسده المعبّر عن ذاته، وكذا الحال بالنّسبة للسّجين بأي عرض جرميّ، ويشتد إذا كان السّجن لسبب رأي دينيّ أو سياسيّ أو اجتماعيّ أو ثقافيّ، وهذا ما اجتمع عليه العالم من خلال منظومة حقوقيّة إنسانيّة أقرّتها الأمم المتحدة، فقد نصّت في مادّتها أو المبدأ الأول فيها أنّه "يعامل كلّ السّجناء بما يلزم من الاحترام لكرامتهم

[8] جريدة عُمان.

المتأصّلة، وقيمتهم كبشر"، وفي مبدأها الثّاني "لا يجوز التّمييز بين السجناء على أساس العنصر أو اللّون، أو الجنس أو اللّغة أو الّدين، أو الرّأي السّياسيّ أو غير السّياسيّ، أو الأصل القوميّ أو الاجتماعيّ، أو الثّروة، أو المولد، أو أيّ وضع آخر".

وعليه الجانب الجرميّ جانب عرضيّ لا يرفع ذاتيّة وكرامة السّجين، ولا يتحقّق ذلك إلّا من خلال حكم قضائيّ مستقل، يعاقب بمقدار جرمه حسب ما ينصّ عليه القانون، وله حقّ الدّفاع عن ذاته، ولا يجوز حبسه على ذمّة التّحقيق إلّا بقدر ما يتوافق مع حقوق الإنسان، مع أحقيّة وجود محام للسّجين، وفي فترة زمنيّة معلومة، فلا معنى في بعض الدّول أن يبقى السّجين لأعوام بلا محاكمة، ولا يعلم مكانه، ولا يستطيع أحدّ التّواصل معه حتّى المقربين منه، خصوصا ما يتعلّق بسجناء الرّأي، وبالذّات السّياسيين، وفي هذا ينصّ المبدأ الخامس أنّه "باستثناء القيود الّتي من الواضح أنّ عمليّة السّجن تقتضيها، يحتفظ كلّ السّجناء بحقوق الإنسان، والحرّيّات الأساسيّة المبينة في الإعلان العالميّ لحقوق الإنسان، وحيث تكون الدّولة المعنيّة طرفا في العهد الدّوليّ الخاصّ بالحقوق الاقتصاديّة والاجتماعيّة والثّقافيّة، والعهد الدّوليّ الخاصّ بالحقوق المدنيّة والسّياسيّة، وبروتوكوله الاختياريّ، وغير ذلك من الحقوق المبيّنة في عهود أخرى للأمم المتحدّة".

ومع وجود هذه الوثيقة الجامعة والمفرّقة بين ذاتيّة السّجين وعرضه الجرميّ، بيد أنّ القرن العشرين، والّذي تطوّرت فيه نظريّة حقوق الإنسان بعد الحربين العالميتين، إلّا أنّ الواقع مؤلم جدّا، ففي هذا القرن، وحتّى يومنا هذا نماذج مؤلمة جدّا، وبشعة في الوقت ذاته، عن نماذج غير إنسانيّة في التّعامل مع السّجين، وللأسف لقد مارست الولايات المتحدة الأمريكيّة نماذج سيئة جدّا في هذا، خصوصا ضدّ السّياسيين في العالم، وهناك سجون سريّة أو أشبه بالسّريّة في دول نامية، لا يوجد فيها مساحة لهيئات حقوق الإنسان، وإن وجدت فبقدر ما تريده السّلطة، وهي من تعيّن من يكون فيها، ولا تسمح أن تكون هذه الهيئات مدنيّة مستقلّة، لهذا في الواقع نحن أمام نماذج سيئة أسوأ بكثير من سجن صيدنايا.

ثمّ لولا الأحداث السّوريّة الأخيرة – كما أسلفت - لما أدرك العالم حول سجن صيدنايا، وقد كان السّوريّ لا يستطيع الحديث حول هذا الجانب، إلّا من تمكن من الخروج من البلد، ثمّ فيه زنازين سريّة من يدخلها لا يرى الشّمس بعدها، فإمّا أن يقتل مباشرة بدون محاكمة مستقلّة، أو يقتل قتلا بطيئا عن طريق التّعذيب بلا محاكمة أيضا، فتموت حكاياتها وحقيقة ما يجري فيها بمجرّد دخولها، هذا التّوحش غير الإنسانيّ نجد بعض النّفوس تميل إليه أيضا، ويظهر عند انعدام وجود نظام وقوّة تمنعه، وهو ما نراه أيضا في الأحداث السّوريّة الأخيرة، من اجترار بعضهم إلى الإعدام العشوائيّ الشّعبويّ دون محاكمات، وقد يكثر في هذه الأجواء قتل الشّبهة كما حدث في الثّورة الفرنسيّة.

هذا لا يعني عدم وجود إضاءات جيّدة من السّجون، غايتها الإصلاح لا التّشفيّ والتّعذيب، وتراعي منظومة حقوق الإنسان، وتمايز بين الذّات والجرم، وفق قانون واضح متفق عليه، ووفق قضاء مستقل، ووفق مراقبة مدنيّة من منظومة حقوق الإنسان وغيرها من مؤسّسات المجتمع المدنيّ، وهذا ما نرجوه أن يتمدّد في عالمنا العربيّ، ضمن رسالة إحياء الإنسان وتنميته.

## العيد الوطنيّ وتحدّيات المستقبل[9]

تحتفل سلطنة عُمان بعيدها الوطنيّ الرّابع والخمسين المجيد، وهو العيد الخامس المتزامن مع تولي صاحب الجلالة السّلطان هيثم بن طارق – يحفظه الله – مقاليد الحكم في البلاد، وكان توليه أمام تحدّيات داخليّة وخارجيّة، أمّا الدّاخليّة فعلى رأسها الوضع الماليّ، والّذي تراجع لأسباب عديدة، وتزامن الحال مع جائحة كورونا، حيث زاد عدد المسرحين، ومع ذلك استطاعت السّلطنة أن تتجاوز هذه المرحلة الحرجة، وأن تحافظ على درجة الأمان، فسهلت الاستثمار، وراجعت مواضيع الحماية الاجتماعيّة والأوقاف وقانون العمل، وأعلنت مشاريع كبرى كالمكتبة الوطنيّة، وافتتحت مشاريع كبرى أيضا، آخرها افتتاح المدينة الطّبيّة للأجهزة العسكريّة والأمنيّة، فضلا عن الطّرق وتوسعتها، مع الاهتمام بالإنسان والتّنمية، فهذه التّحدّيات لم تعق عمليّة الإحياء والبناء في عمان، بل هي – والحمد لله – متواصلة يوما بعد يوم، وهناك مشاريع كبرى سيعلن عنها كما أعلن عن غيرها خلال أقل من خمس سنوات، ممّا يجعل عمان بعد عشر سنين – بعونه تعالى – ليست عمان قبل خمس سنين، وهذا ما نرجوه جميعا.

أمام هذه التّحديات هناك تحدّيات خارجيّة أثرت على العالم ومنها عمان، بشكل مباشر أحيانا، وغالبا بشكل غير مباشر، وعلى رأسها الحرب الأوكرانيّة وتأثيراتها العالميّة، كذلك الأوضاع السّياسيّة السّلبيّة في اليمن والسّودان، والحرب على غزّة ولبنان، فعمان فتحت أبوابها لهذه الشّعوب رغم تحدّياتها الاقتصاديّة، وحاولت أن تنأى عن التّصرفات غير العقلانيّة، والمنحازة سلبا في مثل هذه القضايا، وإن تكون أذن خير جامع للسّلم والإحياء والبناء، وأن تقف مع حقوق الشّعب الفلسطينيّ ووقف الإبادة، واحترام كيان الدّولة اللّبنانيّة، ممّا قد يكلّفها شيئا من الحرج، فهي قدّمت البعد الإنسانيّ لا المصالحيّ، والسّلم وليس الحرب، والبناء وليس الهدم، في رؤية واضحة وليست متردّدة، تارة ذات اليمين، وتارة ذات الشّمال.

[9] جريدة عُمان.

ونحن نحتفي بالعيد الوطنيّ الرّابع والخمسين المجيد، يحقّ لنا أن نفتخر بالحالة الأمنية المستقرة أمام دمار اشتعلت شرارته في المنطقة، ولا زالت ناره تتسع، ثمّ لا زالت آثار الإبادة في غزّة، وحاليا لبنان جليّة للعيان، ولا ندرك آثاره المستقبليّة على المنطقة، والعديد من عقول بعض السّياسيين الضّيقة تساهم في محاولة توسيع دائرة الفوضى والحروب، ولو تحت غطاءات دينيّة، أو دعم بعض الجماعات المتطرّفة باسم الإسلام ظلما، إذا لم يتدخل العقلاء، ويقدّمون التّعقل على العاطفة، وحماية الآخر لذات الآخر لا لأجل المصلحة، فأيّ حرب أو فوضى في المنطقة ضرر ذلك يتأثر به الجميع، خاصّة وعالمنا العربيّ لا تهدأ بلد فيه إلّا وتضطرب أخرى، ممّا جعل التّدخلات الخارجيّة حاضرة فيه، ومستحكمة عليه، وتريده أن يكون عالما ثالثا، وأن يبقى مستهلكا لا منتجا، ولا يمكن تجاوز ذلك إلّا إذا أدركنا جميعا إنّ الاستقرار الأمنيّ لابدّ أن يعمّ جميع الوطن العربيّ، وأن يكون العرب يدا واحدة في إحيائه، ورفع أي يد تعبث فيه خرابا ودمارا.

وكما أنّه يحقّ لنا ونحن نحتفي بالعيد الوطنيّ الرّابع والخمسين بالحالة الأمنيّة؛ أيضا يحقّ لنا أن نفتخر بحالة التّنمية والإحياء والبناء، منطلقة من الإنسان ذاته، في بنائه معرفيّا وصحيّا وحقوقيّا، وهذا لا يعني عدم وجود تحدّيات كبرى، وعلى رأسها قضيّة الباحثين عن العمل، وزادها سوءا قضيّة المسرحين بسبب بعض الأوضاع الاقتصاديّة والّتي أشرت إلى بعض أسبابها سلفا، وهذا في نظري من أكبر التّحدّيات، مع إيماني أنّ عمان ستتجاوز حدّتها؛ لأنّ الإرادة الإنمائيّة والحقوقيّة حاضرة، والرّغبة في إيجاد حلول عاجلة مدركة، ويحتاج هذا إلى شيء من الشّفافيّة، كما يحتاج حاليا تحريك الحماية الاجتماعيّة بشكل عمليّ يشجع على العمل، ويحمي الأفراد والأسر، مع الاستفادة من مركزيّة مصادر الحماية، وعلى رأسها الأوقاف والصّدقات والضّرائب، بحيث توجه بشكل إيجابيّ ومتناسق مع الحالة السّوقيّة نتيجة التّضخم والاحتكار والمؤثرات السّلبيّة في السّوق، وبعض القوانين الّتي تحتاج إلى مراجعات مستمرة؛ لأنّ الحركة الاقتصاديّة اليوم متحرّكة بشكل كبير، فينبغي أن تكون القوانين متحرّكة أيضا، وأكثر انشراحا وتفاعلا إيجابيّا مع المرحلة.

بلا شك، المرء يسعد بالحالة الّتي تعيشها عمان اليوم، ونسعد عندما تتمدّد الحالة الاستقراريّة ماديّا ومعيشيّا لدائرة أوسع، فلهذا أثره الأمنيّ والاستقراريّ والتّقدّميّ، وهذا ما نرجوه أن يتحقّق مستقبلا، وفق علاج لا يوسع من دائرة البطالة المقنعة، وإنّما يستفاد من هذه الطّاقات في تحريك السّوق ذاته، ودوران المال لدائرة واسعة، لأنّ الإنسان قبل البنيان، ومع هذا استقرار الإنسان يؤدّي بشكل طبيعيّ إلى تطوّر البنيان، إذا كان استقراره – كما أسلفت – بشكل إيجابيّ يخدم المجموع.

ولهذا علينا ونحن نعيش هذه المناسبة الوطنيّة السّعيدة، أن ندرك ما تمّ إصلاحه وبناؤه خلال هذه السّنوات الخمس، وهي وإن كانت قليلة زمنيّا؛ إلّا أن نتائجها وفيرة ومدركة، ولا يمكن نكران ذلك، فالإصلاح لا ينزل من السّماء، ولا يكون حديث أمانيّ، ولكن وراءه قلوب مخلصة، وعقول عاملة، وجهود مستمرة، وفق المدرَك المتاح، ووفق التّحدّيات الّتي نلمسها جميعا، ومع هذا علينا أن نجعل مثل هذه المناسبات الوطنيّة باعثة فينا الرّوح الإيجابيّة، لنكون أذن خير، يقود إلى الإحياء والبناء والتّنميّة، وإلى بناء الإنسان، وتحقيق العدالة، ورفع مساحات الإبداع والابتكار والمساهمة في الاستثمار والشّراك الوطنيّ فيما يخدم عمان حاليا ومستقبلا، ويخدم المنطقة ككل؛ لأننا اليوم جزء فاعل فيه، لا يمكن أن ننفصل عنه بحال، فليكن تفاعلنا إيجابيّا داخليّا وخارجيّا، بما يخدم الإنسان كإنسان، والذّات كذات.

## المطاعم في نهاررمضان وقضيّة تقنين فتحها لمن يباح له الفطر[10]

قريبا يهلّ علينا شهر رمضان المبارك، وفيه يمتنع الصّائم عن الأكل والشّرب من طلوع الفجر إلى غروب الشّمس وفق الآية الكريمة {وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ} [البقرة: 187]، واستثني من ذلك المريض والمسافر، والثّاني قيل يستحبّ له الفطر، وقيل يجب، وقيل إن خرج قبل الزّوال، وقيل إن بيّت النّيّة من اللّيل، وقيل غير ذلك، ولكن في الجملة يباح له الفطر من حيث أصل النّصّ القرآنيّ: {فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ} [البقرة: 187]، وكذلك يباح على الّذين يطيقونه كالحامل خوفا على جنينها، والمرضع خوفا على رضيعها، وكبير السّنّ الّذي يشقّ عليه الصّيام، على خلاف في تأويل الطّاقة وتقدير الآية بمحذوف ليس محلّه هنا.

وآيات الصّيام من حيث أصل الخطاب موجهة إلى المؤمنين من حيث الدّائرة الإسلاميّة من خلال شهر رمضان {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} [البقرة: 183]، بيد أنّ صورة الصّيام تختلف من دين لآخر من حيث الأيام والمدّة وصفة الصّيام، وكتبتُ في ذلك مقالة في جريدة عُمان بعنوان: "كما كتب على الّذين من قبلكم" ممكن الرّجوع إليها، لهذا لم تتطرّق الآية إلى إلزاميّة غير المسلم بشهر رمضان من حيث الابتداء، ولم تجعل له حكما معيّنا، وإنّما تطرّقت إلى ظروف من يؤمن به كالمريض والمسافر وذوي الطّاقة كما أسلفنا.

وكانت العوالم الإسلاميّة على صورتين: صورة يغلب عليها المسلمون من حيث العدد، وصورة فيها خليط كبير مع الأديان الأخرى، ففي الصّورة الأولى لم تعد ذهنيّة المجتمع على الفطر في نهار رمضان، فيصدق ذلك على رأي الفقيه في المسألة من حيث الإنكار والاستهجان، خلاف الصّورة الثّانيّة، فتأثير المكان يؤثر على رأي الفتوى، وهذا ما نجده من جدل قديم هل المشرك مطالب بفروع الشّريعة أم لا، فهو لا يخرج عن الجدل العقليّ المرتبط بظروف المجتمع، وما نراه

[10] جريدة عُمان.

من آراء اليوم إمّا استنساخ وتقليد لما جاء في كتب التّراث، واستقرار لها إلزاما مطلقا أو ترخيصا لمن يباح له ومنه غير المسلم، وقلّ ما نجد إعادة قراءة منطقيّة للواقع الّتي تعيشه الدّول القطريّة اليوم، ومنها تطوّرها في قضيّة المطاعم والمقاهي.

فالدّول القطريّة اليوم – خصوصا عندنا في الخليج العربيّ – يشيع فيها هجرات من الخارج لسبب العمل أو الاستثمار، وغالبهم من الأقطار الهنديّة وشرق آسيا، وهؤلاء العديد منهم غير مسلمين من ذوي الأديان الأخرى، كما أنّ السّياحة تستقطب أمما من العالم العديد منهم ليسوا مسلمين، كذلك يكثر السّفر والتّنقل من مكان لآخر لسبب سهولة النّقل والتّنقل بين الأمكنة، بمن فيهم أبناء البلد، أو من المقيمين فيها من المسلمين، ويصدق عليهم إباحة الفطر بسبب السّفر، أو لسبب ما تحدثه بعض الأعمال من مشقّة شديدة يصعب حينها الصّيام، خصوصا في الصّيف الشّديد.

كما أنّ المجتمعات اليوم ارتبطت لطبيعة ظروف العصر بالمطاعم والمقاهيّ أكثر من أيّ زمان مضى، فلا يكاد تجد شارعا أو حتّى قرية صغيرة لا يوجد فيها مطاعم أو مقاهي، فأصبحت طبيعة الاجتماع البشريّ اليوم مرتبطة بهذا، فلا يمكن بحال أن تسقط مفاهيم قديمة كمفهوم المخاطبة بفروع الشّريعة على حالة اجتماعيّة لها طبيعة مختلفة تماما اليوم، وليس هذا ليوم أو يومين، بل لشهر كامل، وفي الوقت ذاته ليس بسيطا في مفهوم الدّولة القطريّة اليوم، وما يتعلّق بها من سياحة واستثمار واقتصاد واجتماعات دوليّة وعالميّة، لهذا لجأت بعض الدّول إلى تخصيص مطاعم ومقاهي مرخصة لغير المسلمين، أو من يباح له الفطر، ومهيأة بشكل يراعي المجتمع الصّائم، وهذا ما وجدته مثلا في الجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة فيما يسمّونه بمطاعم المسافرين في نهار رمضان، فلا يعاني السّائح أو المسافر من سهولة الحصول على طعامه؛ لأنّه غير ملزم بالصّيام في نهار رمضان من حيث الابتداء، كما أنّها تكون مراعية للذّوق العام أي تكون مصمّمة بما يناسب ذلك.

وهذا ليس انتهاكا لحرمة رمضان كما يصوّره بعضهم، وليس تشجيعا على الإفطار، فلا يمكن بحال أن تكره أمّة ليست قليلة من الأديان الأخرى تتعايش معك على إلزاميّة الصّيام ولو

بالمعنى الضّمنيّ أي غير المباشر، كما أنّك لا يصح إكراهك على طقوسهم، وفي القرآن: {اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ} [الشّورى: 15]، فضلا عن كثرة السّفر والتّنقل لسبب العمل اليوم، كما أنّ الدّول أصبحت مرتبطة بالاستثمار والانفتاح في ذلك، ولسبب السّياحة، بما يشجّع تدوير المال، ولا يمكن تحقّق ذلك دون توفر خدمات تراعي الجميع، ومنها ما يتعلّق بالجوانب التّكوينيّة كالطّعام والشّراب.

وهذا لا يتعارض – في نظري – مع المادّة القانونيّة لمن "جاهر في مكان عام بتناول الأطعمة أو المشروبات أو غير ذلك من المواد المفطّرة في نهار رمضان"، حيث لابدّ من وجود تكييف جديد لمطاعم تناسب لمن يباح له الفطر لسبب اختلاف دين أو لسبب سفر أو مرض أو مشقّة، سواء كان في المجمعات التّجاريّة، أو الأماكن السّياحيّة، أو الفنادق المرتبطة بالمسافر، أو بعض المطاعم المتعلّقة بالطّرق والمسافرين، فشهر رمضان المبارك لا يعوق النّمو الاقتصاديّ، وحركة الاستثمار والسّياحة، ولا يمكن تعليق ذلك بجدليّات تراثيّة لها ظروفها الزّمنيّة الخاصّة بها، بل لابدّ أن تكيّف بالظّرفيّة الزّمنيّة الّتي نعيشها اليوم، وتحقّق العدالة للجميع.

## المكتبة البارونيّة في جربة وعلاقتها بعمان[11]

المكتبة البارونيّة في جزيرة جربة بالجمهوريّة التّونسيّة تعتبر من أهم المكتبات العائليّة الإباضيّة في جربة خصوصا، ومن المكتبات العريقة عند إباضيّة المغرب، وهي وإن كانت حديثة زمنا، إذا لا تزيد عن قرنين من الزّمن؛ بيد أنّها تعتبر من المكتبات الرّائدة والمهمّة في الفكر الإباضيّ خصوصا، والإسلاميّ عموما، بما يحتفظ فيها من نفائس ومخطوطات.

تعود المكتبة إلى الشّيخ أبي عثمان سعيد بن عيسى بن يعقوب البارونيّ الفسّاطويّ النّفوسيّ ثمّ الجربيّ (ت 1281هـ/ 1865م)، وفي زيارتي الشّخصيّة إلى جزيرة جربة زرتُها مساء الجمعة ٥ ربيع الثّاني ١٤٤٥هـ/ ٢٠ أكتوبر ٢٠٢٣م، والتقيت بالقائم عليها من أحفاد المؤسّس الشّيخ سعيد بن يوسف بن محمّد بن يوسف بن عليّ بن أبي عثمان سعيد البارونيّ، وكان لي معه حديث حول المكتبة، فأخبرني أنّ الشّيخ أبا عثمان أصله من جبل نفوسة من مدينة جريجة، ثمّ ذهب إلى مصر ليدرس في جامع الأزهر في نهاية القرن الثّامن عشر الميلاديّ، تقريبا عام 1792م، وبقي في القاهرة عشرين سنة، وتولى التّدريس أيضا في وكالة الجاموس في حيّ بن طولون بالقاهرة، وفي تلك الفترة كوّن نواة المكتبة البارونيّة من نسخه وشرائه للمخطوطات، فقد قام بنسخ العديد من الكتب في القاهرة، كما أشترى غيرها، وأغلبها من نسخه أي باسم سعيد البارونيّ الأزهريّ، وأول كتاب نَسَخه يعود إلى 1795م تقريبا.

ثمّ رجع إلى موطنه جبل نفوسة بليبيا عام 1811م، وهنا أرسل إليه الشّيخ صالح بن أبي مسور الجربيّ القائم على المدرسة المسوريّة، أو الجامع الكبير، [نسبة إلى جامع أبي مسور الّذي بني في القرن الثّالث الهجريّ وتحوّل إلى مدرسة كبيرة للتّعليم في المدرسة، واستمر التّدريس فيها إلى أواخر القرن التّاسع عشر الميلاديّ 1898م]؛ حيث أنّ الشّيخ أبا الرّبيع سليمان الشّماخيّ (ت 1234هـ/1819م) خرج لأداء مناسك الحجّ وتوفي هناك، فطلب من الشّيخ سعيد أن يحلّ محلّ الشّماخيّ في التّدريس في المدرسة، وهذا هو السّبب الّذي جعله

[11] جريدة عُمان.

ينتقل من جبل نفوسة إلى جربة، ولهذا استقر في جربة من عام 1811م، حيث طاب له العيش في جربة، فقرّر الإقامة فيها.

ثمّ عاد إلى مسقط رأسه – أي جبل نفوسة – عام 1819م، ليجلب كتبه معه، وضمّ إليها كتب ابن عمّه موسى البارونيّ، لهذا يمكن اعتبار عام 1819م نواة تأسيس المكتبة البارونيّة في جربة، وقد كانت في محلّ سكناه بجربة، حيث أصبح شيخ الجزيرة، وتولى الإمامة في الجامع الكبير، وكان محلّ الفتوى، وإليه يرجع في تعيين بداية رمضان ونهايته.

ولمّا توفي عام 1865م ورثها من بعده ابنه عليّ، وأضاف إليه ابنه مجموعة من الكتب، وتوجد بعض المخطوطات بيد ابنه عليّ، وجاء من بعد عليّ ابنيه يوسف وأحمد، فقسّمت المكتبة بينهما، وأغلب كتب المكتبة اليوم ممّا ورث من قسم يوسف، وأمّا قسم أحمد فلم يحافظ عليها ورثته، وما بقي منها فهو قليل، وبعد يوسف جاء ابنه محمّد، ثمّ ابنه يوسف، وهو والد الشّيخ سعيد، لهذا حاليا هو من يقوم عليها.

وأخبرني أنّ جدّه محمّدا كان مغرما بجمع الكتب، فاشترى العديد من المخطوطات والكتب، وسألـه أنّ بعض الكتب نجد أطرافا من أجزائها، إمّا الأجزاء الأخيرة أو الأولى أو الوسط، فسأله عن باقي الأجزاء، فقال: هذه وزعت على الورثة وقد بيعت، وما بقي فهي هذه الأجزاء الّتي حافظنا عليها، وأضاف الشّيخ محفوظ دحمان [وكان حاضرا معنا، وهو من مشايخ جربة وخطبائها والمعنيين بالمخطوطات أيضا]: أنّ بعضهم يقسّمون حتّى أوراق الكتاب أو الجزء الواحد إلى أجزاء بين الورثة، فتضيع الكتب بهذا.

لهذا ما بقي من عدد الكتب والمخطوطات تصل إلى حوالي ألف ومائتين مخطوطا، وعدد المجلّدات 574 كتابا، فلمّا فكّكت أجزاؤها وصل إلى حوالي ألفين كتاب وزيادة قليلا، ولمّا زار الشّيخ أحمد بن حمد الخليليّ – مفتي عمان الحاليّ – المكتبة في مقرّها القديم عام 2012م، أي بعد أربعين عاما من زيارته الأولى، حيث زارها عام 1972م، وعام 1974م، والقصّة كما أخبرني الشّيخ سعيد أنّ الشّيخ الخليليّ شاهد في زيارته الأخيرة أي عام 2012م مخطوط

"وشي الحلل في شرح أبيات الجمل" [لأبي جعفر اللّبيّ ت 691هـ]، والنّاسخ لها سعيد بن عبد الرّحمن، وكتب في جمادى الأولى 974هـ، والمشهور بأبي جناح، وتملكه قاسم بن عبد الله البارونيّ، حيث وجد الكتاب قد تحلّل وتفتّت بين يديه، فطلب أن تخرج هذه المخطوطات من محلّها القديم، بسبب توفر الرّطوبة فيها ممّا لا يجعلها بيئة جيّدة لحفظ المخطوطات.

من هنا ساهمت عمان في بنائها الجديد في حومة السّوق بجزيرة جربة، وافتتحت في 25 جمادى الأول 1437هـ/ 5 مارس 2016م، وتضمّ قاعة استقبال، وقاعة المطالعة والرّقمنة والفهرسة والتّنظيف والتّعقيم، ومكتب المسؤول عن المكتبة، وقاعة للمحاضرات، وقاعة المطبوعات، وقاعة قسم الإهداءات، وفيها أيضا كتب باللّغتين الفرنسيّة والإنجليزيّة بجانب العربيّة، وتوجد فيها كتب في مختلف الفنون، ومنفتحة على كتب المذاهب الأخرى، فلم تقتصر عند المذهب الإباضيّ، بجانب المجلّات والدّوريات، ففيها مثلا غالب أعداد مجلّة العربيّ الكويتيّة، وفيها كتب معاصرة أيضا، وفيها قاعة لورشة ترميم المخطوطات والصّيانة والفهرسة، ومخبر أو قسم خاصّ للتّجليد.

ومن أهم قاعاتها قاعة المخطوطات، حيث تجعل في خزائن حديديّة، جعلوا المخطوطات الإباضيّة في قسم، والأقسام الأخرى مختلطة على المذاهب الأخرى، وموزعة على التّفسير وأصول الدّين واللّغة والفقه، والفلك الحساب والطّبّ، ورسائل وأجوبة وردود، والتّأريخ والسّير، والتّوحيد والتّصوّف، والأدب، والمنطق والفلسفة والحكم، وعلم الفرائض، ووثائق العائلة البارونيّة، ويستخدمون لحفظ المخطوطات موادا للتّقليل من الرّطوبة، وموادا للقضاء على التّسوس.

وبعد تعقيمهم وتنظيفهم للمخطوطة يعملون لها مذكرة فنيّة، يحصون فيها عدد الورقات، وبيان الفقرة الأولى والأخيرة منه، مع ذكر المؤلف والنّاسخ، والعام الّذي نسخ فيه المخطوط، ومكان النّسخ، وحجم المخطوط، ومقاس الورقة طولا وعرضا، وعدد الخطوط فيها، ثمّ يقومون بتصوير المخطوط، من خلال آلة خاصّة يرتبط بها جهاز حاسوب للتّثبت من صحة التّصوير، وأن يكون كاملا متناسقا كما هو، ثمّ يحال إلى حاسوب آخر مرتبط به

للمراجعة، ثمّ يحال إلى حاسوب آخر لتمكينه للباحثين، ممّن يريد الحصول على صور رقميّة، ويمكن الحصول عليها عن طريق الحافظة المحمولة (الفلاش أو الهاردسك).

وعندهم حاليا قسم خاصّ للمخطوطات العائليّة الخاصّة، لمن يريد أن يحضر مخطوطاته، حيث يقومون بتعقيمها وإصلاحها، كما أطلعني الشّيخ سعيد على الهدايا وشهادات التّقدير الّتي حصلت عليها المكتبة، ومنها من عمان، من جامعة السّلطان قابوس، ومن كليّة العلوم الشّرعيّة مثلا، كما أطلعني على الكتاب الذّهبيّ، وفيها يدوّن الزّائر انطباعه حول المكتبة، فممّن زارها مثلا عمرو النّاميّ مرّتين عام 1968م وعام 1969م، والشّيخ إبراهيم بن عمر بيّوض (ت 1401هـ/ 1981م) مرتين أيضا، والشّيخ عليّ يحيى معمّر (ت 1400هـ/ 1980م)، والشّيخ ناصر المرموريّ (ت 1432هـ/ 2011م)، ومن عمان زارها العديد، منهم أمير البيان عبد الله الخليليّ (ت 1421هـ/ 2000م)، وسعادة أحمد بن سعود السّيابيّ، ووزير الأوقاف السّابق عبد الله السّالميّ، والعديد من الباحثين، كما أخبرني الشّيخ سعيد أنّ أغلب أو جميع سفراء عمان في تونس زاروا المكتبة، والجانب المهم أنّ الكتاب والمخطوط العمانيّ أيضا حاضر في المكتبة، ومن فترة مبكرة جدّا.

## تهجير أهل غزّة نكبة القرن الجديد[12]

أكثر من سبعة عقود ولا زالت الذّاكرة حاضرة لنكبة 15 مايو 1948م، وما سبق هذا اليوم من بدايات التّخطيط والاستيطان والتّهجير، وما أعقبه من مجازر لم تتوقف حتّى حرب غزّة الأخيرة، أمام شعب أعزل محاصر لا لشيء، إلّا أنّه ينتمي إلى هذه الأرض، وشاء القدر أن يولد فيها، ليستبدل بمن لم يولد فيها، ولا أصل له بها، إلّا لتحقيق أساطير دينيّة، وأطماع سياسيّة، في تفرق عربيّ واضح، جعل كلمتهم تتراجع يوما بعد يوم.

نحن اليوم أمام مأساة جديدة، فبعد أوسلو الثّانية 1995م والّتي بها قسّمت المناطق الفلسطينيّة إلى (أ) و (ب) و (ج)، "ولم يكن للسّلطة الفلسطينيّة سيطرة إلا بنسبة ثلاثة بالمائة فقط على الضّفة الغربيّة أمنيّا وإداريّا عدا القدس، وهو (أ)، وإداريّا فقط لا أمنيّا بنسبة خمس وعشرين بالمائة على مناطق أخرى وهي (ب)، وباقي المناطق تحت السّيطرة الإسرائيليّة أمنيّا وإداريّا ليمكنها في التّوسع في بناء المستوطنات وهي (ج)".

بعد هذا التّقسيم لم يكن هناك تجمع أشبه بالمستقل إلّا في غزّة، فأدخلت في حصار سياسيّ واقتصاديّ منذ عام 2007م، وبعد 7 أكتوبر 2023م كانت أكبر إبادة لهذا الشّعب، مدعومة من قبل دول كبرى، ليتحقّق القضاء على أكبر تجمع فلسطينيّ واضح ومستقل، وبه نفهم مراد ترامب اليوم في سياسة امتلاك قطاع غزّة، بمعنى تهجير سكّانها، وامتداد الاستيطان (الاستعمار) اليهوديّ – الإسرائيليّ إليها، في نكبة أخرى، ونحن في بدايات القرن الحادي والعشرين.

أكثر من مليوني إنسان تعرّض في هذا القطاع ولا زال يتعرض لأكبر مأساة إنسانيّة، من تجويع وإبادة لمدنيين وتهجير ممنهج، مأساة لا يكاد يشبهها مأساة أخرى في التّأريخ، واليوم يفتح مخطّط التّهجير علنا وليس في الخفاء، أمام استفزاز أمّة عربيّة بأكملها، لتضعها في اختبار واضح، فشلت فيه بعد حرب 7 أكتوبر، وهي تستعد لقمة عربيّة طارئة في السّابع والعشرين من

[12] جريدة عُمان.

شهر فبراير، أي الشّهر الحالي، فهل هذه القمّة كغالب مثيلاتها من القمم السّابقة لن تتجاوز تسجيل لحظة بيان استنكاريّ للتّأريخ لا يتجاوزه إلى الفعل والضّغط الحقيقيّ؟!

إنّ سقوط غزّة، وتهجير سكّانها؛ يعني بشكل واضح القضاء على ما تبقى من القضيّة الفلسطينيّة، ولكن هذا السّقوط لن يكون نهاية المطاف، بقدر ما يكون بداية الامتداد لتحقيق نبوءات أسطوريّة وخرافيّة، ومحاولات لجعل أحداث ماضوية ظرفيّة في جانبها المطلق، مدعومة كما أسلفتُ بقوى سياسيّة لها أطماعها الاستعماريّة، ليمتدّ الحال إلى مصر ودول الجوار جغرافيّا، وإلى جعل العالم العربيّ ممزقا ومتخلّفا ومتصارعا لعقود مستقبليّة أطول، يسهل الاستيلاء عليه، وأكل خيراته.

الوقوف العمليّ الّذي يتبعه نتائج عمليّة ضاغطة ضدّ اتّجاه ترامب (أمريكا) الجديد، وعدم المساس بغزّة؛ ليست نتائجه إنسانيّة متعلّقة بذات الإنسان في غزّة فحسب؛ بل نتائجه تعود إلى أمن الوطن العربيّ ذاته، من الخليج إلى المحيط، فنكبة تهجير أهل غزّة لم تعد اليوم نكبة في قطعة جغرافيّة صغيرة من عالمنا العربيّ الكبير، بل هي نكبة عربيّة بمعنى الكلمة، لها ما بعدها، حيث الأطماع الصّهيونيّة والغربيّة لن تتوقف عند هذا المقدار، ليس من حيث الامتداد الجغرافيّ فحسب، بل إلى السّيطرة الكاملة لقلب العالم العربيّ، وجعله عالما لا قيمة له معنويّا ولا حضاريّا معاصرا.

نحن اليوم أمام نقطة فارقة من حيث كونها إنسانيّا عالميّا، وأمنيّا عربيّا، فلا مقارنة من خلال الواقع بين نكبة 1948م، وبين ما يراد أن تكون نكبة جديدة في العالم اليوم، فالمعايير اختلفت بين واقع العالم العربيّ في بداية القرن العشرين، وبين واقعه اليوم وهو في بداية القرن الجديد، فمائة عام فترة كافية لجعله مدركا لحقيقة هذه السّياسات، وخبيرا بحقيقة تفكيرها ونتائج أطماعها وغاياتها، فغالب الشّعوب العربيّة اليوم متعلّمة وفاعلة في الواقع المعيش، ومرّت بتجارب وتفاعلات مخاضيّة مختلفة، وتجاوزت التّأثير المحلّي إلى التّأثير العالميّ والإنسانيّ.

وإذا كان إسرائيل شاحاك ونورتون ميزفينسكى في كتابهما: "الأصوليّة اليهوديّة في إسرائيل"؛ يرون أنّ تحكّم إسرائيل بما ينشر دوليّا، وإن كان في معرض آخر، حيث يقول: "وهذه الحقائق نادرا ما تذكر أو توصف بدقة في التّغطية الإعلاميّة الهائلة لإسرائيل في الولايات المتحدة، وفي أماكن أخرى"، أي فيما يتعلّق بالإبادة وجرائم الحرب والاستيطان والتّهجير غير الإنسانيّ، إلّا أنّ هذا الاتّجاه فشل اليوم أمام الإعلام الجديد، مع محاولات شركات (السّوشل ميديا) أو وسائل التّواصل الاجتماعيّ تكتيم أيّ صوت آخر يبرز مثل هذه الجرائم غير الإنسانيّة، بيد أنّ الخطّ الأفقيّ اليساريّ ضدّ الاتّجاهات اليمينيّة المتشدّدة، أصبح اليوم أكثر تمدّدا عالميّا، ولم يعد محصورا في زاوية إعلاميّة معينة، لها أيدولوجيّتها الخاصّة.

فسياسات العالم العربيّ اليوم عليها أن تدرك أنّ اللّحظة التّأريخيّة الّتي تعيشها في واقعها المعيش هي لصالحها، فعليها أن تستثمر هذا الوعي والالتفاتة الإنسانيّة في وقف هذه الإبادة، مع التّعجيل في إقامة دولة فلسطينيّة لها استقلالها داخليّا، وبها تحقّق كرامة وإنسانيّة شعب مهجّر، وهذا متحقّق اليوم أمام تخبّط غربيّ وإسرائيليّ داخليّ أصبح ظاهرا في الحرب الأخيرة على غزّة، الّتي لم تتجاوز حركة الاغتيالات السّياسيّة، وقتل المدنيين الأبرياء، فإذا مرّت هذه اللّحظة التّأريخيّة والمهيأة عالميّا إنسانيّا، وشعبيّا عربيّا، ولم تستثمر؛ فإنّ الأجيال القادمة لن ترحم، ولكلّ شيء له ما بعده إذا لم يحسن استغلال اقتضاءات الواقع.

## ثالوث تخلّف المجتمعات[13]

شاع سابقا أنّ ثالوث التّخلّف هو الجهل والمرض والفقر، حيث تعاني العديد من دول العالم من حالة غير إنسانيّة نتيجة صراعات أهليّة وماضويّة، ولأسباب ارتفاع مستوى عدم تحقّق المساواة والعدالة، وسوء إدارة الموارد، ولكن لا يمكن أنّ نجعل التّخلّف يعود إلى الجهل والمرض والفقر في حدّ ذاتهما، فهذه الثّلاثة مصاديق تدلّ على التّخلّف، ونتيجة لهذا التّخلّف وليست هي سبب التّخلّف؛ لأنّ للجهل اقتضاءات أدّت إليه، لأسباب صراعيّة أو احترابيّة أو إداريّة، وكذلك المرض والفقر، ومن خلال تأملي في العديد من المناطق الّتي تنخفض فيها العدالة غير الإنسانيّة، وتتمدّد فيها حالات انخفاض تحقّق مصاديق المساواة والعدالة، أرى أنّها لا تتجاوز ثالوث الدّين والسّياسة والثّقافة، وليس الجهل والمرض والفقر.

فأمّا الدّين فعندنا النّصّ وما بعد النّصّ، وكثيرا ما يشكّل الإنسان في تأريخه فهومات النّصّ، ومع مرور الزّمن يدخلها في الدّين، وتأخذ حيّزا في تفكيره وعقائده، وتشكّل مذاهبه وطرقه، فعندما كان يتعامل مع النّصّ أنّه جاء لتحقيق مقاصد الإنسان الكبرى في الوجود، أصبح المدار هو الانتصار للذّات أو المصالح السّياسيّة والطّائفيّة والمذهبيّة، كما أنّ قيم النّصّ المطلقة والمرتبطة بذاتيّة الإنسان الواحدة، والأصل أن يرقى العقل الدّينيّ في تحقّق مقاصدها، نجد أنّه يرهن مصاديق القيم للتّأريخ والمذهب والظّرفيّ، فيعيش الإنسان في ظلّ خطاب دينيّ وفق ظرفيّة لا علاقة لنا بها، ولكنّها لأسباب تأريخيّة أصبحت من الدّين ذاته.

فعندنا نحن - غالب المسلمين – أنّ النّصّ المقدّس توقف عند إكمال الدّين ذاته في عهد النّبيّ الأكرم – صلّى الله عليه وسلّم -، والمتأمل في هذا النّصّ نجد المتّعلّق بحركة الحياة نسبته قليلة جدّا، وغالبه مجملا أو معلّلا، لترك مساحة واسعة للعقل البشريّ في التّدافع لبناء الإنسان، وتحقيق مقاصد قيمه الواسعة، فمفهوم الدّولة والحكامة مثلا لا نجد لها تلك الحرفيّة في النّصّ الأول؛ لأنّها متحركة، وكذلك في التّشريعات القانونيّة، والمعاملات البشريّة.

[13] جريدة عُمان وصحيفة المثقف.

ولمّا كان الرّومان ثمّ خلفهم المسيحيون يسجلون حولياتهم، ويركزون على الأحداث والصّراعات السّياسيّة كالحروب وتعاقب الملوك والحكّام، مع ذكر بعض الجوائح والأحداث الكبرى، لكنّها لا تلتفت بشكل كبير إلى الجانب الحضاريّ والثّقافيّ، وتختصر قرون الأمم في هذه الصّراعات، والأمر ذاته لمّا خلفهم المسلمون، ودوّنوا حوليّاتهم، حتّى فيما يتعلّق بالسّيرة النّبويّة، ركّزوا على الحروب والمغازي والصّراعات السّياسيّة، ويكاد أنّ هذه الأمم ينعدم لديها أيّ شكل من الحضارة، وتعدّد الثّقافة، إلّا ما ذكره لاحقا غيرهم كالأدباء والشّعراء، ويستلهم من الاجتهادات الفقهيّة، وبعض معالم الرّوايات الحديثيّة.

ثمّ لا توجد إشكاليّة في هذا، إذا استطاع العقل الدّينيّ أن يمايز بين النّصّ وبين الأحداث السّياسيّة، ولو ارتفعت عنها مصاديق الحضارة والثّقافة والّتي تعنى بالإنسان بشكل أكبر، الإشكالية عندما تتحوّل هذه الصّراعات السّياسيّة إلى الدّين نفسه، ويصبح بدل الالتفات إلى قيم الإنسان لتحقيق كرامته وإنسانيّة، ندور وفق شخوص التّأريخ، كما يحدث اليوم في تجسيد مسلسلات تأريخيّة آخرها الجدل حول مسلسل معاوية بن أبي سفيان، والّذي عادة ما تعرض هذه الأفلام والمسلسلات التّأريخيّة لأجل انتصارات طائفيّة ومذهبيّة، يجعل العقل الإسلاميّ والعربيّ يعيش تلك الحقبة وفق صراعتها السّياسيّة، لتشغله عن مشاكله الإنسانيّة الكبرى اليوم، وتحقّق رؤية الإنسان في البناء الحضاريّ، والتّعدّيّة الثّقافيّة وفق اللّحظة الّتي نعيشها.

هذا الأمر ذاته في الجدليّات الكلاميّة، والاجتهادات الفقهيّة، فلها أسبابها التّأريخيّة، وطبيعتها المتحرّكة وفق الأدوات العقليّة، والظّروف الزّمكانيّة، وتشكّل مذاهب كلاميّة وفقهيّة وغنوصيّة، فهي حالة طبيعيّة تدلّ على سعة المتحرك ما بعد النّصّ ذاته، لا أن يتحوّل هذا المتحرّك إلى نص مغلق يعوق حركة نهضة الإنسان، ويجعله يعيش في صراعات كلاميّة، وخلافات فقهيّة، تحولت إلى دين متراكم بسبب الاجتهاد البشريّ، والّذي سيكون هذا الدّين المتراكم تأريخيّا لا نصيّا سببا مؤديّا إلى صراعات سياسيّة وأهليّة تؤدّي بشكل طبيعيّ إلى الجهل

والمرض والفقر، وليس إلى الإحياء والبناء وتحقيق مقاصد القيم الكبرى وفق زمنيّة ومكانيّة اللّحظة وليس الماضي المنتهي بظروفه الزّمكانيّة.

الدّين بهذه الصّورة المتراكمة يؤثر في الاجتماع البشريّ، كما أنّه سيؤثر بشكل طبيعيّ في المتحرّك السّياسيّ، فهنا يأتي ثاني الثّالوث وهو السّياسة، والّتي في الأصل أن تتحرّر من الماضي لتهذّب أدبيات الماضي ليعيش واقعه، وأن تعنى بقيم الإنسان الكبرى لتحقيق مصاديق كرامته وإنسانيّته، لنجد اليوم العديد من السّياسات تكون سببا كبيرا في تخلّف المجتمعات، وقيده إلى طيش الخلافات والصّراعات الأهليّة، والأصل في السّياسة أن تكون خارج صندوق المكونات الدّينيّة والمذهبيّة والثّقافيّة، منطلقة من ذاتيّة الإنسان الواحدة والمتساوية لتحقيق العدالة في ضوء المحافظة على المواطنة الواحدة والمشتركة، بيد أنّها تحصر ذاتها في صندوق الطّائفيّة، للحفاظ والتّقرب مع هيمنة طائفة ما لها الغلبة لسبب ديمغرافيّ أو تأريخيّ أو ماديّ، فتضيق سعة السّياسة لأنّها دينت، كما أنّها تفسد الدّين ذاته، ويحدث التّزاوج السّلبيّ بينهما، والّذي يساهم بشكل كبير في غياب قيم الإنسان وذاتيّته الواحدة، وجرّه إلى مصاديق مؤديّة إلى الجهل والمرض والفقر.

هذا الأمر ذاته ينطبق على الثّقافة، وهي في الأصل واسعة ومستقلّة في الوقت ذاته، وغايتها الإنسان، فهي راصدة وناقدة للدّين التّأريخيّ والسّياسات المستندة إليه، والخطاب المترتب عليهما يعتبر ضمنيّا خطابا ثقافيّا، بيد أنّه إجرائيّا إذا استقلّ الخطاب الثّقافيّ يتهذّب هذان الخطابان؛ لأنّ الخطاب الثّقافيّ دائرته أوسع، وينطلق من قاعدة مستقلّة، فإذا كان المثقف مصالحيّا لا ينطلق من غاية الإنسان، ودوره المستقل في تحقّق قيم الإنسان، متجاوزا الماضي إلى الحاضر، والأنا إلى الذّات الإنسانيّة، هذا المثقف إذا لم يحافظ على هذا الخطّ الرّأسي، لن يكون بينه وبين من يحيي صراعات ماضويّة، أو يريد أن يحافظ على وجوده ومنافعه وشهرته باسم الطّائفة أو المذهب أو الدّين أو المجتمع؛ لن يكون بينهما فارقا إلّا في الأدوات المستخدمة، ويكون أيضا أداة للسّياسة السّلبيّة القائمة على تكريس التّخلّف، ثمّ تكون الثّقافة هنا ثالوث التّخلّف المؤدّي إلى الجهل والمرض والفقر تماما.

## دماء غزّة ولبنان والاشتغال بالطّائفيّة[14]

لا يمكن لعقل أن يجمع بين إبادة وليست حربا في الواقع وبين التّشفي، أو إشغال الواقع بالانقسامات الطّائفيّة، ففي وقت الرّخاء النّاس متساوون في جوهرهم، والمحافظة على وجودهم باعتبار ذاتهم الإنسانيّة، والّتي لها حقّ المساواة في الحياة والوجود، وحقّ العدل في التّمتع بالوجود، لما يرتبط الحقّان – أي المساواة والعدل – بحق تحقّق الكرامة الإنسانيّة الواحدة، فإن كان هذا في الرّخاء؛ فهو أولى أن يكون في الشّدّة، فكيف والحال متعلّق بإبادة وحرب عبثيّة لا تفرق بين أحد، ولا ترحم صغيرا ولا شيخا ولا امرأة ولا أيّ مدنيّ لا ذنب له.

إنّ غياب النّزعة الإنسانيّة في التّعامل ودراسة هذه القضايا من الخارج؛ هي الّتي تقود إلى الرّؤى الضّيّقة، ومنها استحضار الطّائفيّة، والّتي ينبغي أن يتجاوزها العقل الإنسانيّ بما فيها الواقع الإسلاميّ والعربيّ، فالأديان والمذاهب ألبسة يلبسها الإنسان غالبا بعد ولادته، كأيّ لباس آخر من ثقافة وعادات وتقاليد، فله حريّته في دينه ومذهبه وتوجهه باعتبار ذلك قيمة إضافيّة متعلّقة بذاته الإنسانيّة الواحدة، وليس باعتبار نزعته الأصليّة المتناغمة مع الوجود، والّتي لا تمايز فيها بين أحد في الجوهر، فهي عابرة للهويّات والانتماءات والإثنيات، وبها نتعامل في السّلم والحرب، والشّدّة والرّخاء تعاملا واحدا كذات مكرمة لا تمايز لأحد فيها.

إنّ العيش في صندوق الطّائفيّة لابدّ أن يتجاوزه العقل الأفقيّ أو الجمعيّ في العالم العربيّ، وما تقوم به السّياسات أو الإعلام الممنهج لا يتحقّق لها استحضار ذلك إلّا نتيجة ما تجده من قاعدة أفقيّة حاضنة لهذا الوضع الطّائفيّ، لهذا نحن بحاجة اليوم أن نوجد خطابا ذا نزعة إنسانيّة مشتركة به نفهم حركة النّصّ الدّينيّ ومتعلّقات الاجتماع البشريّ في المنطقة، فموضوع الطّائفيّة ينتعش ويظهر في الشّدّة؛ لأنّه هو المتعلّق بالعقل الجمعيّ وليس النّزعة الإنسانيّة كما يرى محمّد الرّميحيّ أنّ "أنّ موضوع الطّائفيّة قد انتعش .... فلم ينجح أيّ سنيّ مثلا رشح نفسه في منطقة انتخابيّة أغلبها شيعة، وكذلك لم ينجح أيّ شيعيّ في منطقة انتخابيّة

[14] جريدة عُمان.

أغلبها سنّة، على الرّغم من الشّعارات والدّعم الوطنيّ، وأصبح تقليدا أنّ هناك دوائر مغلقة على قبيلة أو طائفة محدّدة".

ويرى حليم بركات في كتابه المجتمع العربيّ المعاصر أنّ "النّظام العام، والثّقافة السّائدة على اعتبار المواطن سنيّا أو شيعيّا أو درزيّا أو علويّا أو شافعيّا أو زيديّا أو إسماعيليّا أو قبطيّا أو أرثوذكسيّا أو كاثوليكيّا أو مارونيّا ... أكثر ممّا يصرّ على اعتباره مواطنا بالدّرجة الأولى، من هنا أهميّة الدّعوة للعلمنة"، بيد أنّ العلمنة في نظري لا تحقّق قيمتها إذا لم تنطلق من النّزعة الإنسانيّة الواحدة، وإلّا "فقد عمدت الامبرياليّة إلى تعزيز الطّائفيّة .... وترسيخها في خدمة مصالحها، والإبقاء على سيطرتها"، واستغلالها لخيرات هذه الشّعوب، وخلق الصّراعات والحروب فيها، وتمكين كيانات عبثيّة تسعى لخرابها كما في فلسطين من الكيان المحتل، وما يحدثه حاليا من إبادة في غزّة، ودمار في لبنان وباقي فلسطين.

ما نراه حاليا في وسائل التّواصل الاجتماعيّ من استحضار الطّائفيّة من جديد، وفتح ملفات لصراعات سياسيّة حصلت بعد حادثة السّقيفة (11ه)، وإعادة بعث بعض الجدليّات حول الصّحابة، وبعض الخلافات الكلاميّة والفقهيّة، وتوظيفها في هذا السّياق، وهو سياق ينبغي أن نتجاوز فيه جميع الخلافات، وأن يكون التّركيز فيه على قضيّة الإنسان في فلسطين أو لبنان، باعتباره إنسانا يتعرّض لإبادة وحرب همجيّة، يجب حمايته والدّفاع عنه، وليس إشغال الإعلام بهذه الجدليّات الطّائفيّة.

إنّ استحضار الطّائفيّة في هذه القضيّة الإنسانيّة إذا لم يقف ضدّها العقلاء، ويستبدلونه بخطاب إنسانيّ عالمي واحد؛ لن يتوقف ضرره إذا تحول كحالة جمعيّة عند هذه القضيّة، ولن يقتصر عند مناطق الحرب والإبادة، فيمتد لساحات جغرافيّة أوسع كما يرى محمّد محفوظ في مقاله الدّولة والطّائفيّة وإشكاليّات الوحدة والسّلم المجتمعيّ، والّذي نشر في مجلّة الكلمة، فيرى أنّ "لجوء تعبيرات المجتمع لهذه العناوين [الطّائفيّة] يعكس ... أزمة عميقة تعيشها المجتمعات العربيّة كلّها، إذ تلاشت أو اضمحلت عناوين ويافطات الانتماء السّياسيّ الحديث، واستبدلت بعناوين طائفيّة عصبويّة، تزيد من حالة التّوتر الاجتماعيّ،

وتعيد إنتاج أزمات المجتمعات العربيّة بإحن ومشاكل ذات طابع تأريخيّ مليء بالأحقاد والإرث الدّامي للعلاقة بين الطّوائف الإسلاميّة في حقب التّخلّف الحضاريّ ... فالأحقاد الطّائفيّة تصنع مبررات ومسوّغات استخدام العنف في الحياة العامّة ... الّذي يدمر الإنسان والمجتمع والبنية التّحتيّة للحياة الكريمة بكلّ تفاصيلها".

لهذا يجب اليوم على أصحاب الأقلام المتنورة، ومن المؤثرين دينيّا وثقافيّا واجتماعيّا، تفكيك بنية هذا الخطاب الطّائفيّ، والعودة إلى الخطاب الإنسانيّ المشترك، كما يجب مواجهة هذه الخطابات الشّعبويّة، والجيوش الالكترونيّة – إن صح التّعبير -، والّتي تحاول إرجاع خطابات الكراهيّة والطّائفيّة من جديد، واستغلال الحالة غير الإنسانيّة الّتي تعيشها فلسطين ولبنان في توسيع دائرة الانقسام المذهبيّ، خصوصا وأنّ العقل الجمعيّ اليوم أصبح مستقبلا بشكل كبير من المقاطع القصيرة، والتّغريدات والرّسائل السّريعة، والّتي تحمل مضامين طائفيّة تدعو إلى التّعصّب والكراهيّة، واستحضار خلافات تأريخيّة ولاهوتيّة وفقهيّة، كما يجب استخدم ذات الأدوات في نشر أهميّة الإحياء، ومقاومة ظلم الإنسان، وبعث النّزعة الإنسانيّة الواحدة، وعدم الاقتصار عند الكتب والمقالات الطّويلة، فالوضع اليوم يحتم علينا تجاوز هذه المرحلة بروح نقديّة وإحيائيّة، ونقترب من الذّات الإنسانيّة الواحدة، بحيث يشكل وعيا أفقيّا جمعيّا يؤثر على الحراك الاجتماعيّ، والقرار السّياسيّ.

## ذهب ترامب جاء ترامب[15]

لمّا اقتربت فترة نهاية حكم دونالد جون ترامب في 20 يناير 2021م، في رئاسته للولايات المتحدة الأمريكيّة في دورتها الرّئاسيّة الخامسة والأربعين؛ لمّا اقتربت فترة نهاية رئاسته فرح العديد من قومنا، حيث اتّهموه بالغباء والجنون، واستبشروا خيرا بجوزيف بايدن، وأنّه من الحزب الدّيمقراطيّ، وصفّقوا له وابتهجوا بفوزه، وما هي إلّا أربع سنين فقط، وليست قرنا أو نصف قرن، إلّا ويتكرّر الحال، ليفرحوا بفوز ترامب في جولته الحاليّة في 20 يناير 2025م، وكأنّه المخلّص المنتظر هو وحزبه من جرائم الدّم بحقّ أبرياء في فلسطين ولبنان وغيرها، ونسوا أنّ الحزب الجمهوريّ ارتبط بدماء بريئة في عالمنا العربيّ خصوصا في عهدي بوش الأب والابن، ولسان حالنا: ذهب الرّئيس جاء الرّئيس.

المشكلة لمّا ندور مع الشّخوص لا مع المبادئ والقيم، ولمّا نريد أن نجعل من أنفسنا عالة على الآخر، فنظل عالة على الأمم، تحرّكنا أمم أخرى كما شاءت، ونحن أسرى لها إن شرّقت وإن غرّبت، وحديثي هنا عن الكاتب والمثقف، فهو ليس سياسيّا يدور مع المصلحة، وليس إعلاميّا للسّلطة أو طمعا للشّهرة ليبرّر لهذا وذاك كان حسنا أم سيئا، وليس مقدّسا هائما في حبّ فقيه أو عالم دين يرى لا صواب بعد رأيه، وليس عالقا في الماضي يريد أن يجعل الحاضر مرهونا به، بل هو المثقف الّذي يعيش واقعه وفق المبادئ، يتجاوز الشّخوص إلى تحليل الأحداث وفق قيم الإنسان الكبرى، فلا يعلق في الشّخوص حبّا أو ذمّا ليفهم ويحرّك بها الأحداث والأفكار، بل يحاكمها بمنطق المبادئ والقيم، فليس عدوا للماضي أو السّلطة أو المجتمع، لكنّه راصد وناقد لها، وفي الوقت نفسه داعم لحسناتها، ومؤيد لإيجابياتها.

عندما يكون المثقف كذلك في عالمنا العربيّ، متحرّرا من الماضي والسّلطة والمجتمع والمال والشّهرة، بمعنى لا يدور حولها، وإن أتته تبقى المبادئ لديه حاضرة؛ لن نجد هذه السّطحيّة اليوم في التّعامل مع الأحداث، والانقسامات الواضحة والّتي ليست انقسامات فكريّة نقديّة؛

[15] جريدة عمان وصحيفة المثقف.

بل انقسامات نتيجة تبريرات لسلطة أو مجتمع، أو لأجل شهرة ومنفعة في وسائل التّواصل الاجتماعيّ، ممّا سقط أثره على المثقف ذاته، وعلى المجتمع العربيّ ككل، فأمّا المثقف أصبح لا ثقل له إلّا ما رحم، ولم يعد له تأثيره في الرّأي العام، وأمّا واقع المجتمع العربيّ فأصبح مشتتا مضطربا، لا زالت حروب تعصف بأجزاء مهمّة منه، ضحية سياسيين لا همّ لهم ذات الإنسان العربيّ، يتبعهم مثقف لا يدور مع الإنسان العربيّ العابر لحدود جغرافيّة دوله، بل أصبح سجينا في صندوق الدّول القطريّة، لا يتجاوز تبرير فعل سياساتها، وواقع مجتمعاتها، حسنا فعلت، أم سيئا اجترحت، فالأمر في تبريره سيّان.

هذا الحال نجده واضحا أمام فوز دونالد ترامب، فينقلب الفرح بذهابه إلى فرح برجوعه، ومن كونه سبب البلايا في واقعنا العربيّ، إلى كونه المخلّص المنتظر لإيقاف الحروب، وتحسين المسار، نعم، لا ينكر أحد ثقل الولايات المتحدّة الأمريكيّة، وهي أكبر من الرّئيس نفسه، ولها تأريخها وسياساتها، ولا ترضى أن يكون هناك ثقل أو قطب آخر يزاحمها، وكونها حامية لكلمة الرّب وفق التّصوّر البروتستانتيّ الكالفينيّ، فهي تدافع على بقاء إسرائيل كما هي تمهيدا للمجيء الثّاني للمسيح، فأمريكا معقدة سياسيّا ودينيّا، وليس فقط سياسيّا.

كما أنّها لا يهمّها العالم العربيّ، وواقع الإنسان فيه، بقدر ما يهمّها تحقّق مصالحها الاقتصاديّة والاستعماريّة في هذا الجزء من العالم المليء بالمنافع الاقتصاديّة من نفط وغاز ومياه وثروات معدنيّة وحيوانيّة وزراعيّة وبشريّة، وأنا أتحدّث هنا عن سياسات لا عن منظمات حقوقيّة وإنسانيّة في أمريكيا ذاتها لطالما دافعت عن أمم قصّر أهلوها في الدّفاع عنها، فالسّياسة الأمريكيّة تنظر إلى ذاتها أنّها الواحد الأحد الّذي لا ثاني لها، ومن يقترب من ذلك لن يكون حاله بأفضل حالا ممّن سبق، كان مصيرهم الحصار أو الفوضى والدّمار، أو القتل والاغتيال والنّفيّ.

وترامب ليس خارجا عن هذه السّياسات، بقدر ما لديه قدرة على استحمار أمّة لأجل كسب أكثر عدد من المنافع الماديّة، فيهدّد تارة بتخفيض أسعار النّفط، ويبتز ويغري في تارات أخرى، ولأسباب ضعف المثقف كما أسلفت، نجد فوضى إعلاميّة في الفرح والبغض معا، فنبقى

نحن العرب رهين أمم أخرى، فلا ذات تجمعنا، ولا قوميّة نجد فيها ما يوحدنا، ولا ذات إنسانيّة واحدة نسعى لإحيائها، وندافع عن وجودها وكرامتها.

لا أقصد بهذا أن نشعل حروبا في المنطقة، أو نهدم بنيانا آمنة مطمئنة، لكن إذا أدركنا أنّ قوتنا في ذاتنا بإحيائها، وفي أقطارنا باستقرارها، وفي هويتنا بتنميتها والمحافظة على تعدّديّتها، وفي واقعنا المعاصر بتحقيق نهضتنا المعرفيّة والإبداعيّة والإنتاجيّة؛ هنا العالم سيحترمنا، وسيجعل لنا قيمة بين الأمم، يحترمنا باعتبار ذواتنا لا باعتبار ما يسلبه من خيراتنا، فإن كنّا أقوياء في ذواتنا، لا تفرقنا أقطار لها حدودها الجغرافيّة، ولا تعوقنا تعدّديّة لأسباب دينيّة أو مذهبيّة أو لغويّة أو ثقافيّة، بل هذه التّعدّديّة حالة قوّة وثراء، حينها سنعيش واقعنا بعين الإحياء والبناء، والإبداع والاختراع، ممّا يجعل العالم ينظر إلينا بعين الرّهبة والاحترام والتّعظيم، وهذا يبدأ مع المثقف عندما يتحرّر من مصالح الواقع، وضغوط السّاسة، وسجن المجتمع، حينها لا يهمنا أجاء ترامب أم ذهب، بقدر ما يهمنا واقعنا ككل، هل يتقدّم إلى الأمام، أم يتراجع إلى الخلف؟!!

## سبيطلة والمراجعات المعرفيّة الإنسانيّة[16]

سبيطلة تلك المدينة التّونسيّة الموغلة في القدم بتراثها الرّومانيّ والبيزنطيّ، وما يشمله من معابد وكنائس ومقابر وحمامات وأعمدة ومسرح لا زال صامدا حتّى اليوم، كما لا زالت تحتفظ بآثار الحضارات النّوميديّة والرّومانيّة والبيزنطيّة، فضلا عن الإسلاميّة لاحقا، وهي اليوم تتبع ولاية القصرين في وسط غرب تونس، والقصرين ذاتها تحمل آثارا لها عراقتها، وتحتفظ بشواهد تراثيّة رومانيّة وبيزنطيّة، تجد فيها الأقواس العالية، والأضرحة والمسارح والحمامات وغيرها.

المسافة من تونس إلى سبيطلة قرابة ثلاثمائة كيلو مترا، فتحتاج من أربع إلى خمس ساعات لتصل إليها برا، حيث تونس توقفت قليلا في نهضتها الطّرقيّة، والعديد منها لا زال يعود إلى عهد الحبيب بورقيبة (ت: 2000م)، وشيء من بعده، ومع هذا تجد إصلاحات في أماكن مختلفة، بيد أنّها اليوم تعيش حالة من التّعافي والإحياء والاستقرار الأمنيّ والسّياسيّ بعد أحداث الرّبيع العربيّ، فسبيطلة ذاتها تبعد حوالي ساعة واحدة فقط من سيدي بوزيد والّتي انطلقت منها أحداث الرّبيع العربيّ.

ومع هذا، وأنت تتأمل في طريقك تدرك حقّا معنى "تونس الخضراء"، هناك ترى أشجار الزّيتون، وتشاهد الجبال والسّهول متزينة بالثّوب الأخضر، وترى النّاس كبارا وصغارا، نساء ورجالا في الأسواق طول الطّريق يسعون في طلب الرّزق، ويحملون طيبة وتواضعا وخلقا في تعاملهم مع الغريب، كما ترى ألوانا مختلفة من النّاس فردانيّون بطبعهم، لا يشتغلون بالآخر سلبا، فلكل له قناعاته وحرّياته، وهذا تطبعوا عليه، وصارت ثقافة في مدنهم وقراهم، وعند كبارهم وصغارهم.

للأسف – وهذه أشرت إليها في أكثر من مناسبة – أن نجد الهجرات السّياحيّة إلى عوالم أخرى أقلّ جمالا وطبيعة خلّابة وأثريّة في أجزاء من العالم من قبل أبناء العروبة أنفسهم، بينما

[16] جريدة عمان.

هناك جنان في عالمنا العربيّ، وشواهد أثريّة موغلة في القدم والعراقة، لا يكاد يلتفت إليها أو يهتمّ بها، ولا تملك أدنى المقومات السّياحيّة، والّتي تساهم في إحياء الوطن العربيّ ككل، ثمّ لا زالت خطابات السّياسيين في عالمنا العربيّ في جملتها في قممنا المتناثرة تكرّر ذات البيانات، بينما لا نجد حضور الجانب الإحيائيّ للوطن والإنسان العربيّ حاضرا بصورة جدّيّة وعمليّة، بما في ذلك الإحياء السّياحيّ.

لهذا حاولت سبيطلة بإمكاناتها البسيطة أن تغيّر هذه النّظرة، انطلاقا من رؤية المعهد العاليّ للدّراسات التّطبيقيّة في الإنسانيّات التّابع لجامع القيروان، والّذي مقرّه سبيطلة ذاتها، وهنا من خلال استغلال المعابد الأثريّة الرّومانيّة ذاتها ليس في السّياحة العامّة في هذه المرّة، ولكن في السّياحة المعرفيّة من خلال ندوة المدينة السّنويّة، والّتي غايتها مناقشة مفردة الإنسان وحقّه في الإحياء، ومن الإحياء إحياء الإنسان العربيّ، أيّا كان قطره ودينه وتوجهه، لبعث روح الحاضر وليس العيش في الماضيّ، وروح البناء والسّلم وليس الصّراع والهدم، وروح النّقد والمراجعة، وليس التّعصب والجمود.

"ندوة المدينة" في الوقت ذاته لم ترد أن تجعل ذاتها ندوة سلطة، غايتها أن تمجد حكومة أو سياسة ما، فهنا لا شيء يمجد إلّا العلم والمعرفة، وليست ندوة رسميّة صوريّة، يستدعى لها شخوص لاعتبارات منصبيّة، يقدّمون أوراقا قد تكتب لهم، أو ينتحلون بعضها، أو لا يهتمون بها فتظهر ركيكة، فهي ندوة مفتوحة للباحثين في العالم العربيّ وفي المهجر، يتقدّم لها من يملك مرتبة منصبيّة ومن هو دون ذلك، كما يتقدّم لها أساتذة الجامعات وطلابها معا، والحكم أن تدخل البحوث لجنة التّحكيم، والّتي يشارك في تحكيمها مالا يقلّ عن أربعين محكّما من تونس وغيرها، فقد يقبل بحث طالب ويرفض بحث أستاذه، فالعبرة بالمادّة المقدّمة وليس بالاعتبارات الثّانويّة، كما أنّ للباحث سقفه المفتوح في طرح رؤيته بلا قيود، فلا توجد قيود سياسيّة أو دينيّة أو اجتماعيّة في طرح الفكرة والمعرفة، سواء في كتابة البحث وتقديمة، أو في طرح ملخصه، ما دام بحثا معرفيّا ومنهجيّا، لهذا تجد في النّدوة ألوانا مختلفة من النّاس، من ذات

اليمين وذات اليسار، وحدّتهم روح المعرفة والعقل والنّقد والتّثاقف، فلا تعصب لفكرة، ولا صراخ لأجل رأي، فلك كغيرك حقّ النّقد والتّعبير بكل حريّة ومحبّة.

ركزت "ندوة المدينة" في سنواتها الأربع الماضية منذ انطلاقها عام 2021م وحتّى 2024م على الإنسان، بدءا من الإنسان واللّغات بين الهويّة والتّعليميّة، ثمّ الإنسان والأديان، ثمّ الإنسان والتّأويل، وأخيرا الإنسان والتّعبير، والجميع متلازم، ويعطي صورة معرفيّة عامّة عن الإنسان، من خلال ذاتيّته، أو من خلال انتماءاته وهويّاته، والمتشكلة في لغاته وأديانه ومذاهبه وتوجهاته وعاداته وتقاليده، والّتي يجمعها ذات مشتركة، ينتج عنها السّلم والإحياء والبناء، ومع هذا الإنسان غير منفصل عن ماضيه، فهو يحمل نصوصا مقدّسة، وتراثا إنسانيّا معرفيّا، لهذا يأتي التّأويل وإعادة مناهج القراءة والتّفكير، لنعيش الواقع بروح الواقع دون الانفصال عن الماضيّ، فالتّراث الإنسانيّ متراكم ومترابط ومرتبط بظرفيّاته، لهذا يأتي أهميّة التّأويل، ولكن لا يمكن تحقّق التّأويل دون توفر مساحة من حريّة التّعبير، ليس كمناخ يشعر فيه الباحث بالإطمئنانة، ولكن كمفردات دقيقة لها دقتها التّعبيريّة في البحث والتّأويل، وإلّا ستكون مجرد انطباعات هامشيّة، أو إسقاطات مسبقة، أو قراءات هزيلة.

حاولت النّدوة أن تنفتح على المعارف الإنسانيّة المعاصرة، وأن تستفيد من الأدوات النّقديّة العقليّة واللّغويّة واللّسانيّة والفلسفيّة وغيرها، وأن تنفتح على جميع الثّقافات واللّغات، فبجانب العربيّة وهي الأغلب، فهناك بحوث بالإنجليزيّة والفرنسيّة والإسبانيّة والإيطاليّة، كما أن هناك باحثين من العديد من الأقطار العربيّة بمختلف توجهاتهم، ومنهم من خارجها، لهذا نحن كما نسعد أن يكون في وطننا العربيّ، وفي منطقة نائية من تونس مثل هذه النّدوات المحكّمة، حيث كتابها المحكّم والّذي يحوي هذه البحوث العميقة يكون حاضرا قبل انعقاد ندوتها، رغم إمكاناتهم المحدودة، كما يكون حاضرا في الجامعات والمعارض الدّوليّة، لتصبح ندوة المدينة من أهم النّدوات المعرفيّة في تونس اليوم على الأقل؛ عليه أرجو مثل هذه التّجارب أن تكون حاضرة في وطننا العربيّ، بدلا من ضخ الأموال في أوراق هزيلة، فليست العبرة بكثرة الشّخوص، وإنّما العبرة بجودة المادّة المقدّمة، كما ينبغي أن نستفيد من أهميّة وجود

فضاءات معرفيّة حرّة بعيدا عن القيود الخارجيّة، فالمعرفة النّقديّة إذا حدّت هزلت وربما تموت مبكرا.

## سياحة جامع السّلطان قابوس الأكبر وخطوة في مجال التّصحيح[17]

السّياحة الدّينيّة من أهم أنواع السّياحة في العالم لا تقلّ أهميّة عن مثيلاتها من أنواع السّياحة الأخرى، وقد كتبتُ مقالة سابقة في جريدة عُمان بعنوان: السّياحة الدّينيّة في عُمان، وممّا ذكرتُ في مقدّمته أنّ "السّياحةُ الدّينيّة بما تحمله هذه المفردة من أبعاد روحيّة وطقوسيّة، وآثار ماديّة كدور العبادة والنّقوش والمقابر، وتأريخ ديني عريق، وتنوع دينيّ ومذهبيّ، ومعارف طقوسيّة وكلاميّة وعرفانيّة، وتصوّرات وأساطير وشيء من الخرافة، لما تشكله الذّاكرة الدّينيّة من تراكمات روحيّة وطقسيّة لأزمنة موغلة في القدم، ومحاولة مبكرة لفهم الوجود، وتشكل العلاقات المجتمعيّة، فلها تأثيرها على الفنون والعادات والتّقاليد، كعادات الزّواج والولادة والدّفن والنّواح وغيرها".

ولأني كثير التّردّد على جامع قابوس الأكبر بمحافظة مسقط، خصوصا على مكتبته العامرة بأكثر من خمسين ألف عنوان حتّى الآن، وأيضا سبق لي أن كتبت عن هذه المكتبة بشكل سريع؛ أرى في هذا المعلم الدّينيّ حضورا واسعا من السّياح من العالم، ومنه العالم العربيّ، ولا يكاد زائر يزور عُمان إلّا ويأخذ جولة في الجامع، إلّا أنّه لم يكن يوجد هناك تنظيم واستثمار سياحيّ حقيقيّ لهذا المعلم، وأحيانا تسمع الصّراخ من هنا وهناك، وفيه حديقة جميلة يمكن أن تستثمر في مقهى، ومكان للتّصوير والإبداع، كما رأيته في حديقة ضريح الشّاعر الفارسيّ الشّهير حافظ الشّيرازيّ (ت 792هـ/ 1390م) في شيراز بإيران.

كما نجد استغلالا للسّائح من قبل بعض الشّركات السّياحيّة، وأحيانا ينقلون معلومات ومفاهيم مغلوطة لعدم اطّلاعهم وتخصّصهم، كذلك من قبل بعض سيارات الأجرة، والّتي تستغلّ السّياح، فتنقل صورة سيئة عن عُمان، وكنت أرجو لكون هذا الجامع أكبر معلم دينيّ في عُمان، وبوابة السّياحة الدّينيّة في السّلطنة، أن يرفق بمتحف يعرّف بالثّقافة الدّينيّة في

[17] جريدة عمان.

عُمان قديما وحديثا، وبتعدّدها الدّينيّ والمذهبيّ، وبتسامحها وتعايشها، مرفقا بالصّور والنّقوش والمخطوطات والرّسائل، وأن يكون بوابة للسّائح لزيارة المعالم الدّينيّة الأخرى في البلد.

وأسعدني ما وجدته مؤخرا من تنظيم لهذا الجامع، من قبل الجهة المختصّة، وتشجيعها للشّركات الصّغيرة، مع تعجبي من الجدل السّلبيّ الّذي شاهدته في بعض وسائل التّواصل الاجتماعيّ، وقد قرّرت الذّهاب بنفسي، وقراءة الواقع عن قرب، فأدركت أنّ العديد ممّا تسمعه في وسائل التّواصل ليس صحيحا، والعديد من الكلام عن عجل، وعن عدم تثبت وتأنيّ، ولا أريد الدّخول في النّيّات، فقد يكون صادقا، لكن يحتاج إلى تثبت وتأني قبل التّسرع في إطلاق الأحكام.

شاهدت فتية يقتربون من أربعين موظفا، يتحدّثون بما يقارب عشر لغات، معهم أفواج من السّياح بالعشرات يوميّا، ومنظّمون في أفواج منتظمة، وبطرق واضحة، يحملون ثقافة واسعة عن المعلم ومرافقه، وعن الثّقافة الدّينيّة في عُمان، وعن نقوشها وفنّها، فلا استغلال لسائح، ولا فوضى في زيارة المعلم، ولا معلومات خاطئة توصل إليهم، مع تدريب القائمين بالتّفويج السّياحيّ على حسن المعشر، وجميل الخلق، فينقلون صورة حسنة عن هذه البلاد، لهذا ما رأيته كانت خطوة مهمّة في مجال تصحيح المسار، فليس الخطأ أن تأتي متأخرا، لكن الخطّأ أن تظلّ في مكانك ولا تتقدّم لتصحيح الخطأ.

كما سمعت منهم أنّ المشروع لا زال في أيامه الأولى، وهناك برامج سياحيّة للمعلم، كتوفير سماعات ترجمة مباشرة، وتوفير ما يتناسب في السّياحة من مقهى متطوّر وتصوير وملابس وعيادة متنقلة وعناصر السّلامة وغيرها، فضلا عن توفير فرص عمل جديدة، وخلق وظائف للباحثين، وجميع الكادر من العمانيين أنفسهم، ومن جيل الشّباب، وهذا يعطي صورة حسنة للجانب السّياحيّ، وفي الوقت ذاته استثمار مثل هذه المعالم هي الصّورة الحسنة، بدل العشوائيّة، وسوء التّنظيم، فضلا عن سوء استغلال مثل هذه المعالم.

إنّ تفعيل الجانب السّياحيّ لهذا المعلم يعطيه صورة متكاملة، ففي المنظور الجمعيّ يقتصر عند الصّلاة والجمعة، بيد أنّه واقعا أوسع بكثير، ففيه - كما أسلفت – مكتبة من

أضخم المكتبات في عُمان من حيث جودة العناوين، وما توفره من جاهزيّة للباحثين، يقصدها باحثون من عُمان وخارجها، وفيه قاعة لطالما شهدت فعاليّات ومؤتمرات وندوات محليّة ودوليّة، وملحق به مركز ومعهد للدّراسات الإسلاميّة والشّرعيّة بجانب المواد الأساسيّة، وفيه مركز للتّعريف بالإسلام وسماحته وتعايشه، كما فيه حديقة غنّاء تضفي جمالا وبهاء للموقع، كلّ هذا إذا أضيف إليه متحف يروي ذاكرة عمان الدّينيّة، وإذا ألحق به زوايا للإبداع والفنّ والرّسم والنّقش، خصوصا في الجوانب الدّينيّة والإسلاميّة، ومقاهي للحديث والمثاقفة، وأماكن تصوير للذّكرى والتّوثيق، جميع هذا يعطيه صورة سياحيّة متكاملة، وجذبا أكبر للسّياحة.

إنّ تفكير العقل الجمعيّ في تنشيط الثّقافة السّياحيّة، كما شاهدناه في بعض الحارات العمانيّة؛ لهي حالة صحيّة، وتحتاج إلى دعم مجتمعيّ، كان رسميّا أم أهليّا، هذا لن يخلو من أخطاء، لكنّه الصّورة الصّحيحة لرقيّ وتطوّر المجتمع سياحيّا، كما أنّ تشجيع الشّركات الصّغيرة والمتوسطة، يساعد في خلق وظائف أفقيّة تساهم في دوران المال بشكل إيجابيّ، وتوسع من دائرة الأمان المعيشيّ، وهذا ما نلحظه اليوم في جامع قابوس الأكبر، فعلينا أن نعطي الشّباب شيئا من الثّقة، وشيئا من سعة تجربة المحاولة، وأن لا نكون مطلقا عنصر تذمّر وتنمر، مع الحالة السّلبيّة الّتي لا تتوافق والحالة الإيجابيّة الّتي ينبغي أن تصاحبنا في مثل هذه الجوانب التّصحيحيّة.

## عام ميلاديّ جديد وو اقع عربيّ مضطرب[18]

في هذا اليوم "الأربعاء" نبدأ سنة ميلاديّة جديدة، بدخول عام 2025م، وكنا نرجو في غالب العالم العربيّ أن تمتدّ فيه دائرة الإحياء بشكل أوسع، وينعم أقطاره بالأمن والسّلام وتحقيق ذات الإنسان، وأن تبنى دوله على المواطنة حسب الذّات الواحدة، وأن تكون العلاقة بين دوله علاقة حازمة في إحياء جميع أقطاره، وتجفيف منابع الحروب والدّمار والتّطرّف والكراهيّة والتّدخلات الخارجيّة والاستعمارات المبطنة، كما كنّا نرجو من تحقّق الوحدة العربيّة البنائيّة حول الذّات الإنسانيّة، مع حريّة الخصوصيّات، وتوسيع دائرة حريّة الانتماءات، لتكون في دائرة بناء الذّات لا إماتتها.

هذه الأمنيات ونحن نودّع عام 2024م لا أقول إنّها أصابتنا باليأس المطلق ونحن نرى واقعنا العربيّ في هذه اللّحظة، ولكن بلا شكّ أصابتنا بخيبة الأمل، فخطّ الفقر لا زال يتمدّد بشكل مخيف جدّا، والتّأثر بالأفكار الماضويّة والمتطرّفة لا زالت تجد آذانا تستجيب لها، وتستغل وسائل التّواصل الاجتماعيّ كمنبر إغرائيّ رئيس لها أيضا، كما أنّ الخطابات العموميّة وغير العقلانيّة، والصّراعات الطّائفيّة تحاول من جديد أن تصعد إلى السّطح مرة أخرى، أمام واقع سياسيّ غير مستقر في أقطار عربيّة مهمّة، حيث لا يكاد يوجد فيها دولة وطنيّة قطريّة واحدة منتظمة، تحمي فضاءاتها أو على الأقل تحجّمه بشكل أكبر أمام الواقع الإحيائيّ والوحدويّ التّنمويّ.

ما حدث في غزّة هذا العام واقع مؤلم لارتفاع قيمة هذا الإنسان، حيث ينعدم التّأثير العربيّ الموحد، سياسيّا وثقافيّا واجتماعيّا دينيّا في المحافظة على كرامته، بعيدا عن الحدث ذاته، فالحدث أيّا كان إيجابا أو سلبا، ومن يتسبّب ظاهريا في حدوثه، يمينيّا أم يساريّا أم ما بينهما؛ لا يرفع هذا بحال كرامة ذاتيّة الإنسان، وحقّها في تحقّق الكرامة الإنسانيّة، ولا يجوز

[18] جريدة عمان.

الاعتداء عليها، كما لا يجوز الوقوف مع المعتدي، وتبرير فعله، على الأقل أن يكون المدار هو ذاتيّة الإنسان، وليس الأعراض الجانبيّة.

من المؤسف حقّا، أن نتحدّث في عام 2024م عن الطّائفيّة، ونحن أمام دماء تسال، وأبرياء يشردون، لا يملكون أدنى ما يتحصّل عليه الإنسان من كرامة ماديّة، ونحن نتصارع على خصوصيّات وانتماءات هويّاتيّة، أو قضايا أحداث ماضويّة، وصراعات لاهوتيّة عفا عليها الزّمن، والعقل الإنسانيّ اليوم يكشف ما في الكون من سنن ونظم لأجل الإنسان، وهناك من يسخر هذا لأجل دمار البشريّة، ونشر الحروب والصّراع فيها، وتمديد دائرة خراب الأوطان، وأكل خيراتها، وانتشار الفقر والبطالة والصّراعات الأهليّة فيها.

ما رأيناه في عام 2024م من عدم استقرار في العديد من أقطار العالم العربيّ، بين دول يعمّها الصّراعات الأهليّة، ودول تعيش تحت إملاءات تدخلات القوى الخارجيّة، ودول تعيش تدنيّا اقتصاديّا مع إمكاناتها الماديّة، والقليل جدّا من بقي في دائرة الاستقرار، ومع هذا يراد أن تتمدّد الدّائرة، فتلتهم ما بقيّ، ويبقى العالم العربيّ منذ بدايات الإفاقة، والتّحرّر من الاستعمار، في النّصف الثّاني من القرن التّاسع عشر، ونحن اليوم في القرن الحادي والعشرين فقيرا ممزقا، ولا زالت الوحدة العربيّة بمعناها الإحيائيّ الكلّي، وليس بالمعنى الاستعماريّ، والتّدخل في الشّؤون الدّاخليّة للأقطار، لا زالت – للأسف – في واقعنا العربيّ يرثى لها، وما حدث من أحداث في 2024م يدلّ أننا نتراجع إلى الخلف، ولا نتجه إلّى الأمام، هذا في الجملة بعيدا عن التّعميم، والإضاءات الإيجابيّة في بعض الأماكن.

كما للأسف تراجع قلم المثقف المستقل أمام شهوة الإعجابات في وسائل التّواصل الاجتماعيّ، حيث يغيب قلم المثقف المستقلّ عن سلطة السّلطة السّياسيّة والاجتماعيّة والدّينيّة، ليقع في سلطة وسائل التّواصل الاجتماعيّ، وتكون هذه الوسائل تمظهرا جديدا للسّلطات الثّلاثة: السّياسيّة والاجتماعيّة والدّينيّة، في ممارسة الإقصاء المبطن، والقتل البطيء، والتّنمر الممنهج أمام الأقلام الثّقافيّة المستقلّة، والّتي تعنى بالإنسان، وتعنى بإحيائه وإنمائه، فنجد أقلاما خفتت أمام هذه الفوضى والجيوش الالكترونية الممنهجة، ثمّ أنني لا

أقصد بالأقلام هنا هي الّتي غايتها النّقد لأجل الظّهور وتسجيل الحضور؛ إنني أقصد بالأقلام هي الّتي غايتها ذات الإنسان العربيّ، أيّا كان موقعه الجغرافيّ، وأيّا كانت انتماءاته وخصوصيّاته.

لا أدري هل سيكون واقعنا العربيّ في عام 2025م يتجه نحو الأفضل في توسع دائرة الأمن والاستقرار فيه، وتحقّق دائرة الإحياء والنّماء بشكل أفقيّ أكبر، أم ستتوسع – لا قدّر الله – دائرة الاضطرابات، وتتمدّد دائرة الفقر والتّدنيّ المعرفيّ والمعيشيّ، فاللّحظة الّتي نستقبل فيها هذا العام مربكة جدّا إلى درجة الخوف من المستقبل، ولكن كثيرا ما يظهر النّور من كتمة الظّلام، ويولد الخير من بطن الشّر، وهذا ما أرجوه لواقعنا العربيّ، إذا ما وجدت الإرادة، شريطة أن يتحرّر من انتماءاته الضّيقة، إلى الذّات الإنسانيّة الواحدة، ومن الخلاصات الماضويّة إلى الواقع الإنسانيّ المعاصر، ومن الانقسامات لولاءات خارجيّة، إلى وحدة الذّات العربيّة الواحدة، فالقوميّة كما أسلفت هنا ليست في بُعدها الاندماجيّ، وليست في جانبها الاستعلائيّ على الآخر من داخلنا نحن، فنخرب بيوتنا بأيدينا، ولكن القوميّة الّتي أقصدها في بُعدها الإحيائيّ والنّهضويّ، فلتبق الأقطار كما هي، والنّاس أحرار في شؤون دولهم الوطنيّة، ولكن علينا أن نقف مع أيّ دولة عربيّة إحيائيّا وبنائيّا، وأن نعنى بأيّ ذات عربيّة من المحيط الأطلسيّ إلى بحر العرب، كعنايتنا تماما بأيّ ذات إنسانيّة في العالم الإنسانيّ الواسع أيضا.

## عُمان بعد خمس سنين من حكم السّلطان هيثم: من ثمارهم تعرفونهم[19]

جاء في الأثر القديم عن السّيّد المسيح: "تعرفونهم من ثمارهم"، ولا شكّ مقياس الأثر ليس بكثرة الخطابات والوعود، وكثرة الحديث والكلام، فهذا سهل الكلّ يتقنه، والكلّ يستطيع فعل ذلك، ولكن ليس من السّهولة إدراك ثمرة ذلك؛ لأنّ الواقع يصدّق ذلك أو يكذّبه، ولا يمكن بحال خصوصا في عالم الإعلام المفتوح اليوم، وفي ظلّ التّقارب البشريّ نتيجة وسائل التّواصل الاجتماعيّ تسويق ما يخالف الواقع، فالشّعوب مدركة تماما لأثر الواقع، فهي تعيشه عن معايشة وقرب وتفاعل.

وعُمان في نهايات العقد الثّاني من القرن الحادي والعشرين (2014 – 2020م) مرت بتحدّيات خارجيّة وداخليّة، أمّا التّحدّيات الخارجيّة كان على رأسها التّحدّيات المترتبة لما بعد أحداث 2011م، وسقوط أنظمة، وعدم استقرار دول المنطقة، وتطوّر داعش وتمدّدها من العراق إلى الشّام بعد أحداث سوريا، واستغلالها الإعلام الرّقميّ في جذب قاعدة جماهيريّة للتّغرير بصغار السّنّ خصوصا، ومحاولة تجنيدهم لتحقيق أجندتها.

أيضا الأوضاع السّياسيّة في اليمن، والصّراعات الأهليّة فيها، وعودة الصّراع بين الشّمال والجنوب، ثمّ حرب اليمن 2015م، واليمن جارة لعمان، وتردي الوضع السّياسيّ والاقتصاديّ فيها بلا شك مؤثر سلبا على دول الجوار ومنها عُمان، لما تمثله اليمن من ثقل جغرافيّ واقتصاديّ وسكانيّ، ولما تحمله من تعدّديّة ثقافيّة وفكريّة، ولما تشترك به عُمان مع اليمن من حدود جغرافيّة وبحريّة وجويّة، ومن علاقات تأريخيّة، ومن مصاهرات أسريّة؛ يجعل التّأثير بينهما متداخلا إيجابا وسلبا.

الأوضاع السّلبيّة في العالم العربيّ والدّولي تمدّدت بشكل أفقيّ كبير، من الحرب الرّوسيّة الأوكرانيّة، وهي إن بدأت بشكل أكبر 2022م، بيد أنّ شرارتها تعود إلى ما قبل 2014م،

[19] نشر في الملحق الخاصّ في جريدة عُمان بمناسبة الذّكرى الخامسة لتولّي السّلطان هيثم لمقاليد الحكم في عُمان، والمشار إليه في البند رقم (43) من المجلّات والجرائد، ص: 6-9.

وهي عودة إلى صراع المعسكرين الشّرقيّ المتمثل في روسيا، والغربيّ المتمثل في أمريكا، هذا ذاته ما حدث في سورية من صراعات خارجيّة ضحيتها الشّعب السّوريّ، تمثلت بجانب أمريكا وروسيا في تركيا وإيران وإسرائيل وحزب الله اللّبنانيّ وبعض الدّول العربيّة والخليجيّة، تماثل مع سوريّة التّدخلات الخارجيّة في ليبيا والسّودان وتطوّرها إلى صراعات أهليّة، هذا التّشظي العربيّ جعل المناخ ملائما لإسرائيل في قيامها بأكبر حرب طويلة المدى، مدعومة من أمريكا وبعض دول الفيتو، حيث قامت بأكبر إبادة لشعب غزّة بعد 7 أكتوبر 2023م، وتمدّدت الحرب إلى بعض المدن الفلسطينيّة الأخرى وجنوب لبنان، كلّ هذا لم يخلو من سيناريو مقتل الرّئيس الإيرانيّ إبراهيم رئيسي ومن معه، ومقتل إسماعيل هنيّة في إيران، ومن رموز حماس وحزب الله، وعلى رأسهم يحيى السّنوار وحسن نصر الله في عام 2024م.

هذا المناخ السّياسيّ المضطرب يحمل شرارات حرب عالميّة جديدة، أمام تدني مستوى التّعقل من قبل العديد من السّياسيين، بيد أنّ عُمان ممثلة في نهج جلالة السّلطان هيثم بن طارق – حفظه الله - نفسه تمثلت سياستها الخارجيّة – في نظري - في ثلاثة جوانب رئيسة: الحياد والإحياء والإنسان، أمّا الحياد فقد حافظت على تقليدها القديم في احترام قرارات الشّعوب، وعدم التّدخل في الشّؤون الدّاخليّة، فكانت أذن خير في جميع الحالات، ففي الرّخاء والشّدّة سواء، تُبقي علاقاتها وسفاراتها الخارجيّة في جميع الحالات، مع احترامها لجميع القرارات الدّوليّة من جهة، واختيار الشّعوب من جهة أخرى، ولا تؤجّج فريقا على آخر؛ لأجل مصالحها الذّاتيّة، ولا تساهم في خراب البلدان لكي تحقّق أغراضا ماديّة، وإن كان هناك صلح ارتأته أو أريد منها لحياديّتها؛ فلا تتأنى في ذلك، وهذا ظاهر مثلا فيما يتعلّق بالجانب النّوويّ في إيران، والوضع الحوثيّ وحرب اليمن، كما ظهر ذلك في تعاملها مع حصار قطر من 2017م وحتّى 2021م.

هذه الحياديّة أعطت ثقلا لعمان وللمواطن العمانيّ بشكل عام، فأصبحت دول العالم تنظر إلى عُمان نظرة فيها الكثير من الثّقة والطّمأنينة، وارتبطت عُمان في جميع المحافل الدّوليّة بالسّلم والوضوح، فليس لها وجهان، وإنّما وجه واحد متمثل في المحبّة لجميع دول وشعوب

العالم، كانت في الشّرق أم في الغرب، تعمل في تحقيق ذلك دون ضجيج إعلاميّ، أو رغبة في الثّناء الكاذب، فالفعل والأثر خير شاهد وناطق بذلك، انعكس هذا الحال على المواطن العمانيّ ذاته، فأصبح جواز سفره، وانتسابه إلى عُمان محلّ ثقة وثناء في العالم، وقد حدّثني بعض الأصدقاء من بعض دول الجوار، أنّهم لمّا يكونون في بعض الدّول يظهرون أنّهم عُمانيون، ربّما لبعض العلاقات السّلبيّة مع دول ما، ثمّ أنّ اسم عُمان يعطي شيئا من الأمان والشّعور بالطّمأنينة، ومع هذا تحتاج عُمان إلى ترويج إحيائيّ وثقافيّ بصورة أكبر، واستغلال المنابر الثّقافيّة والرّياضيّة والفنيّة والاقتصاديّة خصوصا السّياحيّة في تحقيق ذلك.

ما يدلّ على هذا أنّ السّلطان هيثم بن طارق منذ توليه الحكم في 11 يناير 2020م قام بأكثر من عشرين زيارة دوليّة، ابتداء من زيارته إلى دولة الكويت تقديما للتّعازي في وفاة سمو الشّيخ صباح الجابر الأحمد (ت: 2020م)، تبعها زيارة إلى المملكة العربيّة السّعوديّة، فقطر والمملكة المتحدة والإمارات العربيّة المتحدة، وهكذا حتّى ألمانيا وسنغافورة والهند والأردن وتركيا وبلجيكا، والقيام بعشرين زيارة، في فترة غالبها صاحبها الغلق الجويّ بسبب فيروس كورونا، واضطرابات المنطقة سياسيّا؛ ليس رقما بسيطا، وجميعها كانت لأجل السّلام والإحياء والتّعاون البنائيّ والاستثماريّ في مختلف المجالات، وخصوصا المجالات الاقتصاديّة، وتأكيدا لدور عُمان، وبعثها لروح الإحياء والسّلم والبناء.

أمّا جانب الإحياء فعُمان وقفت – كما أسلفت – مع الخارج موقف الإحياء، فلم تكن شريكا في إثارة الحروب، أو حصار البلدان، أو إقصائها، فعلاقتها مثلا مع الجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة لم تتوقف من حيث الجانب الإحيائيّ والإصلاحيّ، بما في ذلك الجوانب الاستثماريّة والسّياحيّة، وفي الوقت نفسه لم تكن طرفا في دعم الميليشيات الّتي لها علاقة بإيران، أو الأحزاب السّياسيّة المنتمية إليها، والّتي لها أغراض لا تتناسب وسياسة عُمان الإحيائيّة، فعُمان تمايز بين الجوانب الإحيائيّة الإيجابيّة الّتي ترى ضرورة الاعتناء بها وتنميتها، وبين توجهات الدّول السّياسيّة، والّتي بعضها تتعارض مع المواثيق الدّوليّة، كذلك فيما يتعلّق بحرب اليمن فعُمان لم تدخل في هذه الحرب، ولكنّها وقفت مع الجانبين موقفا إحيائيّا إصلاحيّا إيجابيّا،

والأمر ذاته مع حصار قطر؛ هذه السّياسيّة الإحيائيّة الإيجابيّة استمرت مع عهد السّلطان هيثم بن طارق، وفوق هذا فتحت عمان أراضيها لضحايا الحروب، والنّازحين من الصّراعات الأهليّة، من سوريا واليمن والسّودان، وأخيرا من فلسطين ولبنان، فتحت لهم مدارسها ومستشفياتها، ومنهم من قام بالاستثمار فيها، حيث أنّه في العهد المتجدّد سُهل في عمليّة استثمار غير العمانيّ في عُمان، ولم تنظر إليهم نظرة إقصائيّة أو دونيّة؛ بل نظرت إليهم نظرة إنسانيّة أخلاقيّة كانتيّة غير قائمة على المنفعة القاصرة، حتّى في فترة كورونا من خلال عملي في الأعمال التّطوعيّة؛ رأيت أنّ السّلطنة تساهلت مع التّأشيرات وتمديداتها، وأعفتهم من المخالفات المتأخرة بسبب الجائحة، وأخبرني السّفير السّودانيّ في عُمان، أنّ عمان أعطت تسهيلات للسّودانيين لأخذ تأشيرة السّفر إلى البلدان الّتي يريدون التّوجه إليها، فرأينا عشرات السّودانيين يأتون إلى عُمان لأخذ التّأشيرة، ومنهم من يستقرّ هنا حينا من الزّمن.

وأمّا جانب الإنسان هو مرتبط نتيجة بعنصر الإحياء العمانيّ، حيث يقوم على التّمييز بين حركيّة السّياسة ومطلقيّة الشّعوب، فسياسات الدّول متحركة، ويحدث فيها ما يحدث للإنسان من مرض وصراع وتدافع، وهي قضايا داخليّة، وأمّا الشّعوب فذات مكرّمة واحدة، يجب الوقوف معها وقوفا إحيائيّا مطلقا لا تمييز بينها، فكلّ ذات في العالم واحدة، قائمة على المساواة، وهو مرتبط بمنظومة حقوق الإنسان، ولهذا في العهد المتجدّد كانت هناك مراجعات لحقوق العمّال في السّلطنة، وما يتعلّق بنظام الكفالة وأخيرا نظام حماية الأجور، وأرجو أن تتوسع المراجعات مستقبلا بشكل أوسع، ولكن وجدت العديد من الإصلاحات في السّنوات الخمس من حكم السّلطان هيثم، وهي حالة جيّدة في فترة قصيرة جدّا، ويتمثل الجانب الإنسانيّ العمانيّ خارجيّا في وقفتها الإنسانيّة في قضيّة حرب غزّة، وحقوق الشّعب الفلسطينيّ عموما، في حقّهم في حفظ دمائهم وأموالهم وأعراضهم، وإقامة دولتهم المشروعة، فتعاملت مع القضيّة من بُعدها الإنسانيّ، وليس الطّائفيّ أو الأيدلوجيّ الضّيق.

وإذا خرجنا من الشّأن الخارجيّ عموما إلى الشّأن الدّاخليّ نجد أنّ عُمان في نهايات العقد الثّاني من القرن الحادي والعشرين (2014 – 2020م) بدأ فيها شيء من التّراجع، نتيجة ما

أصاب العالم من كساد وتضخم، وهي نتيجة للأوضاع السّياسيّة السّلبيّة في العالم، ثمّ أنّ حكم السّلطان هيثم تزامن مع انتشار جائحة كورونا، وهي وإن بدأ الإشارة إليها في 31 ديسمبر 2019م، بيد أنّ منظمة الصّحة العالميّة أعلنت رسميّا حالة الطّوارئ الدّوليّة في 30 يناير 2020م، واستمرت الجائحة لأكثر من عامين، كانت لها تداعياتها الاقتصاديّة في الخارج والدّاخل، ممّا أوقف الحياة العمليّة والاعتياديّة، فارتفع عدد الباحثين عن عمل لسبب كثرة المسرحين، كما تأثرت الشّركات الصّغيرة والمتوسطة خصوصا، نتيجة توقف حركة البيع والشّراء، كما توقفت رحلات الطّيران، وتوقفت حركة السّياحة الدّاعمة للاقتصاد المحليّ، ومع هذا استطاعت السّلطنة أن تحافظ على استقرارها، وحافظت على سير الرّواتب خصوصا في الجهات الحكوميّة والعسكريّة دون نقيصة، وفي موعدها، وأوجدت التّعليم والعمل عن بُعد، فلم تتوقف حركة الحياة مع شيء من المرونة، كما قامت بمحاولة تسهيل قوانين المسرحين، وفي الوقت ذاته التّعجيل في وضع قانون الحماية الاجتماعيّة، والّذي سيتوسع لاحقا إلى الباحثين عن عمل، وحماية الأسرة والطّفولة وأبناء الضّمان الاجتماعيّ، وثمرة هذا أنّ السّلطان نفسه شكّل لجنة مستقلّة ترجع إليه مباشرة، ويشرف عليها بذاته، حتّى لا يصيبها التّرهل أو التّداخل مع جهات مختلفة، فتتأخر في قراراتها، وكانت هذه اللّجنة تعمل بشفافيّة، وتجتمع في أوقات متقاربة، وكانت لها نتائجها الطّيبة والخدميّة والتّقنينيّة، ومنها ما يتعلّق باللّقاح ذاته، فقد وفرته السّلطنة – مع الوضع الاقتصاديّ كما أسلفنا – مجانا لجميع القاطنين في عُمان، كانوا مواطنين أم مقيمين، بما في ذلك من ترتب عليهم مخالفات الإقامة لانتهاء التّأشيرة كما أسلفتُ، وسهلت لمن يريد الذّهاب إلى بلده ووطنه لضيق الأعمال حينها، فعمّقت هنا البعد الإنسانيّ على حرفيّة القانون، كما فُرِضت الضّريبة على أصحاب الدّخل المرتفع، لتحقيق شيء من التّوازنات.

ومنذ تولي السّلطان هيثم مقاليد الحكم في البلاد، ركّز في خطاباته داخليّا على البناءات السّتة، الأولى: المواصلة والبناء والعلاج، والثّانية: السّلام والمحبّة، والثّالثة: التّطوير والعصرنة، والرّابعة: الأنسنة والإنسان، والخامسة: السّلطات والتّشريعات، والسّادسة: اللّحمة البنائيّة والأمنيّة، ونحن اليوم بعد خمس سنوات من الحكم نتساءل: هل تحقّقت فعلا هذه البناءات،

أم كانت مجرد خطابات لا أكثر، هذا سؤال مشروع، ومن واجبنا أن نجيب عليه بإنصاف، فهناك أربعة أمور، اثنان أشرنا إليهما، أي الوضع السّياسيّ الخارجيّ، والوضع الاقتصاديّ الدّاخلي، لازم هذا أمر ثالث وهي قلّة خطابات السّلطان، ورابع الفترة الزّمنيّة القصيرة من حكمه حتّى الآن، والّتي هي جزء من رؤية عمان 2040.

من الابتداء أعاد السّلطان هيكلة الدّولة، وتمكين جانب الحوكمة، مع إصلاحات وزاريّة وإداريّة، كما واصلت الدّولة المشاريع الخدميّة، ومنها افتتاح طريق الجفنين سمائل من أربع حارات، وإشهار مدينة السّلطان هيثم والبدء فيها، ومشاريع ميناء الدّقم، وافتتاح التّوسعة الجديدة لمستشفى القوّات المسلحة بالخوض، وإشهار مجمع عمان الثّقافيّ والبدء فيه، وهو مشروع ضخم يحتوي مكتبة وطنيّة كبرى، وغيرها كثير، بيد أنّ محور النّتاج كان هو الإنسان، حيث أنّ أكبر تحدّي كان هو الوضع الاقتصاديّ، ولهذا أراد السّلطان هيثم في هذه المرحلة الحفاظ على الاستقرار المعيشيّ لدى الإنسان العمانيّ، وفي الوقت ذاته توسيع دائرة الاستقرار أفقيّا لأجل تدوير المال من جهة، وتحقّق العدالة الاجتماعيّة من جهة أخرى، فكان التّوجيه السّاميّ لإنشاء المؤسّسة العُمانيّة الوقفيّة، مع دعم الجمعيّات الخيريّة، وإصدار منظومة الحماية الاجتماعيّة، وغيرها.

لازم هذا، الإصلاحات التّشريعيّة والتّقنينيّة لأجل التّخلص من ترهل مركزيّة الخدمات في مؤسّسات تنطلق من العاصمة، إلى إشراك المحافظات، وإعطائها مساحات أوسع في حريّة الشّراك الخدميّ والثّقافيّ والمجتمعيّ، مع دعمها ماليّا، وإعطاءها صلاحيّات واسعة عمليّا ونتاجيّا، هذا الأمر كانت له ثمرته خدميّا وثقافيّا واجتماعيّا، وقد رأينا تحرّك المحافظات وتنافسها في مجالات عدّة، من إصلاحات في البنية الطّرقيّة والخدميّة، إلى مهرجانات ثقافيّة وفنيّة، إلى خدمات اجتماعيّة وإنسانيّة.

بطبيعة الحال يمكن حصر هذه الإنجازات وثمرتها في فترة خمس سنوات فقط، لكن الإنصاف يجعلنا أن نتمثل مقولة "من لا يشكر النّاس لا يشكر الله"، وأقولها ليس طمعا أو تزلفا، أو خوفا وجبنا، إنّ إنجازات الخمس السّنوات الماضية تخرج من دائرة الحصر بالمعنى

النّسبيّ، كما أنّ الحديث حولها وعن ثمرتها حديث طويل جدّا، ومقياس ذلك إذا قورن ليس بالفترة الزّمنيّة القصيرة فحسب، بل بالتّحدّيات الكبرى الّتي تعرضت لها المنطقة ومنها عُمان، كادت أن تقودها إلى منطقة رماديّة، وعلى رأسها الاقتراض من صندوق النّقد الدّوليّ، وبالتّالي تأثر العملة المحليّة بذلك، ودخول سياسات خارجيّة تهيمن على قرارات الدّولة، وقد تقودها إلى المشاركة كرها في حروب خارجيّة، ومع هذا، استطاعت عُمان في مرحلة حرجة كهذه تجاوز جميع هذه التّحدّيات، وهذا لا يعني عدم وجود تحدّيات داخليّة، كتحدّي قضيّة الباحثين عن عمل، وقضيّة المسرحين عن العمل، والأجور المنخفضة فيما لا تتناسب وتكاليف الضّرورات الحياتيّة، ولكن بلا شك، من ينظر في رؤية السّلطان، ومتابعاته المستمرة، وتسهيله للاستثمار في السّوق، والمراجعات في الحماية الاجتماعيّة؛ ستتجاوز عُمان هذه المرحلة، حيث أنّ الإصلاح في السّنوات الخمس الماضية لم يكن ترقيعيّا كما حدث في فترات سابقة، بل هو إصلاح للمنظومة الإداريّة والماليّة ذاتها، وهذا أهم من التّسكين، وإن كان نتاجه وثمرته تحتاج إلى شيء من الوقت، ولكن أثر ذلك طويل المدى.

كما أسلفت في الابتداء "تعرفونهم من ثمارهم"، فهناك من الحكّام والوزراء من يتحدّث كثيرا، ولا يكاد تجد لحديثة ثمرة إلّا لماما، بيد أنّ السّلطان هيثم بن طارق – حفظه الله – مع قلّة خطاباته، إلّا أنّ ثمرة حكمه واضحة، وفي فترة قصيرة، تدركها من العمل والنّتاج، لا من كثرة الحديث والافتخار بالذّات، فهنيئا لعمان عهدها الميمون في ظلّ جلالته، ونرجو من الشّعب أن يواصل العمل معا لنرى عُمان اليوم ليست عُمان الأمس، وعُمان الغد ليست عُمان اليوم، ليكون القادم أجمل، وما بذره وزرعه أجدادنا نرى ثمرته اليوم، فلنزرع عملا مثمرا يفتخر به أبناؤنا وأحفادنا مستقبلا، ولا يتحقّق ذلك إلا بوحدتنا وتآلفنا وتعاوننا، فعُمان تسعنا جميعا، فلنسعها عملا وتقدّما ونهضة في جميع المجالات، وكلّ عام وعمان وشعبها وجلالته بألف خير وتقدّم ونهضة ومدنيّة وإحياء ومحبّة وسلام وأمن واستقرار.

## عُمان وإحياء وكالة الجاموس في مصر[20]

شهر مارس من كلّ عام يذكرنا بتأسيس وكالة الجاموس في مصر، إذ تأسّست في 27 مارس 1626م، وبهذه المناسبة أنّه في الثّامن والعشرين من يناير الماضي شاركتُ في ندوة "عُمان ومصر والوئام الأزليّ"، حيث قدّمت ورقة بعنوان: "العلاقات الثّقافيّة بين عُمان ومصر"، وذلك ضمن معرض القاهرة للكتاب في دورته السّادسة والخمسين، وكانت عُمان ضيف شرف فيه، وبعد يوم أو يومين من المحاضرة تواصل معي أحد الأعيان في مصر يدعوني إلى جلسة عشاء، فلبيت دعوته بعد أيام لارتباطي حينها بزيارة "أسوان"، وأخبرني أنّه سمع عن مداخلتي، وكان يرجو الحضور لولا ظرف ارتبط به، وهنا بدأ يحدّثني عن "وكالة الجاموس" وسبل إحيائها، حيث هناك في مصر إقبال كبير حاليا في الاطّلاع على ثقافة عُمان، وكذلك حول المذهب الإباضيّ، وهناك دراسات أكاديميّة حول هذا في الأزهر والجامعات المصريّة، ينقصها أحيانا وفرة بعض المصادر خصوصا الدّراسات المعاصرة، ثمّ أنّ مصر هي قبلة الثّقافة العربيّة، لموقعها الجغرافيّ الرّابط بين المشرق والمغرب، ثمّ للكثافة السّكانيّة الّتي تتمتع بها، وكذلك لأنّ المئات من المثقفين من العرب وغيرهم يحجّ إليها بشكل مستمر لأجل المعرفة والثّقافة، فجميل أن يتمثل ذلك في رمزية لعمان وفكرها وثقافتها، سواء بذات الاسم السّابق، أو بشيء آخر يحقّق الفكرة ذاتها، لتختصر الطّريق لمن يبحث عن عُمان ومذاهبها وثقافتها وتأريخها، أو عن المذهب الإباضيّ ومصادره والدّراسات حوله قديما وحديثا.

وأمّا وكالة الجاموس فقد ارتبطت ابتداء بإباضيّة جربة في تونس، وكما أخبرني الباحث الجربيّ ساسي بن يحياتن أنّه عندما ذهب الجربيون إلى مصر كتجار في البداية في القرن الخامس عشر الميلاديّ [أو قبل ذلك]، وذلك عندما ضيّق عليهم الأتراك في جربة، فوجدوا متسعا في الجزائر وطرابلس في ليبيا وفي مصر، وفي الآستانة في تركيا، وفي مصر بدأ النّشاط التّجاريّ، ومن عادة الجربيين عندما يهاجرون إلى أيّ مكان يؤسّسون دار الجماعة، يأوي إليها الجربيون ليكونوا منتظمين ومتواصلين، واشتروا في مصر وكالة الجاموس، أو وكالة البحار؛ لأنّ

[20] جريدة عُمان.

أول من أسّسها وأوقفها الشّيخ عبد العزيز البحار الخيريّ من أجيم في 27 مارس 1626م، وكان تاجر غلال وخضار في مصر، ثمّ اتّسعت بعد ذلك، ثمّ أقيمت حوله الأوقاف، وتسابق النّاس للوقف له حتّى النّساء، من أمثال السّيّدة آسية الشّارونيّ الّتي أوقفت له شيئا من العقارات، ووكالة الجاموس شجّعت الجربيين للتّجارة في مصر، وكانوا ينقلون بضائعهم من زيت وفخار وألبسة وغيرها عن طريق السّفن الشّراعيّة إلى الإسكندريّة، ومنها توزع في مصر.

كما شجعت الوكالة انتقال الطّلبة إلى الأزهر، وبرز منهم علماء كبار، مثلا العالم المعروف بالمحشي، وهو الشّيخ أبو عبد الله محمّد بن عمر بن أبي ستة (ت 1086هـ)، حيث ذهب إلى مصر طالبا، ولمّا أخذ نصيبه من العلم في الأزهر كدراسة عامّة، وفي وكالة الجاموس في الفقه الإباضيّ، لهذا أصبح مدرّسا في الأزهر ووكالة الجاموس معا، وعرف في الأزهر بالبدر أبي ستة، وبقي في مصر ثمانية وعشرين عاما، ثمّ رجع إلى جربة عام 1068هـ، ومنهم أبو حفص عمر بن رمضان التّلاتيّ (ت 1199هـ)، وكان طالبا، ثمّ أصبح مدرّسا في وكالة الجاموس، وفي الأزهر، وفي جامع المؤيد، وفي جامع ابن طولون، ولكثرة هجرة الجربيين إلى مصر، حتّى وصل عددهم بالآلاف؛ أصبح لهم نظام قريب من نظام العزّابة، وكان شيخهم منهم، يطلق عليه شيخ التّجّار، أو شيخ الجربيين، أو شيخ المغاربة، وكان حلقة وصل بين الجرّبيين والسّلطة في مصر، حيث كان السّلطة في مصر لا تتدخل في شؤون الجربيّين، ويحلّون مشاكلهم بأنفسهم، لهذا كان أول سفير للدّولة التّونسيّة الحديثة إلى مصر، ويسمّى أيضا وكيلا، هو الشّيخ سعيد بن قاسم بن سليمان الشّماخيّ، والأرشيف التّونسيّ يعجّ برسائله وبتقاريره الّتي كان يرسلها إلى الحكومة التّونسيّة، وكان الجربيون يمتلكون تقريبا غالب منطقة ابن طولون، والّتي سميت لاحقا بمنطقة الحسين، وكانوا يمتلكون العقارات والمحلّات، ويمتلكون المزارع الفلاحيّة، وكان العديد منها وقفا على الطّلبة الإباضيين من جربة وميزاب وجبل نفوسة.

ويقال "إنّ سبب تسميتها بوكالة الجاموس أنّ جلد الجاموس كان أحد السّلع والبضائع الّتي كانت تتاجر فيها هذه الوكالة"، فهي وإن ارتبطت ابتداء بالجانب الجربيّ التّونسيّ في أجوائه الإباضيّة الوهبيّة، بيد أنّه تمدّد ليشمل الجانب المغربيّ، ويفد إليها الطّلاب من ليبيا والجزائر

خصوصا، كما ستهاجر إليها الكتب الإباضيّة لتكون مرجعا في مصر، هذا الأمر سيتمدّد إلى عُمان، خصوصا مع سلاطين آل سعيد في زنجبار، وكما يذكر الباحث سعيد بن سليمان العيسائيّ في مقالة له مجلّة الثّقافيّة بعنوان: "نحو تواصل ثقافيّ حضاريّ بين الشّعوب: وكالة الجاموس أنموذجا" أنّ "صلة عُمان والعمانيين بهذه الوكالة [كان] منذ زمن بعيد ... وكانت تدرس في حلقات العلم بهذه الوكالة بعض الكتب الدّينيّة لعدد من العلماء الجزائريين والعمانيين، كما قام عدد من سلاطين زنجبار بالتّبرع لنسخ عدد من المخطوطات الدّينيّة لعلماء عمانيين وجزائريين كذلك، ووقفها على طلاب العلم الدّارسين في الأزهر، والقاطنين بهذه الوكالة، ودرس عدد من الطّلبة العمانيين من الرّعيل الأول الّذين ذهبوا إلى الدّراسة في الأزهر في حلقات هذه الوكالة، واستفادوا من مكتبتها"، وإن كانت الحضور والعلاقة أسبق من تأسيس الوكالة كما يذكر رجب محمود عبد الحليم في كتابه "الإباضيّة في مصر والمغرب وعلاقتهم بإباضيّة عُمان والبصرة" أنّه "في القرن التّاسع للهجرة، الخامس عشر للميلاد؛ نسمع عن الشّيخ العمانيّ الفقيه الحاجّ محمّد بن عبد الله السّمائليّ، الّذي رحل من عُمان إلى مصر، ومنها إلى بلاد المغرب، حيث وصلها قبل عام 894هـ/ 1488م، وظلّ هناك فترة صحب فيها الشّماخيّ صاحب كتاب السّير".

عموما كان سلاطين آل سعيد في زنجبار أسخياء مع الوكالة، خصوصا بعد تأسيس المطبعة السّلطانيّة في زنجبار عام 1880م، فساهمت في توفير الكتاب العمانيّ والإباضيّ المشرقيّ خصوصا في المكتبة، لتكون قبلة للدّارسين والمهتمين، واستمر نشاطها إلى عهد جمال عبد النّاصر (ت: 1970م) حيث وقفت في عهده، واليوم وبعد أكثر من نصف قرن من التّوقيف، حيث فقدت مصر وهي أمّ الجميع رمزيّة تأريخيّة ارتبطت بها، وقد انفتحوا على مصر وانفتحت مصر لهم جميعا، ومن دلائل هذا الانفتاح أنّه قبل سنتين زرتُ مكتبة العالم حسن الشّافعيّ في جامع الأزهر الشّريف، وقد أهدى مكتبته للأزهر، فكرّم أن تكون من ضمن مرافق هذا الجامع العريق، وأنا أتأمل المكتبة أجدها منفتحة على الجميع، ومنها حضور الكتاب العمانيّ فيها.

ونحن اليوم نعيش والحمد لله في عهد السّلطان هيثم بن طارق – حفظه الله -، وهو رمزيّة ثقافيّة عربيّة وعالميّة قبل كلّ شيء، وارتبط بالثّقافة وارتبطت به منذ فترة طويلة، فجميل أن يكون ضمن إنجازات عهده الميمون الّتي لا تتوقف؛ أن يُعاد النّظر في هذه الوكالة وقد ارتبطت مؤخرا بسلاطين عمان وسلاطين آل سعيد في زنجبار خصوصا – كما أسلفنا -، سواء باسمها، أو بأيّ اسم آخر، ليكون نافذه لعُمان في الشّرق الأفريقيّ، وليكون كرسيّا معرفيّا دائما لها هناك، يستوعب نتاجها التّراثيّ والمعاصر، ودراساتها العمليّة والنّتاجيّة والإبداعيّة، كما تكون مصدرا أيضا للكتاب الإباضيّ مشرقا ومغربا، ليستفيد منه آلاف الباحثين والطّلاب من العرب وغيرهم، فإن تحقّق هذا؛ سيكون له أثره المعرفيّ لما تحمله عمان من رمزيّة تعايشيّة وتسامحيّة أثر ذلك في نتاجها المعرفيّ، ومصر خير قبلة ليطلّع العرب على هذا الإرث لجزء من تأريخ الأمّة الإسلاميّة والعربيّة عموما.

## عُمان والبحرين والثّقافة المشتركة[21]

العلاقة بين عُمان والبحرين، أو مجان ودلمون، أو مزن وأوال؛ علاقة ليست وليدة اليوم، بل تعود إلى أكثر من ثلاثة آلاف سنة، وتعاقبت عليهما حضارات السّومريّة والفينيقيّة ومن بعدهم إلى دخولهم في الإسلام مبكرا وعن طواعيّة منذ بدايات دعوة الرّسول – صلّى الله عليه وسلّم -، ومكثه في المدينة المنورة، لتتفاعلا في الحضارة العربيّة والإسلاميّة، ولتحتفظ عُمان والبحرين باسمهما منذ القدم وحتّى اليوم، ويحملان إرثا تأريخيّا وثقافيّا ماديّا وشفويّا تزخر به ذاكرة البلدين على المستويات الحياتيّة والطّقوسيّة والفنيّة والاقتصاديّة ونحوها.

هذه الذّاكرة مليئة بالتّفاعلات والهجرات الأسريّة بينهما، والتّبادل الاقتصاديّ والبحريّ، والتّشابه الدّينيّ، فالنّساطرة امتدّوا من عُمان إلى البحرين، ففي البحرين منطقة الدّير وفيها مسجد الرّاهب، وفي عُمان انتشرت المسيحيّة النّسطوريّة أو الآشوريّة حينها حتّى قال عنها الشّيخ سالم بن حمد الحارثيّ (ت: 1427هـ/ 2006م) في العقود الفضيّة "إنّ العمانيين قبل البعثة كانوا على الدّين المسيحيّ" أي النّساطرة، كما أنّ قرب البلدين من فارس، وتفاعلهما معها أدّى إلى حضور الزّرادشت قديما في البلدين، كذلك لاحقا امتدّ إليهما الوجود اليهوديّ، لثقله قديما في بلاد فارس، ووجودهم في جزيرة العرب واليمن إلى وجودهم في عُمان والبحرين بسبب التّجارة، فاستقرّت الأسر اليهوديّة في البلدين ردحا من الزّمن، ويذكر هلال الحجريّ في كتابه "عُمان في عيون الرّحالة البريطانيين قراءة جديدة للاستشراق" أنّ روبرت بنينج الّذي توقف في مسقط عام 1850م في طريقه من بلاد فارس إلى سيلان حيث يقول: "أعجب مما عجبت منه هو الاحترام الكبير الذي يكنه مسلموا هذه البلاد – أيّ العمانيين - لذلك اليهوديّ"، وفي البحرين إلى اليوم يوجد كنس لليهود في المنامة قريب من باب البحرين، ويمارسون فيه العبادة، وتوجد أسر يهوديّة لا زالت تعيش في البحرين حتّى يومنا هذا، وهم أقرب إلى الفريسيين أو اليهود الأرثذوكس.

[21] جريدة عُمان.

كذلك العلاقات البحريّة بين عُمان والبحرين من جهة، والهند من جهة أخرى؛ أدّى إلى هجرة الهندوس أو ما يطلقون عليهم في الخليج "البانيان"، وهؤلاء وجدوا تعايشا في الخليج، فاستقرّوا فيها، ووجودهم وتفاعلهم قديم جدّا في عُمان والبحرين، ولهم معابدهم ومقابرهم حتّى اليوم، وبينهما خلطة، لدرجة أنّ "ابن عبيدان (ت بعد: 1104هـ) قاضي الإمام سلطان بن سيف اليعربيّ (ت: 1680م) أفتى في البانيان في صحار وهم من الهندوس بأنّهم يسنّ بهم سنّة أهل الكتاب قياسا على المجوس"، أي الزّرادشت لمّا سنّ فيهم سلمان الفارسيّ (ت: 33هـ) سنّة أهل الكتاب.

ومع الانفتاح الحديث أدّى إلى هجرة أديان انبثقت من الهندوسيّة كالبوذيّة، كذلك السّيخ وهؤلاء خليط بين الهندوس والإسلام، ولهم حضور اليوم في عمان والبحرين والخليج عموما، أيضا هاجر من البهائيين إلى البلدين بسبب المضايقات في إيران، ولهم محافلهم فيهما وفي الخليج، والبحرين اعترفت بالبهائيّة كمكوّن دينيّ في البحرين، ولهم فيها الجمعيّة البهائيّة الاجتماعيّة الّتي تأسّست 2011م، ومجلس جابريّ الثّقافيّ.

وفي نهايات القرن التّاسع عشر، وبدايات القرن العشرين، ارتبط مع الوجود البريطانيّ في عُمان والبحرين نشاط الإرساليّات المسيحيّة الأمريكيّة، وكان مركزهم في البلدين واحدا، وانطلق من البحرين مع صمويل زويمر (ت: 1952م)، ومن رعاياه في عُمان الطّبيب شارون توماس أو طومس (ت: 1913م)، وواصل بعده ابنه ويلز تومس المشهور عند العمانيين بالطّبيب طومس، وكلاهما أسّسا الكنيسة البروتستانتيّة الكالفينيّة المشيخيّة في البحرين وعُمان، وأمّا في البحرين لا زالت فاعلة، وفيها القسّ هاني عزيز، وفي عمان لا زالت موجودة في مطرح؛ بيد ليس لها حضور، وتحوّل مركزها إلى مركز للرّعاية الدّينيّة تحت إشراف وزارة الأوقاف والشّؤون الدّينيّة، ويعنى بالتّعايش الدّينيّ، وتعريف السّائح من الخارج بذلك وبالتّعدّديّة الدّينيّة والمذهبيّة في عُمان، وفي الجانبين التّعليميّ والصّحيّ بنى زويمر في المنامة مستشفى الإرساليّة الأمريكيّة، والمدرسة الأمريكيّة عام 1906م، وفي عُمان كانت محاولات شارون توماس (ت: 1913م) لبناء مستشفى في مطرح عام 1912م، بيد أنّ السّلطان فيصل بن تركيّ (ت: 1913م)

كان رافضا، إلّا أنّ المستشفى تحقّق بناؤه على يد القسّ ديرك دكسترا عام 1930م، وافتتح 1931م، وكما يذكر سليمان الحسنيّ في كتابه "الحملات التّنصيريّة إلى عُمان" أنّ دكسترا عيّن توماس الابن طبيبا في المستشفى، ولهذا ارتبط به، والشّاهد أنّ الإرساليّة في البحرين وعُمان كانت واحدة، وبينهما تشابه في ذلك.

وفي المنامة يوجد شارع أو مجمّع الأديان في البحرين، وهو شارع بالمنامة تتقارب فيه مساجد للسّنة والشّيعة وحسينيات وكنيسة للمسيحيين الإنجيليين وكنيس لليهود ومعبد للهندوسيّة والبوذيّة، وفي عمان في بدايات عهد السّلطان قابوس بن سعيد (ت: 2020م) في رويّ بولاية مطرح يوجد ما يماثل ذلك، ففي شارع واحد يوجد مجمع كنائس فيه الكنيسة القبطيّة الأرثذوكسيّة والكاثوليك الهنديّة والإنجيليّة البروتستانتية، وفيه مكتبة شرائيّة ومدرسة ومقبرة، وقريب منه معبد هندوسيّ وفيه مكان للبوذيّة، ومسجد للسّنّة، وليس بعيدا منه مساجد للإباضيّة ومسجد للشّيعة الإماميّة.

وإذا خرجنا من الإطار الدّينيّ والمذهبيّ إلى الإطار العلميّ والأسريّ، هناك هجرات أسريّة وعلميّة هاجرت بين البلدين، خصوصا لمّا كانت البحرين أوسع من اليوم، وكما يذكر الباحث عليّ الحرز الإحسائيّ أنّه من العمانيين من هاجروا إلى الإحساء وكانت أقرب حينها إلى أقليم البحرين أو الخطّ، يذكر من هؤلاء مثلا "الشّيخ عبد المحسن بن محمد العُمانيّ، والشّيخ محمّد بن يحيى اليحيائيّ الدبويّ العُمانيّ، والشّيخ عبد الله بن محمّد المزروعيّ، والشّيخ غانم بن سالم الشّامسيّ"، ومن العمانيين من أسّسن مدارس علميّة هناك كالمدرسة الوسطى لآل الملّا مثلا، ومن الأسر البحرينيّة من هاجرت إلى عمان واستقرّت فيها، ومنهم من يعرف اليوم بالبحارنة، هذه الهجرات كثرت في الخمسينات والسّتينات من القرن العشرين، إذ كانت البحرين أكثر استقرارا سياسيّا ونهضويّا حينها من عُمان، وساهم العمانيّون في بنائها، ومنهم من تزوّج منهم، ولا زال أبناؤهم وأحفادهم فيها، ومنهم من رجع بعد 1970م، بيد أنّ الوجود العمانيّ أسريّا وسياحيّا وتجاريّا في البحرين لا زال قائما حتّى يومنا هذا، وكذلك يوجد أفراد من البحرينيين من يعيش وتزوّج في عُمان أيضا، واستقرّ فيها حتّى اليوم.

وفي الجانب الثّقافيّ والأدبيّ والصّحفيّ كان للعمانيين حضور مبكر في البحرين، وعلى رأس هؤلاء "عبد الله الطّائي، ومحمّد أمين عبد الله، وأحمد محمّد الجماليّ، وحسين حيدر درويش"، وكانت أقلامهم ظاهرة في مجلّة صوت البحرين 1951م – 1954م، وهي أول مجلّة بحرينيّة، وقد كتب عنهم البحرينيّ حسن مدن في كتابه "كتّاب عمانيون في مجلّة صوت البحرين"، وطبع الكتاب في النّادي الثّقافيّ العمانيّ.

عموما الحديث عن البحرين وعُمان حديث يطول به المقام، وقد كتبت شخصيّا مذكرة كاملة عن رحلتي إلى البحرين 2019م، طبع في كتاب التّعارف عن الجمعيّة العمانيّة للكتّاب والأدباء، وممّا قلته في بدايتها "حاولت أن أقرأ الإنسان البحرينيّ عن قرب، فوجدته قريبا جدّا من المجتمع العمانيّ في عاداته وتقاليده، وفي سماحته وتعايشه"، هذا التّقارب لا يقتصر عند الجانب الإنسانيّ وتطوّره، بل حتّى في البنيان والأسواق، والمطعومات والملبوسات، فالحلوى العمانيّة لا تقاربها إلّا الحلوى البحرينيّة، كما أنّ أسواق المنامة والمحرّق وأنت تمشي فيها تتصوّر ذاتك كأنّك في مطرح أو روي أو أسواق عُمان عموما، بيد أنّ الذّاكرة الشّفويّة غنيّة لما يحفظه البحرينيون عن العمانيين، وبعضهم من كبار السّنّ لمّا يحدّثك تسبق الدّموع حديثه، فيحنّ إلى أصدقاء له من عُمان سامرهم في بيوت ومقاهي وأسواق المحرّق، ولا يكاد تجد كبيرا في السّنّ إلّا ويحمل ذاكرة ودّ، حتّى قال لي أحد رجال الأعمال البحرينيين في ليالي المحرّق الأخيرة: إنّه لم تسجل لأيّ عمانيّ قضيّة واحدة في الدّاخليّة، وقال لي آخر وهم يحتفون ببيوت المحرّق: هذه البيوت ساهم العمانيون بشكل كبير في بنائها، وهي شاهدة عليكم ثناء وإحسانا.

## عمان والجزائروقدم علاقات التّأريخ[22]

العلاقة بين عمان والمغرب الأقصى عموما، ومنها الجزائر بشكل خاصّ؛ ليست علاقة وليدة اليوم، بل هي موغلة في التّأريخ من حيث اللّغة وتجارة اللّبان وغيرها، وتجسّدت من القرن الثّاني الهجريّ – أي قبل أكثر من ألف عام – في العلاقات العلميّة، والّتي لم تنقطع حتّى اليوم، فظلّ الكتاب والعَلم العمانيّ حاضرا في الجزائر والمغرب الأقصى عموما، والعكس صحيح، خصوصا في الفقه الإباضيّ، فعلماء عمان الأوائل، وعلى رأسهم جابر بن زيد (ت 93هـ)، شكلوا العقليّة الفقهيّة عند إباضيّة المغرب الأقصى والجزائر، فأسماء الأعلام العمانيين حاضرة بقوّة في المدونات المغاربيّة، كما أنّهم اهتموا بتراث الآباء الأوائل وبنو عليه، ومن اهتمامهم مؤخرا مثلا ما قام به يحي محمّد بكّوش الميزابيّ الجزائري (ت 1435هـ/ 2014م) من تجميع آثار جابر بن زيد من المدونات العمانيّة والمغاربيّة خصوصا، ومن التّراث الإسلاميّ عموما.

كما أنّ التّأصيل المغاربيّ والجزائريّ في الأصول وعلم الكلام والسّلوك ظلّ حاضرا في الفقه الإباضيّ العمانيّ أيضا، خصوصا بعد القرن السّادس الهجريّ، وعلى رأس هؤلاء أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم الوارجلانيّ (ت 570هـ/ 1175م) من وارجلان بالجزائر، وتسمى حاليا ورقلة، خصوصا في كتابيه الدّليل والبرهان في علم الكلام، وكتاب العدل والإنصاف في أصول الفقه والاختلاف، كما رتب مسند الإمام الرّبيع بن حبيب العمانيّ، وقد اهتم الفقهاء العمانيون بهذه الكتب، وأثرت في تدوينهم المعرفيّ، خصوصا الكلاميّ والفقهيّ، من ذلك ما قام به عامر بن خميس المالكيّ (ت 1346هـ/ 1928م) من نظم العدل والإنصاف في منظومة بعنوان "موارد الألطاف بنظم مختصر العدل والإنصاف".

عموما لا نستطيع بعد ألف عام من العلاقات العلميّة والمعرفيّة بين القطر العمانيّ، والقطر المغاربيّ عموما والجزائري خصوصا، وبشكل أخصّ الصّحراء الجزائريّة، أو وادي ميزاب؛ لا نستطيع أن نفصل بينهما بحال من الأحوال، حيث أصبح التّشكل المعرفيّ متداخلا في

[22] جريدة عُمان.

أدنى المفاهيم والجزئيات، وإن كان لهذه الأقطار ظروفها وطبيعتها ومقدار تأثرها بالأجزاء المحيطة بها، بيد أنّ التّداخل المعرفيّ لم ينقطع، وظلّ التّواصل ممتدا طيلة ألف عام، كما أنّ موسم الحجّ كان ملتقى سنويّا بينهما، وفيه يعقد أشبه بالمؤتمر السّنويّ، يتبادلون فيه المعارف والكتب والرّسائل بينهما، وظلّت هذه السّنّة باقية حتّى اليوم، لولا أنّها ضعفت حاليا لأنّ التّواصل اليوم أسهل بكثير من السّابق، وتوسع في طرقه بشكل أكبر حضوريّا ورقميّا.

والعلاقة بين عمان والجزائر توسعت اليوم بشكل كبير، سياسيّا واقتصاديّا وتأثيرا عربيّا وعالميّا، ومنها ما يقوم به اليوم الرّئيس الجزائري عبد المجيد تبّون، رئيس الجمهوريّة الجزائريّة الدّيمقراطيّة الشّعبيّة بزيارة دولة إلى سلطنة عمان، هو توكيد واضع للعلاقة بين الدّولتين والقطرين الشّقيقين، خصوصا في الجانب الإحيائيّ والتّنمية بين البلدين، وفي الجانب الإحيائي في العالم العربيّ، وفي وقف الإبادة في غزّة والحرب في لبنان، وغيرها من المناطق الملتهبة، فعمان والجزائر لعدم تدخلهما في الصّراعات الإقليميّة والدّوليّة، ووقوفهما مع السّلم والإحياء؛ أصبحتا – والحمد لله - محلّ ثقة عربيّا وعالميّا.

والعلاقات الإحيائيّة بين البلدين لها حضور كبير في العصر الحديث، فقد وقف العمانيون معنويّا وماديّا، وأدبيا وشعريّا مع النّضال الجزائريّ ضدّ الاستعمار الفرنسيّ، كما وقفت عمان مع الجزائر في تجاوز العشريّة السّوداء في أواخر القرن العشرين، كما أنّ الجزائر وقفت أيضا موقفا مشرفا في ضرورة التّنمية والإحياء في عمان، إبان صراعاتها الأهليّة قبل عام 1970م، من ذلك أرسل أعضاء جمعيّة الإصلاح وعلماء ميزاب بالجزائر عقب وفاة محمد بن عبد الله الخليليّ (ت 1373هـ/ 1954م) حيث "ناشدوا أهل عمان بتشييد المدارس والمعاهد والكليّات، وإرسال البعثات، وتعميم الصّناعات، وتأسيس المطابع والشّركات، وإصدار الجرائد والمجلّات، وإنشاء المستوصفات والمستشفيات، وتعبيد السّبل والطّرقات، ومدّ السّكك الحديديّة والأسلاك الكهربائيّة، وإنشاء المعامل بأنواعها، واستخراج معادن الأرض ومحاصيلها"، وكان يؤلمهم "ما وصل إليه القطر العمانيّ [حينها] من تخلّف مدنيّ وعلميّ، نتيجة الصّراع السّياسيّ والقبليّ".

ولقد أثرت المدرسة الإصلاحيّة المصريّة في العالم الإسلاميّ عموما، ومنها الجزائر في وادي ميزاب، فنشأت المدرسّة الإصلاحيّة البيوضيّة، أي نسبة إلى الشّيخ إبراهيم بن عمر بيّوض (ت 1981م)، من كبار علماء النّهضة الحديثة في الجزائر، وهذه أثرت في تونس وليبيا ثمّ عمان، ومن المتأثرين بالمدرسة الإصلاحيّة عموما، وبالجزائر خصوصا، المصلح اللّيبيّ سليمان البارونيّ باشا (ت 1970م)، وكان من الرّموز السّياسيّة في الدّولة العثمانيّة، وقد أتى إلى عمان في عهد السّلطان تيمور بن فيصل (ت 1965م)، والإمام الخليليّ، فقد حثّ من الابتداء العمانيين على "ضرورة طلب العلم، ونبذ الجهل، وإصلاح المجتمع، والتّمسك بأصول الإسلام"، فقام ببعض الإصلاحات الماليّة في إدارة المال العام، وأنشأ المدرسة البارونيّة في سمائل، وحاول التّوفيق بين الخلافات السّياسيّة، وقيام دولة مركزيّة واحدة، وقد تحقّق مراده وإن لم يره بقيام النّهضة الحديثة عام 1970م.

لهذا وقفت الجزائر كدولة قطريّة موقفا مشرفا مع الدّولة العمانيّة الحديثة، كما وقفت موقفا مشرّفا مع العمانيين عموما قبل ذلك، فاستقبلت – مثلا – مجموعة من العمانيين للدّراسة في الجزائر، وقد رحبّ الشّيخ بيّوض بالطّلبة العمانيين للدّراسة في معهد الحياة الّذي أسّسه في 21 مايو 1925م في القرارة بالجزائر، ويعتبر اليوم من المعاهد العريقة في الجزائر في الصّبغة الدّينيّة والفكريّة والأدبيّة، وقد قال حول هذه المناسبة: "نحن على أتمّ الاستعداد [لاستقبال الطّلبة العمانيين]، فهم أبناؤنا، وهذا شرف لنا، أن نساهم بتعليم بعض الطّلبة، لعلّ الله أن يجعل منهم رجالا وقدوة بالعلم والتّربية، عندما يتزودون بسلاح العلم"، وقد كتبتُ شخصيّا حول "التّواصل الجزائريّ العمانيّ من خلال الحركة الإصلاحيّة البيوضيّة"، نشرت في مجلّة الحياة الجزائريّة، نشرت في شوال 1440هـ/ جوان 2019م، وفيها تفصيل أكبر لهذه العلاقة.

## عُمان ومصر ومشترك الثّقافة[23]

الحديث عن عُمان ومصر حديث موغل في القدم، من شجرة اللّبان قديما، وحتّى معرض القاهرة للكتاب في دورته السّادسة والخمسين لعام 2025م أي في هذه اللّحظة الزّمنيّة، وما اختيار عُمان ضيف شرف لهذا العام إلا تجسيد لهذه العلاقة الثّقافيّة، وهي إضافة مهمّة لعمان، فمصر لا زالت تترأس القيمة الثّقافيّة العربيّة، وهي كعبة العرب شرقا وغربا، رغم التّحدّيات الاقتصاديّة الّتي تمرّ بها، ومعرضها يترأس المعارض الأولى في الشّرق الأوسط، والثّاني عالميّا، وله جمهوره الّذي قد يتجاوز خمسة ملايين سنويّا، كما تتنافس دور النّشر للمشاركة فيه لمكانته الإعلاميّة والثّقافيّة، ويحضره أغلب رموز الثّقافة العربيّة، فهو سوق عكاظ بمعناه الثّقافيّ الأشمل عربيّا.

ولقد نُشرت لي مقالة محكّمة بمجلّة الحياة الجزائريّة عنوانها "العلاقات الثّقافيّة بين عُمان ومصر"، بيّنت فيها بعض هذه العلاقات من القرن الأول الهجريّ، وحتّى عام 1970م، فما بعد هذا العام ظاهر للعيان، وموثق بشكل كبير في الصّحافة والوثائق والكتب، ولا زال العديد من شهادة رموزه أحياء يعيشون بيننا، ثمّ لا زالت العلاقة تتسع بشكل أكبر، وتتعمّق بشكل أوسع في الوقت ذاته.

ما يهمني هنا، ولمناسبة عُمان ضيف شرف في معرض القاهرة للكتاب، أن أشير لبعض ما ذكرته في النّصف الأول من القرن العشرين، ليس من باب التّكرار، ولكن من باب العيش مع الحدث الحاليّ، مثلا في عهد السّلطان حمود بن محمّد بن سعيد البوسعيديّ (ت: 1902م) نجد هذا السّيّد يدعم جريدة المحروسة، "وهي جريدة سياسيّة أدبيّة أنشئت عام 1875م في مصر، ودعمه لرئيس تحريرها كما في الرّسالة المرسلة من رئيس التّحرير إلى السّلطان حمود، والمؤرخة في 7 يناير 1901م، وقد أرسل سابقا رئيس التّحرير إلى السّلطان ذاته في 5 سبتمبر 1899م رسالة يرجو منه دعمه لكتاب "سلافة العصر في شعراء العربيّة بكل مصر"، ووصفه بأنّه "من

[23] جريدة عُمان.

أنفس الكتب وأحسنها"، على أن يكون اسم السّلطان في صدر الكتاب، كما تدل الرّسالة على جواب لقيمة الاشتراك في الجريدة"، وهذا يدلّ على اهتمام السّلطان لمتابعتها وقراءتها من خلال الاشتراك فيها، "وفي 3 يوليو 1902م أرسلت صاحبة مجلّة "السّعادة" روجينا عواد، الصّادرة في القاهرة 1902م العددَ الأول تيمنا إلى السّلطان السّيّد حمود بن محمّد بن سعيد سلطان زنجبار"، كما "تواصل رؤساء تحرير المجلّات المصريّة مع السّلطان السّيّد حمود بن محمّد بن سعيد، من ذلك رئيسة تحرير مجلّة المرأة أنيسة عطا الله في 29 نوفمبر 1901م ، ورئيس تحرير جريدة السّهام المصريّة جورج إسحاق في 20 يونيو 1902م"، "كما أرسل صاحب جريدة السّرور والمطبعة الوطنيّة بالإسكندريّة عبد المسيح الأنطاكيّ رسالة شكر إلى السّلطان السّيّد حمود، على دعمه لطباعة كتاب، وذلك بتأريخ 21 مارس 1901م".

وفي عهد ابنه السّيّد عليّ بن حمود (ت: 1918م)، نجد استمراريّة التّواصل الثّقافيّ بين عُمان خصوصا في شقّها الأفريقيّ آنذاك ومصر، مثال ذلك "رسالة عبد المسيح الأنطاكيّ في 19 يونيو 1905م إلى السّيّد سالم بن محمّد بن سالم الرّواحيّ بشأن التّوسط لدى السّلطان عليّ بن حمود ليتحفه بالقصائد الّتي قيلت في والده لطباعتها في كتاب أو ديوان مستقل"، "وأرسل مدير مجلّة الهلال إبراهيم زيدان إلى السّلطان السّيّد عليّ بن حمود بتأريخ 4 سبتمبر 1906م، تفيد دعم السّلطان للمجلّة، وقد بلغت السّنة الرّابعة من عمرها، كما أرسلوا إليه خمس نسخ من رواية العبّاسة أخت الرّشيد، وخمس نسخ من تأريخ التّمدن الإسلاميّ في جزئه الخامس، وقد أرسل له سابقا في 19 أبريل 1900م كتاب جمّعه وسماه "نوادر الكرم في الجاهليّة والإسلام"، ووصفه بأنّه "يحتوي على أشهر نوادر أهل الجود والكرم الّتي جرت لعهد البرامكة ومن جاراهم في السّخاء كمعن بن زائدة، وحاتم الطّائيّ، والخلفاء، وغيرهم"، "كما أرسل محّمد رشيد رضا صاحب مجلّة المنار الصّادرة في القاهرة إلى السّلطان السّيّد عليّ بن حمود بن محمّد في 16 أكتوبر 1910م، لمّا علم أنّه كان في القاهرة، وقد عرض عليه المشروع الّذي أسّسه في عاصمة الدّولة العثمانيّة "أسطنبول"، وهو تأسيس جمعيّة دينيّة علميّة خيريّة غير ربحيّة، ولا تتدخل في السّياسة، مؤلفة من جميع المذاهب الإسلاميّة، وتجمع المسلمين فيما اجتمعوا عليه،

ويعذر بعضهم بعضا فيما اختلفوا فيه، وذلك لأنّ السّلطان "....مَن يعلم ما عليه المسلمون من جميع الفرق في جميع البلاد من الضّعف في العلوم والفنون والصّناعات، والآداب الاجتماعيّة، والشّؤون المدنيّة، ويعلم أنّ علّة العلل لذلك هي سوء فهم الدّين الإسلاميّ، وكثرة البدع والتّقاليد فيه، وجهل علمائه بتطبيق أصوله وأحكامه على مصالح البشر في هذا العصر، وتعصبهم لمذاهبهم الّتي فرقت الأمّة الإسلاميّة، وجعلتها شيعا يعادي بعضها بعضا ...".

وفي عهد السّلطان فيصل بن تركيّ بن سعيد (ت: 1913م) نجد أنّ "عبد المسيح الأنطاكيّ [والّذي كان أيضا] رئيس تحرير مجلّة "العمران" الشّهريّة الّتي كانت تصدر في القاهرة، قد زار مسقط في 1907م، والتقى بالسّلطان فيصل بن تركي"، وقد أكرمه السّلطان، وضيّفه واستمع له، ووصف استقباله بقوله: "إذ قابلنا سموّ سيّدنا ومولانا السّلطان الأعظم بالقرب من الباب ببشاشته المعهودة، وصدره الرّحب، وكان يقول أهلا ومرحبا .... ثمّ جلس سموّه، وأمرني بالجلوس إلى جانبه، فسألني عن سفري وراحتي تلطفا، فشكرت ودعوت ..."، "كما زاره أيضا السّيّد رشيد رضا عندما مرّ إلى عُمان وبالتّحديد مسقط وهو راجع من مومباي في الهند يوم الاثنين 19 جمادى الأولى 1330هـ/ 6 مايو 1912م، والتقى بالسّلطان فيصل بن تركيّ، وقد خصّص له رجالا لاستقباله، ويؤرخ ذلك رشيد رضا بقوله: "أقمت في مسقط أسبوعا كان يختلف إليّ كلّ يوم وليلة منه وجهاءُ البلد وأذكياؤه، ويلقون عليّ الأسئلة الدّينيّة والفلسفيّة والأدبيّة والاجتماعيّة، وزارني السّلطان في دار الضّيافة أيضا، ومكث معي ساعات، وزرته في مجلس حكمه عدّة مرات، وكان يلقي عليّ في كلّ مرة الأسئلة المختلفة، وكان يكون معه في مجلسه أخوه السّيّد محمّد، وهو كثير المطالعة في الكتب، ولكنّه لا يحبّ البحث في المجالس في كلّ ما يطلع عليه من المسائل، وقد عهد السّلطان إلى كاتبه الخاصّ من أهل السّنّة الزّبير بن عليّ أن يتولى أمر العناية بضيافتي، وإلى كاتبه الآخر الشّيخ إبراهيم بأن يتعاهدني معه أيضا".

هذه نماذج سريعة لاهتمام ومتابعة العمانيين لمصر وثقافتها، اكتفيت فيما يتعلّق برأس الهرم بالسّلاطين الثّلاثة المشار إليهم آنفا، وإلّا أفقيّا أوسع من ذلك بكثير، في المستويات الدّينيّة

والثّقافيّة والأدبيّة، فضلا عن العلاقات السّياسيّة والاقتصاديّة، فهذه لمحات احتفائيّة بالمناسبة لا أكثر.

**ملحوظة:** هوامش مصادر المقالة في بحث العلاقات الثّقافيّة بين عُمان ومصر؛ مجلّة الحياة، الجزائر غرداية، عدد (29)، رمضان 1445هـ/ أبريل 2024م، ص: 240 – 259.

## غزّة وعيد الفطر الحزين[24]

من أبسط حقوق الإنسان حرّيّته في أعياده وممارسه طقوسه، وشعائر دينه، وليس من السّهل على شعب أعزل كما في غزّة أن يمرّ عيد الفطر الثّاني على التّوالي بعد حادثة 7 أكتوبر، وهو يعيش حالة غير إنسانيّة من التّجويع والقصف والإبادة، فلا القريب قادر أن يقول كلمته الحاسمة، ولا البعيد يملك أدنى الأدبيّات الإنسانيّة في الحرب، والعالم لا يملك فعل شيء أمام إبادة تبث بشكل مباشر، وليس لها التفاتة إلى حقوق الإنسان، ولا تملك أدنى ذرّة من الرّحمة البشريّة.

لقد اجتمع قادة العرب وممثلوهم قريبا في القاهرة لإعادة إعمار غزّة، وإن كان الإعمار ذاته حالة سابقة لأوانها ما لم يكن هناك حل جذريّ للقضيّة، فليس من العقل أن يظلّ العرب مجرد بنك كلمّا حدثت إبادة أعاد الإعمار ثمّ يهدم بعد حين، ويتكرّر مسلسل الإعمار بعد كلّ إبادة، وإن كان الإعمار لابدّ منه، وهو حالة إنسانيّة واجبة، ولكن في الوقت ذاته لابدّ من مراجعة القضيّة بحزم، ولابدّ من موقف عربيّ موحد يوقف هذه الإبادة، ابتداء من مراجعة القضيّة الفلسطينيّة من داخلها، وإلّا الأحداث الأخيرة من قبل الاحتلال هي أبسط ردّ على القمّة العربيّة في القاهرة، وعلى الخطابات المكرّرة.

إنّ ما يحدث في غزّة اليوم من إبادة ظاهرة لا يستطيع القلب مشاهدة أدنى بشائعها، فكيف بمن يعايشها، هذا الأمر يزيد من اختناق الشّعوب العربيّة خصوصا، وهي ترى من يمثلها لا يستطيع مجاوزة البيانات، ممّا تنفجر يوما ضدّ أنظمتها، وهنا تتسع دائرة غير التّعقل، حينها الّذي سوف يسود هي الفوضى العارمة نتيجة خطابات عاطفيّة وماضويّة لا تعقل لحظة المرحلة الّتي يعيشها العالم، وسننيّة إدارة الأزمات، والخروج منها بأدنى الخسائر.

من السّهولة بمكان تأجيج الحروب، ونشر الفوضى في البلدان، حينها يركب موجتها غير العقلاء، ويوجهونها يمينا ويسارا وفق شعارات عاطفيّة، يركن إليها العقل الجمعيّ، ويراها

[24] جريدة عُمان.

الخلاص لآلامه ومشاكله، ومن يرفعها هو المخلّص له، وتشتدّ إذا ألبست لباس الدّين أو الغيب، فتسقط نصوصا لاهوتيّة لغايات قاصرة، ويُرفع لها شعارات عاطفيّة مؤجّجة، وقد تكون لغايات فئويّة أو ذاتيّة أو طائفيّة باسم الجماعة أو الأمّة.

على العقلاء في عالمنا العربيّ أن يدركوا اليوم خطورة المرحلة، وأنّ شرارة غزّة قد تمتدّ لتشمل مواقع جغرافيّة أوسع من أوطاننا العربيّة، وإذا استمرت القضيّة الفلسطينيّة كحالتها اليوم، فهي كمسمار جحا الّذي به يتشبث القريب والبعيد لنشر الفوضى في هذه المنطقة، واستمرار الصّراع والاحتراب فيها، وأكل خيراتها، مقابل نشر الفقر والمسكنة في مجتمعاتها.

إنّ إقامة دولة فلسطينيّة اليوم، واستقرار هذه المنطقة؛ من أهم الطّرق لاستقرار العالم العربيّ، وإن كان هو كما أسلفت في أكثر من مقالة حالة إنسانيّة قبل النّظر إلى أيّ معايير أخرى، قريبة أم بعيدة، فمن حقّ الإنسان الفلسطينيّ كأيّ إنسان في العالم في تحقّق كرامته الإنسانيّة، وفي تحقّق أمنه واستقراره.

نحن اليوم بحاجة إلى تحرّك العقلاء بشكل أوسع من أيّ وقت مضى، وأن يحرّك المرحلة العقل لا العواطف، والتّعقّل لا التّهييج، والواقع لا الأحلام، والسّننيّة لا الماضويّة، هذا التّحرّك لابدّ أن يسايره حزم وعزم، ووحدة عربيّة ترى أن قوّتها في داخلها، وأمنها من استقرار كافّة بلدانها، ونهضتها تتحقّق بنهضة جميع شعوبها، والاستفادة من التّعدّديّة فيها، وإلّا حينها يتحقّق المثل "اتّسع الفتق على الرّاتق"، ورأينا اليوم شيئا من اتّساعه في أكثر من قطر عربيّ، وقد يمتدّ إذا لم يساير بحركة عقلانيّة حازمة.

وإنني أقترح هنا ضرورة وجود مجمع أو مركز عربيّ موحد ومستقل، غايته البحث العقليّ والنّقديّ الموحد، ويستفيد من القامات العقليّة فيه، وقد يتبع مستقبلا بجامعة عربيّة نهضويّة ونقديّة واحدة، تحدّ من الخطابات العاطفيّة، سابقا باسم اليسار، واليوم يغلب عليها ذات اليمين، وتستثمرها سياسات خارجيّة لأغراضها الذّاتيّة، ولتحقيق مصالحها الآنيّة، فلا يهمّها أكان يمينا أو يسارا، ما دامت تحقّق مصالحها، ولو خالفت شعاراتها، وباينت لباسها، هذه

الجامعة تخرّج أجيالا تحرّكهم العقول لا العواطف، والواقع لا الماضي، والعلم وليس التّسطيح، وأن تنطلق من نهضة الذّات قبل الالتفاتة إلى البعيد.

هذا المركز إذا ما أحسن توظيفه سيكون أهم رافد للسّياسيين، فليس كلّ سياسيّ قادر على التّعقّل وإدارة الأزمات، كما أنّه يكبح الرّؤية القاصرة وغير المتعقّلة أمام خطابات بعض رجال الدّين، الّذين همّهم تحريك عواطف الجماهير، دون حساب لتبعات هذه الخطابات على المستوى القريب والبعيد.

وعودا إلى حديثنا، وقد ابتعدنا عنه وإن كان لابدّ من حديث الابتعاد، فإنّه من المحزن حقّا أن يمرّ هذا العيد الحزين على شعب لا ذنب له، فأيّ عيد يفرحون به، على بيوتهم المهدّمة، أم على أشلاء جثثهم الممزقة، أم على بسمات أطفالهم الّتي منعها صراخ أمهاتهم، هذا إذا كان الصّراخ باقيا إن لم يسكته الموت أيضا، أم عيد يفرحون به على بطونهم الجائعة، ومياه شربهم الملوثة، فما بقي من حالهم إلّا كما يقول أحمد شوقي:

برء العباد من الشّرائع كلّها  إن كان قتل النّفس ممّا يرفع

لا تذكرنّ الحرب أو أهوالها  إلّا بقلب خاشع يتوجع

واذرف على القلب الدّموع فكلّكم  في آدم أهل وآدم يجمع

للخلق صبيان كما لك صبية  ولهم لباس فارقوه ومضجع

واخرج من الحرب العوان بِعبِرة  إنّ العظات من الحوادث أوقع

حرب على حرب حنانك ربنا  لم يبق منا ما ينال المدفع

أدرك دماء الخلق إنّ دماءهم  سالت فوجه الأرض منها مترع

## فعاليّة العطر في عمان وجدليّة العمل الثّقافيّ[25]

أقام النّادي الثّقافيّ مؤخرا فعاليّة العطر في عمان، وهي أشبه بالمهرجان المصغر، والّذي جمع بين التّأريخ والآثار والأدب من جهة، وبين الشّعر والفنّ والموسيقى من جهة ثانية، كما تضمّن سوقا للعطور، ومعرضا فنيّا، وورشات عمل تعليميّة في صناعة المجامر والبخور والعطور، وكيفيّة تقطير الورد، والمشاركة في الرّسم، ولقي تفاعلا جيّدا، خصوصا من فئة الشّباب، والمهتمين بهذا الجانب، ولولا موقع النّادي البعيد عن الاكتظاظ السّكانيّ كولايتي السّيب وبوشر، وما يعانيه من قلّة مواقف السّيارات، والمشاكل المتكرّرة بسبب ذلك، لكان الحضور أكبر بكثير في نظري، خصوصا لمّا يتعلق الأمر في فعاليّة جماهيريّة متنوعة كهذه.

توقعت من الابتداء أنّ عنوانا كهذا "العطر في عمان" لن يخلو من انتقاد ومن جدل، والانتقاد حالة صحيّة، ومن حقّ المجتمع أن يقدّم رأيه، وأن ينقد ويوجه، وأيّ فعاليّة لا تحدث تفاعلا وجدلا؛ لا يكون نجاحها كتلك الفعاليّات الّتي تحدث شيئا من الضّجيج، ومن أهم الانتقادات أنّ النّادي الثّقافيّ معني بالثّقافة والأدب، وبالكاتب والمثقف والشّاعر والأديب، فما علاقة ذلك بالعطر والسّوق والدّعاية والتّسويق، فهذا ليس من اختصاصه، وإنّما من اختصاصات جهات أخرى.

وهنا لا أجيب مدافعا عن النّادي لكوني عضوا فيه، فكان لدي ذات الإحساس والتّساؤل والتّعجب، ولكن يجب في الوقت ذاته أن أحترم مقترحات باقي الأعضاء ورؤيتهم، ومن خلال معايشتي للحدث، لقد تبين لي أنّ الثّقافة ليست تلك الصّورة التّقليديّة النّمطيّة، ومن خلال محاولتي في السّنوات العشر الأخيرة في الحضور الثّقافيّ بصورته الواسعة في المراكز الثّقافيّة في مسقط خصوصا، ومنها خارج عمان؛ أدركت أنّ العالم لا يعيش في صورة واحدة، هناك عالم ثقافيّ يجمعنا، لكنه ليس عالما واحدا في الحقيقة، بل هو عوالم متباينة، وتصل أحيانا إلى حدّ التّناقض.

[25] موقع بدر العبريّ.

تأملت الحضور المتفاعل مع الفعاليات، فكان حضورا متباينا، فمنهم جاء لأجل النّدوات المعرفيّة، حيث تناولت العطر في الآثار العمانيّة، وفي التّأريخ العمانيّ، وفي الأدبيات الفقهيّة والشّعريّة واللّغويّة، وفي الرّواية والكتابات المعاصرة، وفي الأساطير والحكايات الشّعبيّة العمانيّة، فوجدت لها جمهورها القريب نوعا ما من جمهور الأمسيات الشّعريّة، والّتي شارك فيها رموز شعريّة عمانيّة، وفي المقابل وجدت جمهورا آخر مختلفا، تفاعل مع الموسيقى والرّسم، ومع المعرض الفنيّ، وغالبهم من الشّباب، كذلك الورش المكثفة منذ الإعلان عنها مبكرا؛ إلّا أنّ مقاعد التّسجيل امتلأت مباشرة، ثمّ من الجميل أن يكون هذا التّناغم الرّباعيّ: المعرفة العقليّة، والوجدان الشّعريّ والموسيقيّ، والجمال البصريّ والفنيّ، مع السّوق والتّدريب، وجميع هذا يجمعه خيط واحد، وهو ثقافة العطر.

الثّقافة كما أسلفتُ في أكثر من مناسبة خيط رفيع، وعالم واسع، فمن الجميل أن يجد السّوق مكانا له في الثّقافة؛ لأنّ السّوق بتنوعه يشكل ثقافة المجتمع أيضا، فيجتمع التّنظير مع الواقع، والماضي مع الحاضر، والوجدان مع المادّة والمحسوس، وبهذا الثّقافة لا تغرق في التّنظير والعيش في الأبراج، ولكنّها أيضا لا تضع نفسها موضع الاستسهال والسّذاجة المعرفيّة، ولا توجد أمّة بلا ثقافة، ولا يمكن العيش خارج الثّقافة، فجميع ذلك متداخل يشمله التّدافع والتّعدّد والاختلاف والتّناقض أيضا.

وفي الوقت ذاته كما قيل قديما في الأمثال الصّينيّة المتداولة: "لا تعطني سمكة، بل علّمني كيف أصطاد أو أصيد"، وهذا ما حاولت أن تصل إليه الفعاليّة تماما، فمن خلال الورشات ممكن أن تخرج بنتيجة كيف تستطيع أن تصنع عملا فخاريّا كالمجامر، أو كيف تستطيع أن تكون ماهرا في صناعة البخور والعطور، أو كيف ممكن أن تقطّر ماء الورد، أو كيف ممكن أن تنمي موهبة الرّسم لديك، وتستفيد من خبرات ومواهب من أتقن ذلك.

وكما قيل قديما أيضا: النّجاح يبدأ بفكرة، قد تكون ساذجة في الابتداء، بيد أنّها قد تغيّر حياتك تماما، وفي القرآن: {أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ، تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ}

[إبراهيم: 24 – 25]، فمثل هذه الورشات قد تلهم من كان لاهيا عنها، أو تقرّب الصّورة لمن يجد الصّعوبة في إدراكها، ليبني بذلك مشروعا له، يخدم به ذاته ومجتمعه والإنسان، وينمي بذلك ثقافة وطنه ومجتمعه مستقبلا، ليكون فاعلا منتجا فيه.

وبما أنّ الثّقافة مرتبطة بالعقل والفنّ والواقع كما أسلفتُ، وبما أنّ غالب منتدياتنا الثّقافيّة ارتبطت عادة بالفنّ في صورته الشّاعريّة، بيد أنّ الموسيقي والمغني والمنشد والممثل والرّسام والنّقاش والمصوّر والسّينمائيّ لا ينبغي أن ينفصل عن هذه المراكز والمنتديات الثّقافيّة، فهي بيته أيضا، ومكان تنمية مواهبه وإبداعه، شأنه كشأن الفيلسوف والمفكر والمؤرخ والباحث والأديب، وهنا يرى كانت (ت 1804م) أنّ للفنون ثلاثة طرق: "الّتي تستخدم الكلمات كالشّعر والخطابة، والّتي تستخدم الصّور التّشكيليّة كالعمارة والنّحت، والّتي تستخدم الأصوات كالموسيقى، وأضاف إلى هذه الأنواع نوعا آخر سماه الفنون المركبة، أي مؤلفة من عدة فنون: أدب، ضوء، تمثيل، إخراج، ديكور ...." [كتاب تصنيف الفنون العربيّة والإسلاميّة لسيّد أحمد بخيت عليّ]، والشّاهد من هذا أنّ هذه الفعاليّة حاولت أيضا أن تشرك الموسيقي والرّسام والفنّان لينصهر مع البرامج الأخرى، في جوّ ثقافيّ بديع.

ما أسلفت ذكره لا يعني أن تفقد هذه المراكز والنّوادي الثّقافيّة، - ومنها النّادي الثقافيّ العمانيّ - دورها الحقيقيّ في الجانب النّقديّ والبحثيّ، وحضورها مع الواقع المعيش، ولكن لا يعني أيضا أن تنكمش في السّلفيّة الثّقافيّة – إن صح التّعبير -، والّتي تحصر طرقها في جوانب تقليديّة، ولا أن تكون الثّقافة موضع إثارة وضجيج فقط، بيد أنّها لابدّ أن تسع العوالم الأخرى، لتنقلها إلى عالم النّقد والإنتاج معا، فبقدر ما هي ناقدة؛ هي في الوقت ذاته منتجة وملهمة للمجتمع، وفق الآليات المتاحة لها، وهذا ما يحاول النّادي الثّقافيّ حاليا إبرازه، فمن الجلسات الأدبيّة والفكريّة، إلى المحاضرات والنّدوات النقديّة والبحثيّة المتنوعة، إلى الطّاولة المستديرة والّتي تناقش قضايا الشّباب والمجتمع، ورؤية عمان 2040، إلى القراءات الإبداعيّة والكتابية، وفي المقابل تنمية المواهب عن طريق مخبر النّادي في الفنّ والرّسم والسّينما، والورشات الملهمة والمنتجة، وتشجيع الكاتب في دعم إصداره، وغيرها من الجوانب، وفق الإمكانات المتاحة ماديّا

ومكانيّا، بيد أنّي كما أسلفت مقدّما النّقد حالة صحيّة، وتفاعل المجتمع مع النّادي حضورا ونقدا وتوجيها؛ هو الّذي يرفع أيّ جهة ثقافيّة أو اجتماعيّة عموما، أيّا كانت صورتها وغايتها.

## كن أذن خير[26]

يموج العالم اليوم باضطرابات مختلفة، وأقربها ما يحدث في بلاد الشّام، من أحداث غزّة ولبنان وأخيرا ما يتجدّد في سورية، وما سبق ذلك من أحداث اليمن وليبيا والسّودان، بعضها واضحة المعالم كما في غزّة من دمار وإبادة لشعب أعزل، وبعضها أقرب إلى الفتنة، تجعل الحليم حيران، "والفتنة أشدّ من القتل"، ومن أعظم الفتن الصرّاعات الدّاخليّة والأهليّة، والّتي تجعل الأرض بلاقع، وتأكل الأخضر واليابس، وتخرّب الدّيار، وترمل النّساء، وتيتم الأطفال، ويعمّ فيها الخوف، ويرتفع الأمن، فينتشر الجوع والفقر والمسكنة.

لنجد بعضهم، وهو لا يدرك ما يحدث، متكأ على أريكته، مطمئنا في سربه، عنده بكل يسر قوت يومه، يلاعب أولاده، ويجالس خلّانه، يتحوّل إلى مجاهد في طرفة عين، يشجّع هذا الفريق، أو يخوّن ذاك الفريق، وهو لا يدرك أبعاد السّياسة، ولا أسباب القضيّة، إلّا ما يرويه الإعلام المؤدلج، والمنشورات المتناقضة، فيساهم في إشعال النّار بدلا أن يسعى لإطفائها، ويكون أداة تهييج بدل أن يكون أداة تعقل وأذن خير.

ومنهم من تحرّك قلمه سياسات لا همّ لها إلّا خراب البلدان، وانتشار الفوضى في العالم، لأسباب سياسيّة أو اقتصاديّة، أو حتّى لاهوتيّة، يريدون أن يجعلوا النّاس قطيعا لشعارات ذات اليمين وذات الشّمال، فتخدّر العقول ليرتفع التّعقل، وتثير العواطف لتتحوّل إلى فعل يسقط أسباب ذلك على بلده، وكأنّها سبب دمار الأوطان.

وقد يسقطون شعاراتهم على عقول فارغة، ترى ما يقوله مقدّسا، وصوابا لا يحتمل الخطأ، فتملأ عواطفه ليغيب تعقّله، فيعيش في سكرة الوهم، ليرى في حقيقة ذاته أنّ القريب عدو له، وإن لم يظهرها بلسانه، بيد أنّك تدركها من لحن القول والتّغريدات والشّعارات، وتقسيمهم النّاس حسبما يبطنون في دواخلهم، فيسود العالم شعارات تهييجيّة، وخطابات مبطنة، لأغراض أيدلوجيّة، منهم الصّادق الّذي لا يقرأ الحدث إلّا اتّباعا لمن يزيده عاطفة لا

[26] جريدة عُمان.

تعقّلا، ومنهم من يدرك ذلك، ولكن يحمل في باطنه غير ما يظهره من استغلال مثل هذه الأحداث الأليمة، منتظرا ملائمة الواقع ليظهر ما يبطنه، إذا لم يملأ هذا الواقع بالتّعقل، وتتمدّد فيه دائرة العقلاء، وإلّا سنجد في المستقبل نسخا أخرى من هذا الدّمار، متى ما كان هناك ضعف أمنيّ، وعدم استقرار داخليّ.

هذه الشّعارات المؤدلجة عندما تقع في عقول تحرّكها العواطف، وتسكرها جماليات الشّعارات، ترى أنّ خلاصها في تجارب ماضويّة، لا يشبهها اليوم إلّا بعض الجماعات المتطرّفة، فهم من يحكمون الشّريعة، ويرفعون راية الجهاد، ويأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، ويسعون إلى تحقيق خلافة الله في الأرض، عكس دولهم وحكّامهم، ما هم إلّا أداة استعمار، وخدّاما للصّهاينة، لتتعلّق بواطنهم بهذه الجماعات، ويرون بيعتهم معلّقة بها، وإلّا مات ميتة جاهليّة، وقد ينغمس فيها، ويبايع أميرها أبا حفص القرشيّ الهاشميّ، وإن سألته من هو، وما نتاجه، وما الّذي أحياه للنّاس من خدمات، وما الّذي قدّمه من منافع، هنا يتوقف عن الجواب، ويقف عند الجهاد وتطبيق الشّريعة والأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، وكأنّ هذه لا تتحقّق إلّا بخراب البلدان، وقتل النّفوس، وسبي النّساء، وتيتم الأطفال، وينسبون ذلك إلى الله، وكأنّه لم يخلق خلقه إلّا لسفك الدّم، ولا يتحقّق شرعه إلّا بإفساد الأرض، ونشر الفوضى فيها.

هذا المتعلّق قلبا وفكرا وقد يتحوّل إلى انغماس في هذه الجماعات، بعد حين يرى في باطنه أنّ دولته متصهينة متغرّبة، وهو يعيش فيها مطمئنا، تتقدّم في خدماتها وما ينفع النّاس، يتدافعون فيها لتحقيق معاشهم، والتّقدّم بوطنهم، والحفاظ على أمنهم، بينما يدرك مليّا حال هذه البلدان الّتي انتشرت فيها مثل هذه الجماعات، من خراب ودمار وفوضى، فأصبحت بلاقع أهلها مشرّدون بلا ذنب، وأبرياؤها يزدادون فقرا بلا رحمة، فلو تعقّل قليلا، وأبعد عنه عاطفة الشّعارات، لأدرك الفارق مليّا، وأنّ شريعة الله أوسع من أن تضيّق في حدود أو استعباد للبشر، فهي قائمة على إصلاح الأرض وعدم الإفساد فيها، وعلى حفظ دماء النّاس وأعراضهم وأموالهم، وعلى تحقيق قيم العدل والمساواة، وعلى احترام الآخر لإنسانيّته، وعلى السّير في الأرض لكشفها والإبداع فيها، وعلى تحريك العقول لعمارتها وزراعتها وخدمة الإنسان في بسيطتها.

جميعنا مع الوقوف مع الإنسان المظلوم شرقا وغربا، أيّا كان دينه وتوجهه، وجميعنا ضدّ الجماعات المتطرّفة باسم الدّين، وضد استنساخ صراعات ماضويّة لتدميرّ شعوب العالم بسببها، وخراب أوطان بتأويلاتها، كانت هندوسيّة ضدّ المسلمين في الهند، أو بوذيّة ضدّ الروهينجا في ميانمار، أو صهيونيّة باسم اليهوديّة والمسيحيّة في فلسطين، أو كانت إسلاميّة في سوريّة والعراق وغيرها، أو حتّى لا دينيّة، أو باسم الفلسفات المعاصرة.

نحن مع الإنسان كإنسان، له ذاتيّته وقيمته باعتبار كرامته الوجوديّة، وليس باعتبار انتماءاته اللّاحقة، وهذا لا يتحقّق بالشّعارات، وإنّما بالدّراسات العقلانيّة، الّتي تدرس القضايا بعمق وفق مؤسّسات وقراءات بحثيّة، لا وفق انطباعات أو رؤى قاصرة، أو شعارات وخطابات وأغاني وجدانيّة، هذا يجعلنا أن ننتقل من دائرة الدّمار إلى دائرة الإحياء، ومن ضيق الماضي إلى سعة الحاضر، ومن أنانيّة الذّات إلى الرّحمة للعالمين، وأن نتجاوز أن نكون دوما ردّات فعل تحرّكها العواطف إلى أذن خير يحرّكه العقل والتّعقل والبحث والنّظر والتّأمل والتّأني والتّخطيط، لنخرج بهذا جيلا محبّا للحياة والبناء والمعرفة والإصلاح في الأرض، لا منقادا لهذا وذاك بدون تعقّل ونظر.

## لبنان عروس شاخت سريعا[27]

لبنان كانت يوما ما قبلة العرب والعروبة في التّعدّديّة والجماليّة، كانت مضرب المثل في احتواء الجميع، لم تفرق بين أصوليّ ولبراليّ، ولا بين مسيحيّ ومسلم، ولا بين سنيّ وشيعيّ، ولا بين أشعريّ صوفيّ وسلفيّ، ولا بين إخوانيّ وحبشيّ، ولا بين درزيّ وإماميّ، ولا بين مارونيّ وكاثوليكيّ، ولا بين أرمن وسريان، ولا بين من يجعل من الاتّجاهات المعاصرة له منهجا، ولا بين من لا زال يعيش ماضيه وفق تصوّره اللّاهوتيّ، فأرض لبنان جمعتهم جميعا، وعاشوا تحت ظلالها، واستمتعوا بخيراتها.

"هنا بيروت" كانت قلب العالم العربيّ لمن أراد المعرفة والنّقد والفلسفة وحريّة الكلمة، يفد إليها المفكرون والفلاسفة والسّياسيون والمعارضون والمهمشون جميعا، فيجدونها ملاذا وعالما يسعهم بأطيافهم المتباينة، وكانت مقاهي بيروت يلتقي فيها رموز الأدب والفكر والسّياسة، وسايرت المقاهي صحافة لبنان لتسعهم جميعا، فيكتبون فيها ما يخشونه في بلدانهم، وكان الفنّانون يجدون في لبنان عالما يعطيهم مساحة من الحريّة لإبداع فنّهم، ليصبح صوت فيروز صوتا للعالم أجمع، والّتي لم تغنِ إلّا للإنسان والجمال فقط، ليتجاوز اللّغة والجغرافيا والأعراق.

"طبع في بيروت" "طبع في لبنان" لا يكاد كتاب عربيّ خلال أكثر من قرن يخلو من اسم بيروت أو لبنان، بل أكثر من ذلك، فمطبعة الشّماس المارونيّ عبد الله الزّاخر (ت: 1748م) في دير مار يوحنا الصّابغ والّتي تعود إلى عام 1731م، فهي الثّانية بعد مطبعة حلب، بيد أنّها استمرت أكثر من قرنين، وطبعت بالحروف السّريانيّة أولا، ثمّ العربيّة ثانيا، ولا زال الكتاب حتّى اليوم يطبع في بيروت، ولا زالت لبنان قبلة النّاشرين، ليطبع فيها أمّهات الكتب، ولم يستطع قطر عربيّ آخر أن ينافسها في هذا الجانب.

[27] جريدة عمان.

"الصّيف في بيروت" "الصّيف في جبال لبنان وجنوبه والبقاع وطرابلس وصيدا" وغيرها من مناطق لبنان، كانت قبلة لمن أراد الاستجمام بعد عام من العمل والجهد، يعادله اليوم كالّذي يريد الاستجمام في أوربا، فكانت لبنان سويسرا العرب، جمعت بين جمال الطّبيعة والتّضاريس، وبين جمال الطّقس والمناخ، فأجواء "الكريسماس" وأعياد الميلاد مؤذنة بشتاء ثلجيّ لمن يحبّ العيش في هذه الأجواء، وصيفها أخضر معتدل في الجبال والبقاع والجنوب والشّمال، مع ساحل بحريّ وعيون وخضرة تجذب النّاضرين إليها.

"آثار بعلبك" أو "مدينة الشّمس" مسرح ومعابد وآثار رومانيّة قديمة، ماثلها جرش في الأردن، وقرطاج وسبيطلة في تونس وغيرها، بيد أنّ بعلبك أخذت حيّزا فنيّا وسياحيّا مبكرا، فمهرجان بعلبك بدأ عام 1955م، ولا زال حتّى اليوم قائما، فكانت قبلة الفنانين والموسيقيين لأكثر من سبعة عقود، وفيها غُنّت ذهبيات الفنّ والإبداع العربيّ.

"هذه لبنان" تعانقت فيها المساجد والكنائس ليرون الله رمز الجمال والمحبّة، فالله محبّة، والأديان تجسيد لهذه المحبّة، وفيها اجتمعت محبّة آل البيت بين التّصوّف والتّشيع، كما اجتمعت فيها جميع التّيارات والحركات والتّوجهات لأنّ الأرض تسعهم جميعا، وقد توحدت كلمتهم جميعا ضد "فرمان" سفر برلك عام 1914م، كما توحدوا في مقاومة الاستعمار الفرنسيّ، فعانقت روح شكيب أرسلان (ت: 1946م) وكمال جنبلاط (ت: 1977) من الدّروز مع روح جبران خليل جبران (ت: 1931م) وجورج إبراهيم عبد الله من الموارنة، مع أرواح إخوانهم من السّنّة والشّيعة والأرمن وغيرهم.

"لبنان عروس شاخت" منذ بدايات الحرب الأهليّة عام 1975م بدأت لبنان تتراجع إلى الخلف، وبدأت هذه العروس الجميلة تشيخ شيئا فشيئا، فأدرك الفرنسيون والاستكبار الغربيّ والاحتلال الإسرائيليّ عموما أنّ لبنان حاضنة للعرب عموما، علما وحريّة وإبداعا، وللنّضال الفلسطينيّ خصوصا، فاستغلوا التّعدّديّة الطائفيّة، فجعلوا الكفة السّياسيّة والإداريّة للمسيحيين الموارنة ليس حبّا فيهم ولعروبتهم وسريانيتهم، ولكنها بداية الشّرارة، ليتحول عناق

الكنائس والمساجد إلى صراع وحروب وتنافر، فبدأت مع الفلسطينيين، ثم توسعت طائفيّا بين المسلمين والمسيحيين.

ثمّ ظهر الصّراع القوميّ الماركسيّ مع الأصوليّات الدّينيّة، ومع الصّحوة الإسلاميّة ظهر صراع الطّوائف الإسلاميّة ذاتها، بين التّصوّف والأحباش والأشاعرة من جهة، وبين السّلفيّة من جهة ثانية، ثمّ بين التّسنن والتّشيّع بشكل أوسع، ثمّ الأحزاب السّياسيّة ذاتها، فتحولت كما يرى المفكر اللّبنانيّ وجيه قانصو إلى أيدولوجيات بذاتها، أو خادمة للأيدولوجيات وليس الوطن.

هنا لم يعد الوطن جامعا للبنانيين، ولم تعد تربته حاضنة لهم، وإن اختلفوا وتباينوا فهذا شيء طبيعيّ إذا ما كان الاختلاف والتّباين لأجل الوطن، بيد أنّهم عاشوا جسدا في لبنان، ولكن العديد منهم أصبحت أرواحهم معلّقة بولاءات خارجيّة، حسب انتماءاته الفكريّة والمذهبيّة والدّينيّة، والوطن إذا لم يكن رمزا جامعا للولاء من أبنائه، فلن يدم طويلا، ويسهل اختراقه، وزرع الفتنة والفوضى فيه، وهذا ما حدث في لبنان، فالتّعدّديّة حالة طبيعيّة وصحيّة إذا ما كان الولاء والعمل للوطن، والنّاس سواسية فيه، ذاتهم واحدة لا تختلف بينهم، أيّا كانت ألبستهم الدّينيّة والمذهبيّة والفكريّة.

وزاده ألما هذا الدّمار وهذه الإبادة من قبل كيان لا يعرف الرّحمة، ولا يهمّه أكان الضّحية صغيرا أم كبيرا، ذكرا أم أنثى، محاربا أم مدنيا، يدّمر كل شيء، من بيوت بما فيها، ومن مدارس ومستشفيات وطرق، حتّى أصبحت بعض مدن لبنان وقراها أشبه بمدينة الأشباح، والعالم يتفرج وكأنّها دماء جرذان لا دماء إنسان، وقد قدّمت لبنان لعروبتها الكثير، وآوت الكثير، فحقّ أن يردّ جميلها، وأن تقف العروبة معها، لعلّها تعود كما كانت عروسا حسناء لا تشيخ، وما ذلك ببعيد إذا أدرك اللّبنانيون أولا أنّ ولاءهم لوطنهم هو الّذي يجعل لهم ثقلا في العالم، وإذا ما أدرك العرب أنّ استقرار لبنان وما حولها وجميع ديار العرب هو استقرار لهم جميعا، وإلّا سيكون مصير الجميع "أُكلت يوم أكل الثّور الأبيض".

## مسلسل معاوية بن أبي سفيان وتقديس الشّخوص والتّأريخ[28]

مسلسل معاوية بن أبي سفيان الّذي يعرض في رمضان هذا العام، والّذي من إنتاج إم بي سي؛ أحدث جدلا في الأوساط المعرفيّة والدّينيّة والمذهبيّة، وتعدّدت القراءات حوله، بين مؤيد ومعارض، ومحرّم ومشجع، ولكل وجهته ونظرته، فمعاوية بن أبي سفيان (ت 60هـ) من أكثر الشّخصيّات الجدليّة في تأريخنا الإسلاميّ، فكونه عاش في الشّام، وكان واليا عليها؛ استطاع تكوين مملكة أكثر انفتاحا على الثّقافات الأخرى، واتّساعا جغرافيّا، ولكون غالب تأريخنا كتب بعد العهد الأمويّ، ولأن التّأريخ يكتبه المنتصر عادة، فطبيعيّ أن تختزل هذه الفترة من الحكم الأمويّ في صراعات سلبيّة، لتصبح العديد من الرّوايات التّأريخيّة أشبه بالمسلّمات القطعيّة، والّتي يتصارع حولها العقل المسلم حتّى اليوم، فتشكلت في آراء لاهوتيّة كلاميّة مدارها التّعصّب للشّخوص والتّأريخ.

لا أريد الحديث عن الجدل الفقهيّ حول تصوير بعض الشّخصيّات التّأريخيّة كالصّحابة أو حتّى الأنبياء، فهو جدل متكرّر منذ فلم الرّسالة (1976م) وحتّى اليوم، وسبق أن كتبت عنه أثناء الضّجيج حول مسلسل عمر بن الخطّاب (2012م)، بيد أنّ الدّراما أقوى بكثير، فلم تعد تنتظر فتوى تبيح له أو تمنع، ولم يعد المشاهد يعتني بها كثيرا، وكثيرا ما يتجاوزها الواقع بعد ضجيجها، وقد تتغيّر رؤيتها هي ذاتها بعد عرض المسلسل، ما أريده هنا التّركيز حول هذه المسلسلات أو الأفلام التّأريخيّة وقضيّة تقديس الشّخوص والتّأريخ.

إنّ المتأمل في العديد من صراعاتنا اليوم تدور حول تقديس الشّخوص والتّأريخ، ومثل هذه المسلسلات والأفلام اتّفقنا ابتداء في أحداثها ووقت عرضها، أم اختلفنا معها، تكشف لنا هذين الأمرين، وقد شكّلا لنا الدّين التّأريخيّ، والّذي أخذ قداسة تأريخيّة أكثر منه جانبا نصيّا أوليا، على أنّ ثقافتنا في الدّين التّأريخيّ اليوم هي ثقافة عبّاسيّة، وقد تشكلت فيها العقليّة اللّاهوتيّة عند أغلب المذاهب الكلاميّة الإسلاميّة، وظهرت فيها النّزعة العلويّة، والّتي ترى لها

[28] جريدة عُمان.

خصوصيّتها في البيت القرشيّ، لتتحول مع وضع النّصّ الثّاني إلى قضيّة نصيّة لاهوتيّة مغلقة، لتدخل هذا التّأريخ في دائرة المقدّس، أو الدّين التّأريخيّ.

عندما ينزع المرء هذا الدّين التّأريخيّ من عقليّته، ويبدأ قليلا ينزوي مع النّصّ الأول أي القرآن، يجد القرآن ذاته ينزع القداسة عن الشّخوص والتّأريخ، ويجعل مدار الدّين يدور حول الإله ذاته، بعيدا عن إشراك أيّ مخلوق معه ولو كان ملكا أو رسولا، فنجد القرآن يتطرّق مثلا إلى الأنبياء، بيد أنّك لا نجد تلك القداسة كما في العقل الجمعيّ اللّاهوتيّ {وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا، أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا} [الفرقان: 7 – 8]، وقال حكاية عن نبيّه محمّد – عليه السّلام – مع قومه: {وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا، أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا، أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرَؤُهُ، قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا} [الإسراء: 90 – 93]، وعاتب نبيه في مواضع منها {عَفَا اللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ} [التّوبة: 43]، {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} [التّحريم: 1].

وفي السّياق التّأريخيّ أسهب القرآن مثلا في ذكر تأريخ بني إسرائيل في مصر، وصراعهم مع فرعون، وما أحدثوه مع نبيّهم موسى – عليه السّلام – من بعد الخروج، وحتّى مرحلة التّيه، كما في بدايات سورة البقرة، ومع هذا ختم تلك الآيات التّأريخيّة بقوله: {تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [البقرة: 134]، وعلّق الهداية بما تحويه قصصهم وسيرهم من مثل وعبر، ولم يعلّق ذلك على شخوصهم، {لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ} [يوسف: 111]، {أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ} [الأنعام: 90]، ومع ذكر القرآن للعديد من الأنبياء بيد أنّه لم يتطرّق إلى ذواتهم وأشكالهم ولباسهم وطعامهم وحركات نومهم ويقظتهم إلّا في مدار العبرة، ولم يجعلهم شركاء معه لتضفى إليهم قداسة

لاهوتيّة مغلقة أوصلها بعض الغلاة من الأخباريين نتيجة روايات النّصّ الثّاني إلى الشّراك التّكوينيّ في التّصرّف بالكون ذاته.

والمتأمل في غالب المذاهب الكلاميّة الإسلاميّة اليوم يجد عكس النّهج القرآنيّ تماما، فتشكلها بدأ منذ حادثة السّقيفة وحتّى مقتل عثمان، فالجمل والنّهروان وصفّين وكربلاء لاحقا، جميع هذه الأحداث السّياسيّة قطعا حدثت بعد وفاة الرّسول، وبعد إنزال النّصّ الأول، فهي حالة تأريخيّة تشكلت لاحقا لا يمكن جعلها في زاوية النّصّ المقدّس، وإلّا كان النّصّ الأول ناقصا ليس كاملا، ولا معنى لآية إكمال الدّين؛ لأنّه لم يكتمل بإنزال النّصّ، ولم يصبح المدار هنا هو الله المطلق، بل أصبح المدار هم ما دونه من الشّخوص والمخلوقات.

على أنّ هذه الحوليّات غالبها دونت متأخرا، وركزت بشكل كبير على الصّراعات السّياسيّة، والّتي نقلت حسب رؤية المدون المذهبيّة، أو السّياسة الّتي ينتمي إليها، ليختصر ما يقارب نصف قرن في صراعات سياسيّة قبليّة مدارها ابتداء بين الأنصار المتمثلين في الأوس والخزرج، والمهاجرين المتمثلين في قريش، ثم صراع المهاجرين في بطون قريش ذاتها، ثمّ من له قرابة بالنّبيّ في مجاله الأوسع كعمّه العبّاس، أو الأضيق في البطنين، ليهمل التّأريخ - كطبيعة الحوليّات - الجوانب الحضاريّة والثّقافيّة، وبهذا يصورون لنا أنّ هذا الدّين كان من أعظم نتائجه وبعد وفاة النّبيّ ذاته هذه الدّماء، وهذه الصّراعات القبليّة، وجميعهم يرجعون إلى ذات المنزع، وكانوا أقرب النّاس إلى النّبيّ – عليه السّلام -، لأنّ المنتصر لاحقا، بعقليّته اللّاهوتيّة والسّياسيّة المغلقة، أراد أن يكون التّأريخ هكذا، ومن زاوية مغلقة لأجل انتصارات مذهبيّة وسياسيّة، كما غيّب تأريخ أمم أخرى لا علاقة لها بالحجاز ومنطقة الصّراع، وكانت أكثر ثراء واستقرارا، لتضيق ثقافة هؤلاء جميعا لاحقا، ويعيشوا رهين صراعات هذه الفترة في هذه المنطقة بالذّات من عالمهم الجغرافيّ الأوسع حينها، وكأنّه لا وجود لهم، واختفوا من لحظة التّأريخ.

هذه الصّراعات التّأريخيّة – للأسف – شكلّت الدّين التّأريخيّ الّذي نرى نتائجه اليوم، ومداره لا يتجاوز تقديس الشّخوص والتّأريخ، ولأجلهما صيغت الرّوايات، وفسّر النّصّ الأول،

واستخدم حتّى المنطق والفلسفة لتغلق كلاميّا لأجل صراعات تأريخيّة، شكلت هذا المقدّس التّأريخيّ لأكثر من ألف عام، والّتي أصبحت أقوى من النّصّ الأول، فخضع المطلق للنّسبيّ، والقيم للتّأريخ، لنعيش هذا التّأريخ في أجوائه الكلاميّة والمذهبيّة المغلقة، وطبيعيّ ما نراه من جدل حول مسلسل معاوية بن أبي سفيان، فهو إمّا أن يرهن لغايات سياسيّة ومذهبيّة مسبقة، لتكون الدّراما السّينمائيّة اليوم مكان الرّوايات الحديثيّة والتّأريخيّة بالأمس، أو أن يتجاوز العقل المعرفيّ والدّراميّ ويشكّل مرحلة جديدة في قراءة التّأريخ من خلال الدّراما، لا علاقة لها بالمقدّس أو تكريس قداسة التّأريخ، وأن تكون غاياتها نهضة الإنسان المسلم اليوم.

## معرض مسقط للكتاب وضيف الشّرف[29]

في هذا الأسبوع يُفتتح العرسُ الثّقافيّ السّنويّ العمانيّ أي معرض مسقط للكتاب في دورته التّاسعة والعشرين، وهو عرس سنوي منتظر بشوق من محبّي الثّقافة بجميع تشكلاتها، كما أنّه تهاجر إليه الثّقافات والأفكار والعلوم من أقطار عديدة في العالم بجميع تشكلاتها لتجدها قريبة منك في بلدك في فضاء إنسانيّ مفتوح أمام نتاج الإنسان وتقدّم إبداعاته واختراعاته، وتعدّد ثقافته وميولاته.

لقد كتبتُ في السّنوات الماضية كثيرا عن معرض مسقط للكتاب إعجابا ونقدا، فلا أريد هنا تكرار ما كتبت، بيد أنّي مضطر أن أعقّب على البرنامج الثّقافيّ للمعرض، والّذي لم تظهر الصّورة النّهائيّة – حسب تصوري - بَعد، ونحن على بُعد يوم من افتتاحه، عدا تضمينه ضمن بيانات دورة المعرض والّذي انتشر عقب المؤتمر الصّحفيّ لمعرض مسقط للكتاب الأربعاء الماضي، وحتّى الآن لم نرَ البرنامج في صورة تصميميّة جاذبة تليق بمعرض الكتاب، والأصل أن يكون ذلك بشكل مبكر يخلق دعاية ضمنيّة للمعرض، كما أنّه يعطي صورة فخريّة له نباهي بها المعارض الأخرى إذا ما أحسن اختيارات برامجه، وانطلقت من العموميّات إلى الإبداع والإحكام، وهذا لا أجده بصورة ظاهرة في الجدول المنتشر، مقارنة بمعارض قريبة منّا، والّتي تصاحبنا هذه الأيام أيضا.

هناك ثلاث جوانب ممكن أن نحاكم بها جاذبيّة وإحكام البرنامج، وهي الثّيمة وخيط الثّقافة ومدار البرنامج ذاته، بمعنى ليست العبرة بكثرة الفعاليات، وإنّما بمدى حضور الإبداع والإحكام فيها، فهناك فعاليّات رئيسة تكون مدار البرنامج تُسلّط عليها الأضواء بشكل أكبر، فلكل يوم مثلا فعاليّته الرّئيسة، تحوي رموزا ثقافيّة كبيرة لها ثقلها المعرفيّ وليس الإعلاميّ فحسب على المستوى المحليّ أو العربيّ والعالميّ، لتكرم بالتّفاعل من حيث الحضور والصّحافة

[29] جريدة عُمان.

والتّوثيق، وهناك فعاليات مصاحبة، يجمع هذا ثيمة لها علاقة بالثّقافة، ويدرك المتابع مدى حضور خيط الثّقافة فيها بشكل أعمق.

والبرنامج له مدارات مختلفة لأنّ النّاس بطبيعتهم يعيشون عوالم مختلفة، فهناك مثلا مدار من حيث الفعاليات كندوات وحوارات، ومدار من حيث الفنون كالموسيقى والرّسم والمسرح، وهكذا من حيث الطّفل والمرأة وغيرها، بيد كلّ مدار له فعالياته الرّئيسة من جهة والثّانويّة المصاحبة من إدارة البرنامج أو المؤسّسات الثّقافيّة من جهة أخرى، بيد أنّ تداخل البرنامج بدون إحكام يؤدّي إلى طغيان البرامج المصاحبة على البرامج الرّئيسة، والّتي في الأصل يكون الاهتمام والإنفاق عليها بشكل أكبر، كما يؤدّي إلى عدم ظهور الخيط الثّقافيّ خصوصا فيما يتعلّق بثيمة المعرض ورسالته المخصّصة لكلّ عام.

ما قلته سلفا لا يعني انتقاصا من برنامج العام، أو من الجهة المنظمة له، حيث يبذلون جهدا كبيرا في إعداده وتطويره يشكرون عليه، إلّا أنني كمتابع أقرأ من الخارج، وأزعم أنني لصيق المعرض منذ سنوات خلت لأكثر من عقد، كما أزعم أنني متابع للعديد من المعارض العربيّة من حيث التأمل والحضور، لكن في الوقت نفسه أسعد كثيرا عندما نباهي بمعرض مسقط عربيّا ودوليّا لمّا يصل إلى درجة الإحكام والرّيادة والإبداع، فالمعرض ليس بيعا وشراء فقط، بل هو تظاهرة ثقافيّة، وسوق ثقافيّ مفتوح بكل ما تعنيه الثّقافة وسبلها من معنى، فهو لا يمثل الجهات المنظمة بل يمثل عُمان جميعا، ورغم الكثافة السّكانيّة القليلة في عُمان مقارنة مثلا بمصر أو المغرب أو الجزائر، أو بالسّعوديّة في الخليج؛ بيد أنّه اليوم يعتبر من المعارض العربيّة الّتي تحمل بُعدا ثقافيّا مهمّا، ويشكّل إضافة في المشهد الثّقافيّ بشكل واسع.

الأمر الآخر والّذي أتعجب منه كلّ عام وهو ضيف الشّرف، وعُمان اليوم لها حضورها العربيّ والدّولي – والحمد لله -، كما ندرك ذلك في الخمس السّنوات الأخيرة من النّهضة المتجدّدة من خلال زيارات السّلطان نفسه – حفظه الله -، وعادة يكون ضيف الشّرف دولة ما تهاجر إليك بثقافتها وفنونها وإبداعها، وتعرّفك على كتّابها ومبدعيها وفنانيها، كما أنّ معرض الكتاب يهاجر بشكل غير مباشر إلى تلك الدّولة عن طريق الإعلام والصّحافة والكتابة، فلا معنى أن

يكون ضيف الشّرف محافظة عمانيّة، فهذا ممكن تحقّقه عند المعارض المحليّة، أو في مهرجان مسقط أو خريف صلالة؛ لأنه يحمل أبعادا اقتصاديّة واستثماريّة أكثر منه ثقافيّة بمفهومها التّقنيّ الدّقيق.

هذا الأمر يؤدّي إلى مطاطيّة ثيمة المعرض ذاته، وفق فعاليّات عموميّة، قد يفهم منها التّكثير وملأ الجدول أكثر منه الإبداع والإحكام – كما أسلفت -، من خلال العموميات بلا ثيمة ثقافيّة جامعة، تارة في عموميّة الاقتصاد أو الاستثمار أو الأدب أو التّراث مثلا، وهنا أتحدّث عن البرنامج الرّئيسيّ وليس عن البرامج المصاحبة، فقد يعذر الثّانيّ لأنّ رؤيتها وفق المؤسّسة بهويّتها الخاصّة والثّابتة حسب اشتغالاتها ما لا يعذر الأول لأنّه يخلق هويّة معينة للمعرض، وهي هويّة متحرّكة كلّ عام يشعر بها الزّائر بشكل واضح.

ما قلته سلفا يمثل وجهة نظري، وهي في الأصل نظرة محدودة لأنّي أنظر من زاوية محدودة، بينما صاحب الشّأن ينظر من زاوية واسعة وفق الإمكانات المتاحة، كما أنني أقرأ من الخارج بينما هو خبير من الدّاخل والخارج، بيد هذا لا يمنع من التّدافع والنّقد، وهي الحالة الصّحيّة لتقدّم المجتمعات، بدل المبالغة في الإطراء، ولكن أيضا لا نبخس ما يقومون به، فعملهم عظيم وإن كان تكليفا وظيفيّا لا تطوعيّا من حيث الابتداء، إلّا أنّهم يبذلون أوقاتهم لرقيّ المعرض وتقدّمه، وهذا يشكرون عليه، وهو واقع ملموس، ونحن ننتظر بشغف هذا العرس الثّقافيّ، والّذي بلا شكّ له مميزاته هذا العام، كما سيخلق إضافة في المشهد الثّقافيّ محليّا وعربيّا ودوليّا، وهذا ما نرجوه لعمان، فأيّ تقدّم فيها تقدّم للجميع نباهي وفخر به.

## نصح وإصلاح أم استهزاء وهدم[30]

يمرّ العالم اليوم بتحدّيات كبرى سياسيّة وماليّة، أمام لغط إعلاميّ، وصراعات فئويّة، وهناك نار يُراد لها أن تتمدّد لجعل البلدان الآمنة يسودها الخراب والصّراعات الأهليّة، خصوصا في عالمنا العربيّ، نتيجة الأوضاع غير المستقرّة في العديد من أقطاره الكبرى، يسود هذا تسطيح في وسائل التّواصل الاجتماعيّ، ومحاولة جرّ المجتمعات إلى صراعات طائفيّة ومناطقيّة، والاشتغال بالشّخوص استهزاء أكثر من الاشتغال بالأفكار نقدا وإصلاحا.

وإذا كانت جائحة كورونا أثبتت حقيقة الواقع الإنسانيّ في العالم أجمع، من انخفاض معدّلات العدالة بين الشّعوب، وكشفت عن المآسي غير الإنسانيّة للعديد من شعوب العالم، هذا ذاته كشف الواقع الاقتصاديّ الّذي يعيشه العالم، من رأسماليّة بشعة، وأكل لخيرات الشّعوب، واستغلال لحاجاتهم، فكلّما توغلت في العديد من العوالم تجد معنى الاتّجار بالبشر، وجعلهم في مستويات أدنى نتيجة سياسات بعض دول الرّجل الأبيض، وخلل في العقل الإداريّ من الدّاخل، والاعتماد على مصادر معينة وإهمال مصادر أخرى لها ديمومتها وأهميّتها، وعدم الاستفادة من المحيط الأفقيّ للدّول المجاورة، لأسباب سياسيّة أو طائفيّة، فعالمنا العربيّ مثلا من أكثر الدّول قدرة على الثّراء الاقتصاديّ، بما يحويه من تنوع جغرافيّ وثقافيّ، ومن وفرة بشريّة ومعدنيّة، بيد أنّ أغلب أقطاره يسوده الفقر والضّعف المعيشيّ.

وأكثر ما يقود إلى الفقر، وما يتبعه من تشريد واتّجار بالبشر هي الحروب والصّراعات الأهليّة، فتتحول البلدان الآمنة المطمئنّة إلى بلدان متحاربة نتيجة الفراغ السّياسيّ، وما دخلت الصّراعات الأهليّة في دولة ما إلّا وكان الخروج منها ليس يسيرا، بل يحتاج إلى فترة طويلة من الاستقرار والتّعافيّ السّياسيّ، وهذه الفترة كافية أن تجعل الأرض بلاقع، وأن تأكل الأخضر واليابس، ولكي يسودها التّعافي في الأجزاء الأخرى اقتصاديّا وتنمويّا، وحتّى تعود الدّولة إلى

[30] جريدة عُمان.

وحدتها واستقرارها ونظامها الجامع بين الجميع من حيث المواطنة الواحدة؛ هذا لا يتحقّق في عشيّة وضحاها.

لهذا وصول الدّول إلى حالة من الاستقرار الأمنيّ لابدّ أن يُحافظ عليه أمام التّحدّيّات الّتي تسود العالم اليوم، فهي تحدّيات عالميّة كما أسلفتُ، كان لعالمنا العربيّ – للأسف – نصيبا كبيرا فيها، فعودة اليمن والسّودان وليبيا وسوريّة مثلا إلى وضع الدّولة الآمنة المستقرّة؛ هذا يحتاج إلى وقت له آثاره السّلبيّة الحاليّة، ولكن لابدّ من وجود دولة وطنيّة واحدة جامعة بين الجميع، وفق نظام أو دستور يتعاقدون عليه؛ لأنّه لا يمكن تحقّق انتعاش اقتصاديّ وتنمويّ إلّا بوجود دولة وطنيّة آمنة ومستقرّة، لتتحرّك الجوانب الخدميّة بسهولة فيها، وينشط الاستثمار والنّمو الاقتصاديّ تبعا لذلك، وهذا يؤثر إيجابا على استقرار العملة ودوران المال.

لهذا محاولة جرّ البلدان الأخرى الآمنة والمطمئنة والمستقرّة سياسيّا إلى حالة الصّراعات الدّاخليّة، واستدعاء الخلافات الطّائفيّة والقبليّة والمناطقيّة، في حالة من السّخرية والاستهزاء؛ هذا بعيد عن الإصلاح المتمثل في المشاركة لتحقيق رؤية إصلاحيّة واقعيّة أمام التّحدّيات الّتي يعانيها العالم، وأمام الواقع الّذي تعيشه المجتمعات الإنسانيّة اليوم، فالثّاني حالة صحيّة لا خلاف فيه، عندما نجد قراءات تصحيحيّة ونقديّة واضحة، وليس سخرية واستهزاء الّذي لا ثمرة واقعيّة له، ولا يخدم أيّ مسيرة تصحيحيّة أو إصلاحيّة، أيّا كانت صورتها وتمثلاتها.

وإذا كان هناك تحدّيات اقتصاديّة نتيجة التّضخم، وما يسود العالم من انعدام العدالة الإنسانيّة بين أجزائه، وما يسوده من حروب واضطرابات؛ علاجه لا يكون بحال من الأحوال في خلق فوضى داخليّة، فهذا ليس علاجا ولا إصلاحا، فلا يكون ذلك عن طريق "تغريدات" لا غاية إصلاحيّة منها إلّا خلق شيء من الإثارة والفوضى الدّاخليّة، كذلك ليس عن طريق القراءات المسطحة والهامشيّة، بل لابدّ من وجود تدافع حقيقيّ وعلى رأسه القراءات المنطقيّة والعقلانيّة والواقعيّة، والّتي تنطلق ابتداء من الحفاظ على استقرار الوطن؛ لأنّه إذا اختل أمن واستقرار الأوطان؛ لا يمكن بحال الحديث عن إصلاح أيّا كان نوعه وغايته؛ فعوامل الإصلاح عديدة، وعلى رأسها مؤسّسات العمل المدنيّ، ثمّ الشّراك المجتمعيّ المنطلق ليس من ردّات الفعل النّاتج

عنه انطباعات شخصيّة، وقراءات فئويّة هامشيّة، بل إلى تأسيس الفعل من خلال رؤية معرفيّة وبحثيّة شموليّة غايتها الإصلاح، يساهم فيها خبراء ومختصّون بشكل تطوّعيّ فرديّ، أو مؤسّسيّ ثقافيّ ومجتمعيّ، هذه القراءات تساهم بشكل أكبر في تقديم العلاج الواقعيّ أمام تحدّيات المنطقة والعالم.

إنّ تسطيح الواقع، وتصوير القضايا وكأنّها مكعبات تنقل من هنا إلى هناك، في الواقع يدرك الجميع أنّه معقّد جدّا، فالتّسطيح والتّبرير كلاهما بعيدان عن الإصلاح، فالأول محمول بشحنات سالبة ملغية للآخر وحسناته، ولا تنطلق من واقع حقيقيّ، والثّانيّ كالمسكنات الّتي ينتهي مفعولها يوما ما، لهذا كما أسلفت في مقالة سابقة لي في جريدة عُمان بعنوان "نحو إنشاء مؤسّسة بحثيّة في قراءة القضايا الحيّة"؛ لأنّ هذه المؤسّسات "ترفد المجتمع بعد حين بمتحدّثين وباحثين لهم كفاءتهم ورؤيتهم العميقة، خصوصا في وسائل الإعلام المحليّة والخارجيّة، لا يتوقفون عند الاجتهادات الشّخصيّة، ولا عند الانطباعات القاصرة، ولا عند المصالح الآنيّة، بل لهم عمقهم المعرفيّ، وإدراكهم العميق للواقع وتحدّياته، وقدرتهم على التّفكيك والنّقد والتّحليل"، كما أنّها "ترفد المجتمع بعد حين بقراءات عميقة، يكون لها القدرة في تفكيك البنية الفكريّة والاجتماعيّة" والاقتصاديّة.

وهذا لا يمنع من جود شراك أفقيّ في الحديث عن الإصلاح يستفاد منه إذا كان فعلا الغاية منه الإصلاح وليس ردّات فعل مشحونة بسبّ وشتم واستهزاء وتقزيم للواقع، ونكران لأيّ حسنة في المجتمع، كما يجب على الجميع الحفاظ على استقرار الأوطان، وما وصلت إليه من إصلاحات خدميّة واقتصاديّة، قائمة على إصلاحات تقنينيّة وتشريعيّة والبناء عليها، وإلّا محاولة الرّجوع إلى النّقطة الصّفر، وما دون الصّفر، فسوءات ثمرته - إن صح التّعبير - الكلّ سيجني مرارتها لعقود وعقود، إذا ارتفع التّعقل، وأبدل العقل الجمعيّ بشحنات سالبة وعاطفيّة غايتها الإثارة وليس الإصلاح.

## نظام حماية الأجوروحقوق العمّال[31]

اشتهر في الأثر قديما "أعطوا الأجير أجره قبل أن يجف عرقه"، ومصداق هذا في القرآن {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا} [النّساء: 58]، ومن المعلوم أنّ الإنسان اليوم وفق غالب فلسفة العمل (الوظائف) يعتمد على راتبه بشكل كبير، وعليه يعلّق وضعه الماليّ والأسريّ والاجتماعيّ، لسداد أقساط شهريّة عليه، أو وفاء التزامات مترتبة عليه أيضا، أو سداد للمتعلّقات الضّرورية كالكهرباء أو الماء، أو علاج ودراسة لذاته أو أسرته، أو تعلّق سفر يستمتع به.

جميع هذه الأحوال وغيرها لا يمكن أن تنتظم بدون وجود نظام واضح يحمي حقّ العامل، وخلل ذلك يؤدي إلى قلّة الإنتاجيّة، كما يؤدي إلى انتشار الأبعاد النّفسيّة السّلبيّة، وليس من السّهولة أن يصل الشّخص إلى درجة لا يستطيع توفير مستلزمات أبنائه البسيطة وهم يرون أبناء غيرهم يتمتعون ويلهون بكلّ سهولة، كما أنّه لا يستطيع في كل فترة أن يريق ماء وجهه حتّى من أقرب النّاس إليه لأجل حماية وضعه الاجتماعيّ، ممّا يغرس في ذاته الكراهيّة، وإن تحولت إلى بعد جمعيّ سوف تتطوّر إلى شيء من السّخط الّتي ينتج عنها المظاهرات العماليّة السّاخطة، ومن المعلوم أنّ المظاهرات العماليّة قد تكون الأكثر عنفا، لما يبطنونه من آثار سلبيّة مكبوتة بمثل هذه الحالات يجدون في المظاهرات أو الاعتصامات متنفسا لهم لإظهارها.

لهذا صدور نظام حماية الأجور وفق القرار الوزاري رقم 2024/729م، من قبل وزارة العمل بتأريخ 15 ديسمبر 2024م خطوة إيجابيّة في حماية حقوق العمّال، والّذي يهدف إلى "رصد عمليات صرف أجور العاملين في القطاع الخاصّ إلكترونيّا، لضمان التزام صاحب العمل بتحويل أجور العاملين لديه إلى حساباتهم لدى أحد المصارف أو المؤسّسات المالية الخاضعة لإشراف ورقابة البنك المركزيّ العمانيّ بالقدر المتفق عليه في عقد العمل، وخلال المدّة المقرّرة قانونيّا"، وقد نصّت المادّة الثّالثة أنّه "يلتزم صاحب العمل بتحويل أجور العاملين لديه عبر

[31] مجلّة الفلق.

نظام حماية الأجور إلى أحد المصارف أو المؤسّسات المالية الخاضعة لإشراف ورقابة البنك المركزيّ العمانيّ فيما لا يتجاوز ثلاثة أيام من نهاية المدّة المتفق عليها".

وينبغي أن تكون هناك دراسات متكاملة من قبل المختصين في تحقيق الحماية العماليّة على مستوى الأجور خصوصا، حتّى لا يحدث مستقبلا توسع في دائرة الاستثناءات الّتي تنصّ عليها المادّة السّادسة من نظام حماية الأجور، فيحدث شيء من التّحايل على النّظام، على أنّه ينبغي تفعيل قانون الحماية الاجتماعيّة بحيث تقوم على المنفعة وليس على التّبرع المحض فيما لا يتحقّق الظّلم مع صاحب العمل، كعدم وجود سيولة ماليّة حالية، بحيث لا يؤثر ارتفاعها على أجور العمال، ولا ينبغي كحالة أفقيّة الوصول إلى هذه المرحلة بحال من الأحوال.

فنحن اليوم أمام أربع أزمات نرجو تجاوزها، أو التّخفيف من أضرارها، ومعالجتها بشكل تكامليّ، وليس جزئيّا، أزمة الباحثين عن عمل، وأزمة المسرحين عن العمل، وأزمة الأجور المنخفضة فيما لا تتناسب وتكاليف الضّرورات الحياتيّة، وأزمة تأخير الأجور، هذه الجوانب الأربعة ينبغي تجفيفها أو معالجتها بشكل يجمع بين مركزيّة العلاج، والاستفادة من المداخيل حتّى على مستوى الصّدقات والزّكوات، وتشجيع وجود أوقاف دائمة للحماية الاجتماعيّة، بدل وجود جمعيّات تطوعيّة – وهي جيّدة على الحدّ الأدنى -، لكن على مستوى الدّولة الوطنيّة وفق التّقنيات الرّقميّة المتقدّمة، ينبغي أن توجه اتّجاه المركزيّة، خصوصا وعُمان سكانها ليس بتلك الوفرة ليحدث فيها شيء من التّعقيد، وفي الوقت ذاته ينبغي تفعيلها إيجابا بحيث لا تكون مجرد مخرجات، وإنّما بذاتها تتحول إلى استثمار مباشر أو غير مباشر، كتحويلها إلى قروض نفعيّة لا يتحقّق فيها الظّلم، وإنّما تتجه نحو الحماية الاجتماعيّة من جهة، والاستثمار الإيجابيّ من جهة ثانية، كما يمكن تفعيلها وقفيّا بحيث تكون طويلة أمد المردود الماديّ، وتساهم في تدوير المال بشكل ربّما يساهم في تخفيض دائرة التّضخم، أو يخفّف من آثاره على المستوى الأفقيّ العام.

لهذا وجود مؤسّسات بحثية جمعيّة في الجوانب الاقتصاديّة عموما ضرورة ملحة في نظري، تخرج بدراسات بحثيّة وفق الواقع، لا وفق دراسات فرديّة ولو كان لها عمقها، أو وفق انطباعات جزئيّة غير متكاملة، تحدث ضررا أكبر على المستوى البعيد، وأهمية هذا يعود إلى

أمرين: الأول تزايد المخرجات الوطنية الباحثة عن عمل، والأمر الثّاني: ضرورة تشجيع الهجرات العماليّة الأجنبيّة ذات الكفاءة إلى البلد لتحريك السّوق، وتشجيع الاستثمار، وهذا يحتاج إلى شيء من التّوازن والجرأة، كما يحتاج أيضا إلى توفير بيئة آمنة للجانبين معا، ومتسارعة في علاجها وفق رؤية بحثية عميقة لا وفق انطباعات عاجلة، لما للسّوق اليوم من حركة سريعة ومتأثرة بما يجري في العالم سياسيّا واقتصاديّا.

لقد استطاعت عمان - والحمد لله - في السّنوات الخمس الماضية إحداث العديد من الجوانب العلاجيّة المبنية على أساس اقتصاديّ دائم، وليس مجرد تسكينات خوفا من ضغط الواقع، وصدور نظام حماية الأجور حالة جيّدة ومتقدّمة، عسى أن تتوقف حالات تأخير الأجور لشهر أو شهرين أو أكثر، والعامل لا يستطيع الحديث خوفا أن يصبح في دائرة المسرحين أو الباحثين عن عمل، وفي الوقت ذاته يعاني مرارة الواقع وآثاره، ممّا يسقط أثره على أسرته وأبنائه سلبا، وعلى المستوى الجمعيّ كما أسلفت يؤدي ذلك على المدى البعيد إلى اضطرابات أمنيّة وولائيّة خارجيّة مضرّة باستقرار الدّولة الوطنيّة إذا تحولت إلى تشكل جمعيّ وليس ردّات فعل فرديّة فحسب، عليه ينبغي وجود علاج عاجل ومتكامل مبنيّ على عمق بحثيّ يدرس جميع الزّوايا بما يخدم الوطن وأبنائه جميعا بلا تفريق بينهم.

## ولا تكونوا كالّتي نقضت غزلها من بعد قوّة أنكاثا[32]

يمرّ العالم اليوم بتحدّيات واضطرابات كبرى، أثرت على جميع الجوانب سياسيّا واقتصاديّا، وأخذ عالمنا العربيّ حيّزا من هذا الصّراع والاضطراب، والّذي يهمني هنا أمر عُمان في هذه المرحلة من التّغيرات العالميّة، ليس بمعنى الأنا الملغي للآخر، وليس بمعنى وهم المؤامرة في جوّه المطلق غير النّاظر في الخلل من الدّاخل، ولكن هناك من يريد أن يمتدّ هذا الصّراع والاضطراب إلى مساحات جغرافيّة أكبر، وعُمان ليست بمعزل عنه.

في الوقت ذاته، عُمان ليست وليدة اللّحظة القريبة، فلها تأريخها الموغل في القدم، ولها ثقافتها السّياسيّة المتجذّرة في التّأريخ، كما لها جغرافيّتها الاستراتيجيّة ضمن عالمها العربيّ، والّذي يمثل قلب العالم جغرافيّا، بيد أنّ قوّة الدّول ليس في تأريخها ولا جغرافيّتها من حيث الابتداء، وإنّما قوّتها في داخلها وحاضرها إذا أدرك الجميع أهميّة هذا الأمر، فهي كالسّفينة الواحدة، إن خرق جزء منها تأثرت جميع الأجزاء.

ولا يمكن بحال نشر فوضى أو اضطراب في دولة ما إذا ما كانت قويّة في داخلها، ليس أمنيّا وعسكريّا فحسب، بل في جميع أجزائها ومكوّناتها، إذا ما شعر الجميع أنّهم عائلة واحدة يجمعهم بيت واحد، أو بالمعنى الدّقيق مواطنون في ذات واحدة متساوية، وجميع الدّول الّتي سهل إحداث فوضى فيها سببه استغلال الفوارق في داخلها، واستثمار الخلافات من داخل قطرها، كانت طائفيّة أم مناطقيّة أم قبليّة أم سياسيّة، لتتمدّد وتتحوّل إلى كتل متصارعة، لتدخل البلاد في دوّامة الحروب والصّراع والفقر والتّخلّف.

وعُمان مرّت بحالات مماثلة في تأريخها، ففي العقود الأخيرة من النّصف الثّاني من القرن الثّامن عشر بدأ الصّراع السّياسيّ يتمدّد في داخلها، ومن ثمّ الانقسام بين السّلطة المركزيّة والدّاخل، خصوصا بعد عام 1913م، لتدخل عمان في صراعات أهليّة بين السّلطة المركزيّة والحركات اليمينيّة، يتبعها لاحقا طرف ثالث من الاتّجاهات اليساريّة، فنقضت غزلها بعدما

[32] جريدة عُمان.

كانت قوّة مهابة ولها مكانتها، لتدخل حالة الفقر والمرض والجهل، فلم تعد لعمان قيمتها، وتعيش معزولة خارج التّأريخ، وأبناؤها مشرّدون شرقا وغربا.

وشاء القدر أن تنهض عُمان والحمد لله من جديد، ويتحدّ الجميع لبناء نهضة عصريّة جديدة، في فترة سياسيّة عالميّة مضطربة نتيجة الحرب الباردة، وصراع قطبي الشّرق والغرب، وحدوث تحوّلات في المنطقة، بيد أنّها عالجت جراحاتها، وبنت نفسها خدميّا وإنسانيّا، بالقدر الّذي استطاعت الوصول إليه، وأصبحت لها مكانتها خليجيّا وعربيّا وعالميّا، وأصبح للعمانيّ مكانته وهو يسافر شرقا وغربا، وظهر العمانيّ المبدع في كافّة المجالات.

وكما أسلفت في مقالة سابقة لي "أنّ عُمان في نهايات العقد الثّاني من القرن الحادي والعشرين (2014 – 2020م) بدأ فيها شيء من التّراجع، نتيجة ما أصاب العالم من كساد وتضخم، وهي نتيجة للأوضاع السّياسيّة السّلبيّة في العالم ... تزامن مع انتشار جائحة كورونا ... واستمرت الجائحة لأكثر من عامين، كانت لها تداعياتها الاقتصاديّة في الخارج والدّاخل، ممّا أوقف الحياة العمليّة والاعتياديّة، فارتفع عدد الباحثين عن عمل لسبب كثرة المسرحين، كما تأثرت الشّركات الصّغيرة والمتوسطة خصوصا، نتيجة توقف حركة البيع والشّراء، كما توقفت رحلات الطّيران، وتوقفت حركة السّياحة الدّاعمة للاقتصاد المحليّ، ومع هذا استطاعت السّلطنة أن تحافظ على استقرارها، وحافظت على سير الرّواتب خصوصا في الجهات الحكوميّة والعسكريّة دون نقيصة، وفي موعدها، وأوجدت التّعليم والعمل عن بُعد، فلم تتوقف حركة الحياة مع شيء من المرونة، كما قامت بمحاولة تسهيل قوانين المسرحين، وفي الوقت ذاته التّعجيل في وضع قانون الحماية الاجتماعيّة، والّذي سيتوسع لاحقا إلى الباحثين عن عمل، وحماية الأسرة والطّفولة وأبناء الضّمان الاجتماعيّ".

لاشكّ هناك تحدّيّات كبرى ليست على مستوى عُمان، بل على مستوى العالم أجمع، بما في ذلك العديد من المجتمعات الغربيّة والشّرقيّة، وعلى رأسها تحدّيّات الباحثين عن عمل، والمسرحين من العمل، والأجور المنخفضة فيما لا تتناسب وتكاليف الضّرورات الحياتيّة نتيجة التّضخم في الاقتصاد العالميّ، وفي الوقت نفسه خلال الخمس السّنوات الماضية كانت هناك

مراجعات جدّيّة في العديد من الملفات الاقتصاديّة والمعيشيّة في عُمان، وهذا مدرك تماما، وإن كان بحاجة إلى التّعجيل المحكم في بعض جوانبه، خصوصا فيما يتعلّق بالتّأمين وتحقيق درجة الاكتفاء لتشجيع دوران المال في المجتمع، بما فيها ذلك حاليا استثمار أموال الزّكاة والصّدقات مثلا، وسبق أن كتبتُ في ذلك بحثا على نهايات أزمة كورونا بعنوان "تنمية إيرادات أموال الزّكاة والصّدقات"، وتوظيفها في تحقيق الاكتفاء عند الباحثين والمسرحين عن طريق مركزيّة الدّولة نفسها، وليس عن طريق اللّجان المتناثرة.

إنّنا اليوم ينبغي أن نكون أكثر وعيا وتعقّلا أمام اضطرابات ليست بعيدة عنّا، ولا يمكن لأيّ دولة أن تعالج تحدّياتها الدّاخليّة في الجوانب الاقتصاديّة خصوصا إذا اختلّت فيها الجوانب الأمنيّة والسّياسيّة، والّتي ستقودها إلى دوامة الصّراع، ولا قدّر الله قد تقودها إلى الاحتراب والتّدخلات الخارجيّة، وحينها يصعب الرّجوع إلى النّقطة الأولى، بل ستتمدّد بشكل أكبر، وتكون جزءا من الصّراع ذاته، فلا ينبغي السّذاجة في معالجة هذه القضايا، وإنّما تعالج في مختبراتها الاقتصاديّة والوطنيّة الخالصة، والّتي غايتها المواطن ذاته، مدركة لما يدور حولها من تحدّيّات مختلفة ومتباينة.

وكما أسلفت لابدّ من الإسراع المحكم في علاج العديد من الملفات الدّاخليّة، فلست مع الإسراع غير المدروس لأجل التّسكين، ولست مع البطيء الّذي ينتج عنه تمدّد منطقة المرض، وهذا لا يحدث عن طريق الهرج والمسميات الوهميّة في وسائل التّواصل الاجتماعيّ، وإنّما عن طريق المختبرات والمراكز الاستراتيجيّة الوطنيّة، إذ يتقدّمها المخلصون، والّذين غايتهم الوطن واستقراره، والحفاظ على أمنه، وغايتهم معالجة قضاياه بعقلانيّة وواقعيّة وحكمة؛ لأنّ الجميع مدرك أنّ قوّة الوطن في الخارج هو قوّته ذاتيّا في داخله، وهذا يحتاج إلى شيء من القرب والشّفافيّة والحوار مع المكوّنات الوطنيّة، خصوصا من الشّباب والجيل الجديد، ونحن والحمد لله نعيش اليوم حالة متقدّمة جدّا من الاستقرار الأمنيّ، والاطمئنان المجتمعيّ، والتّقدّم الخدميّ والمعرفيّ، وحفاظنا على هذا القدر مع الرّغبة في استثماره إيجابا في ظلّ من الوحدة الوطنيّة؛ يجعل الطّريق مختصرا لعلاج التّحديّات الحالية وغيرها ممّا يجدُّ في المستقبل، وهذا

لا يأتي إلّا عن طريق التّعقل والعمل، وليس عن طريق الشّعارات غير المنضبطة، وإلّا سنكون كالّتي نقضت غزلها من بعد قوّة أنكاثا.

## ولاية شليم وجزر الحلّانيّات والسّياحة المفقودة[33]

هناك جزر لا يُسمع لها حسّ قبل حين أصبحت قبلة السّائحين في العالم، الآلاف سنويّا يسيحون إليها لأجل الاسترخاء أو الصّيد أو الاستمتاع بجمالها، ممّا تخلق فرص دخل، وتحرّك الاقتصاد الوطنيّ، خصوصا في مجال السّياحة، فعندنا مثلا جزيرة بالي في أندونيسيا، وجزيرة ماليه في المالديف، وجزيرة بالاوان في جنوب الفلبين، وغيرها من الجزر، وبعضها ليس لها حضور تأريخيّ، ولكن لطبيعتها، ووجود بنيّة سياحيّة تحتيّة مؤهلة، مع التّشجيع الإعلاميّ؛ أصبحت من الجزر الشّهيرة سياحيّا في العالم.

ولمّا نتأمل الجزر الخمس في ولاية شليم، والّتي أكبرها جزر الحلّانيّات، نجد فيها الطّيور المهاجرة، والّتي سميّت إحدى الجزر بجزيرة الطّيور؛ لكثرة الطّيور فيها، وقد يكون منها النّادرة، كما تكثر فيها السّلاحف النّادرة، ومختلف أنواع الأسماك، ويوجد بها أنواع أخرى من الحيوانات، بيد الّذي يميزها شواطئها الكبيرة، وطقسها المعتدل طول العام، وجمال الطّبيعة فيها، ممّا يجعلها قبلة سياحيّة لو أحسن توظيفها وتسويقها محليّا وعالميّا.

كما يوجد بها شجرة اللّبان، وأنواع أخرى من النّباتات، فضلا عن موروثات الآباء في الأطعمة والملبوسات والفنون ومختلف العادات والتّقاليد، ممّا يجعلها مؤهلة لإنشاء متحف مبسط عنها يحكي حكاية ماضيها، ونهضة حاضرها، وهذا يسهم بشكل كبير في الرّقي السّياحيّ.

إنّ سياحة الجزر – كما أسلفت – أصبحت من الأماكن المهمّة الّتي يقصدها السّائحون في العالم، وهذه الميزة ممكن أن تتحقّق في جزر الحلّانيّات خصوصا، وممكن أن تكون قبلة للعديد من السّائحين إذا ما أحسن توظيفها، فكما تتمتع بجمال الطّبيعة، هي أيضا ذات طقس معتدل غالب العام، قد لا يتوفر في أماكن ساحليّة أخرى بسبب الرّطوبة، أو أحوال الطّقس غير المستقرة.

[33] جريدة عُمان.

الّذي لا يشجع السّياحة في هذه الولاية عموما، وجزر الحلّانيّات خصوصا؛ عدم وجود بنية سياحيّة حاضنة لها، فهناك ابتداء عائق المسافة، فالسّائحون في الغالب لا يصلون إليها إلّا برّا عن طريق الوسطى، أو جوّا عن طريق مطار صلالة، والمسافة من صلالة إلى هذه الجزر لا تقلّ عن ثلاث ساعات، لذا ممكن تفعيل المطارات المتعلّقة غالبا بشركات النّفط وتحويل منفذ لتفعيل الجانب السّياحيّ في الولاية، حيث أنّ مرمول مثلا لا تبعد كثيرا عنها.

كذلك هي بحاجة إلى معالجة البنية التّحتيّة من حيث الفنادق والمطاعم ومكاتب السّياحة، ومكاتب تأجير السّيارات، فهذا تفتقده الولاية بشكل واضح، فهناك فنادق قليلة أقرب إلى الشّقق الفندقيّة، كما أنّ المطاعم ليست بذات الجودة، ولا يوجد فيها سيارات أجرة في الغالب، ولا مكاتب تأجير سيارات، ولا حافلات سياحيّة، ولم أرَ مكاتب سياحيّة تعنى بالولاية وجزرها، ممّا يجعلها غير مؤهلة بشكل كبير للسّياحة الدّاخليّة فضلا عن الجذب الخارجيّ، عدا وقت الخريف ممّن يأتي خصوصا إلى الشّويميّة عن طريق صلالة، لما تتميز به من كهوف وعيون مائيّة.

ما أسلفتُ ذكره هي قراءة من الخارج، وليس من خبير مختص بالجوانب السّياحيّة والاقتصاديّة ومواقع الجذب حسب الواقع، لكنني في الوقت نفسه أرى أننا نخسر بهذا موقعا سياحيّا مهمّا يمكن أن يخلق فرص عمل، كما ينشط من عمل الشّركات الصّغيرة والمتوسطة، وهذا يحتاج إلى رؤية واضحة ومنفتحة للعمل السّياحيّ، بما في ذلك المهرجانات والمناشط المصاحبة.

إنّ عمان تتميز بتعدّدية في الطّبيعة، من السّهل والجبل والصّحراء والواحات، كما تتميز بتعدّديّة لغويّة وتأريخيّة وتراثيّة، وفي العادات والتّقاليد والفنون المرتبطة بالأفراح والأعراس والأتراح ، والمواسم الدّينيّة وسفر البحر والحجّ، ومواسم الأعياد وغناء الأطفال والرّكبان، كما تتعدّد فيها ثقافة الملبوسات والمطعومات، والتّأريخ الّذي مرت به عمان، وحضورها لآلاف سنين مضت، أوجد تعدّدية ثقافيّة في العمارة والمخطوطات والآثار البنائيّة، كالحصون والقلاع

والأفلاج والقبور والأسوار والأدوات المعدنيّة والنّحاسيّة والفخاريّة والصّناعات التّقليديّة والخطوط والنّقوش وغيرها، فضلا عن أدوات الرّعي والبحر والتّنقل.

وولاية شليم وجزر الحلّانيّات جزء من هذه التّعدّديّة، خصوصا في جانب البحر والصّيد والطّبيعة – كما أسلفت -، قد لا يتوفر هذا مع صفاء الجو في أماكن أخرى، على أنّ تمركز السّياحة في العاصمة أو مدن معينة حالة غير صحيّة، والتّمركز هنا قد لا يعني بالمعنى المهرجانيّ أو الإعلاميّ فقط، وإنّما أيضا بتوفر بنية حاضنة للجذب السّياحيّ، وتوفر المرافق التّحتيّة المشجعة للعمل السّياحيّ.

على أنّ الولاية في داخلها مؤهلة طرقيّا وصحيّا، عدا ما ذكرته آنفا، وهذا ممكن التّفكير فيه من جهات الاختصاص، لما للطّبيعة من أهميّة سياحيّة لا تقلّ أهميّة عن الجوانب التّراثيّة والفنيّة، خصوصا في جوانب الاسترخاء والنّقاهة والصّيد والاستمتاع بالطّبيعة، وهذا يشجع أيضا الأنواع الأخرى من السّياحة كالسّياحة الكتابيّة والثّقافيّة، فيقصدها كتّاب ومثقفون من أجزاء من العالم لإنجاز أعمالهم الكتابيّة والرّوائيّة والأدبيّة بشكل عام، كما يشجّع على السّياحة السّينمائيّة وإنتاج الأفلام الوثائقيّة المتعلّقة بالبحر والسّهل والصّحراء، كما يشجع على إقامة المناشط الرّياضيّة المحليّة والدّوليّة بشكل أكبر، بسبب الطّبيعة واعتدال الجو، كما يشجّع بشكل طبيعيّ على السّياحة الفنيّة، وإقامة مهرجانات خصوصا المتزامنة مع بعض الفصول، لهذا قد يكون الاهتمام بهذه الجزر سياحيّا له أثره في الاقتصاد الوطنيّ مستقبلا، إن كان فيما ذكرت شيء من الواقعيّة وملائمته للحال، وإلّا تبقى وجهة نظر من متأمل لا أكثر.

## ثانيا: البحوث وأوراق العمل

## تحديد سنّ زواج المرأة في سلطنة عُمان[34]

**التّعريف بعمان:**

سلطنة عُمان دولة لها تأريخها العريق، وامتدادها قديما إلى شرق أفريقيا جنوبا، وإلى بعض الأجزاء الجنوبيّة في إيران شمالا، كما وصل البحارة والتّجّار العمانيون قديما إلى الصّين وشرق آسيا وبلاد السّند منذ فترة مبكرة، وكانت لهم علاقة تجاريّة مع حضارات بلاد السّند وما وراء النّهر والحضارة المصريّة القديمة، ولهذا اختلط العمانيون منذ فترة مبكرة بأجناس مختلفة، تعايشوا وتزاوجوا معها، ممّا شكّل لوحة ثقافيّة متباينة ومتعدّدة في عُمان، فهناك لغات مختلفة، من الكمزاريّة والشّحريّة والمهريّة والبطحريّة والحرسوسيّة والبلوشيّة والأورديّة والفارسيّة والهنديّة السّنديّة وغيرها، بجانب اللّغة العربيّة الأم، وهي اللّغة الجامعة بين الكل، وهناك أيضا لهجات متباينة ومتعدّدة في عمان داخل اللّغة العربيّة نفسها، لها جماليّتها الصّوتيّة، ولها خصوصيّاتها المعجميّة، كما شكّلت لوحة من التّعدّديّة الثّقافيّة في العادات والتّقاليد، بما فيها الفنون المختلفة، المرتبطة بالأفراح والأعراس والمواسم الدّينيّة وسفر البحر والحجّ ومواسم الأعياد وغناء الأطفال والرّكبان، فضلا عن التّعدّدية في الملبوسات والمطعومات وبعض طرق الحياة وتقاليدها.

كما "وجدت في عمان تيارات فقهيّة كالإباضيّة ثمّ المذاهب السّنيّة، وغالب السّنّة شوافع فقها، ثم بنسبة أقل الأحناف، يليهم بدرجات قليلة من الحنابلة، والأغلبيّة من السّنّة قديما غلب عليهم التّصوف، فكانت الزّوايا الصّوفيّة منتشرة عند الشّوافع خصوصا، إلا أنّها قلّت حاليا، ومال بعضّ السّنّة إلى السّلفيّة، كذلك يوجد الشّيعة الإماميّة وهم منتشرون كأقليّة على السّاحل كمطرح وبعض سواحل الباطنة، وهناك بسبب التّجارة كان البانيان (الهندوس)

[34] ورقة سريعة مقدّمة للمؤتمر الدّوليّ حول تشريعات سنّ الزّواج في الدّول الإسلاميّة، أفضل الممارسات والتّوجه المستقبليّ لباكستان، 22-23 أبريل 2025م، تنظيم: منظمة بودا، إسلام أباد – باكستان.

والزّرادشتيّة (المجوس) بنسب قليلة، كما وجد أيضا اليهود إلى فترات متأخرة جدا"[35]، وبسبب التّجارة حاليا وجد البوذيون والمسيحيون والسيخ وأفراد من البهائيّة والأحمديّة.

وعُمان ذات ساحل بحريّ، وامتداد جبليّ ضمن سلسلة جبال حجر عمان، بجانب صحراء الرّبع الخاليّ، وتمتد سواحلها على مسافة 3165 كلم، من مضيق هرمز شمالا، وحتّى حدود اليمن جنوبا، ومع هذا عمان قليلة عدد السّكان، ووصلوا حاليا مع المقيمين فيها من غيرها إلى حوالي خمسة ملايين نسمة، يشكل العمانيون حوالي ثلاثة ملايين نسمة، ونسبة الذّكور أعلى من نسبة الإناث، وعمان شعبها فتي، أغلب سكّانها أقل من أربعين سنة، وعاصمتها مسقط، وحكمها سلطانيّ وراثيّ، وبدأت نهضتها الإصلاحيّة الجديدة عام 1970م.

**وضع المرأة في عُمان:**

منذ عام 1970م حاولت الدّولة معالجة وضع المرأة في عمان، ابتداء من إشراكها في المجتمع، وحقّها في العمل، واستقلالها في قراراتها، واستقلالها المادي، ونصّ القانون الأساسيّ على المساواة بين المرأة والرّجل، في كلّ جوانب الحياة، بما في ذلك التّعليم والصّحة والعمل، وحقّها في مجلس الشّورى (البرلمان)، وقد استطاعت المرأة أن تتولى العديد من الحقائب الوزارية، فضلا عن إدارة الشّؤون الإداريّة والثّقافيّة وغيرها، كما أصبحت المرأة قادرة على أن تمثل بلدها كسفيرة، واليوم وبعد خمسين عاما تطبّع المجتمع بهذه المساواة، وإن كانت هناك لا زالت توجد بعض التّحدّيات بسبب بعض العادات الاجتماعيّة، والرّؤى الفقهيّة الظّرفيّة، لكنّها أقل من السّابق بكثير جدّا، كما أنّ عمان وقعت على اتّفاقيّة سيداو القائمة على القضاء على جميع أشكال التّمييز ضدّ المرأة، والّتي أقرت في الأمم المتحدة في ديسمبر 1979م، وإن كان هناك تحفظ على بعض بنودها، لكنّها في الجملة مقرّة بما فيها من عناصر المساوة، وإقرار حقوق المرأة.

---

[35] العبريّ: بدر، **إضاءة قلم: التّعايش تأملات ومذكرات**؛ ط الجمعيّة العمانيّة للكتّاب والأدباء – سلطنة عمان، ودار مسعى – كندا، الطّبعة الأولى، 2019م، ص: 15. بتصرّف بسيط.

**معالجة قضايا زواج المرأة في عُمان:**

تنصّ المادّة (5) من قانون الأحوال الشّخصيّة في عُمان أنّ "الزّواج عقد شرعيّ بين رجل وامرأة، غايته الإحصان وإنشاء أسرة مستقرة برعاية الزّوج، على أسس تكفل لهما تحمل أعبائها بمودة ورحمة"[36]، وفي المادّة (15) أنّ الزّوجين "هما أيّ رجل وامرأة يصح أن يتزوّج كلّ منهما الآخر إذا انتفت الموانع الشرعيّة"[37]، وفي المادّة (17) تنصّ أنّه مع "مراعاة أحكام المادّة (١٩) من هذا القانون ينعقد الزّواج بإيجاب من أحد المتعاقدين، وقبول من الآخر، صادرين عن رضا تام بألفاظ تفيد معناه لغة أو عرفا، وفي حال العجز عن النّطق، تقوم الكتابة مقامه، فإن تعذّرت فبالإشارة المفهومة"[38]، والمادّة (19) تنصّ أنّه "يتولى ولي الأمر عقد زواجها برضاها"[39].

والحقيقة أنّ الوضع الفقهيّ من حيث أصالة النّصوص القرآنيّة، ووفق استقلاليّة المرأة، واعتبارها إنسانا كاملا مستقلّا؛ نجد في الأدبيات الفقهيّة ما يحفظ حقّ المرأة في الزّواج والحضانة والأمومة وغيرها، ومنها تقرير الفقهاء أنّه "حرام تزويج النّساء كرها"[40]، مع حرمة عضل المرأة، وتحريم العديد من أنكحة الجاهلية المضرّة بالمرأة.

لكن لا يعني هذا مع تقادم الزّمن عدم وجود اجتهادات فقهيّة قيّدت حقوق المرأة، كما وجدت من العادات الّتي أثرت سلبا على حقوق المرأة أيضا، ومنها في الزّواج، لهذا جاءت التّشريعات القانونيّة المعاصرة في عُمان في معالجة هذه القضايا الفقهيّة، وفي تقرير حقوق المرأة بسلطة القانون، لتتهذّب هذه العادات والقوانين، كما يتمّ مراجعة الجوانب الفقهيّة بما يتناسب مع الواقع المعاصر، ولهذا قنّنت موضوع الوليّ في الزّواج مثلا، وأنّه لا يتعدّى الجانب

---

[36] **مجموعة التّشريعات القضائيّة واللّوائح المنظمة لها**، المجلّد الثّانيّ، الجزء الثّاني، ط مجلس الشّؤون الإداريّة للقضاء، المحكمة العليا، المكتب الفنيّ، 1437هـ/ 2016م، ص: 210.

[37] **نفسه**؛ ص: 213.

[38] **نفسه**؛ ص: 214.

[39] **نفسه**؛ ص: 214.

[40] الشّقصيّ: خميس بن سعيد، **منهج الطّالبين وبلاغ الرّاغبين**؛ ط مكتبة مسقط، عمان – مسقط، الطّبعة الأولى، 1427هـ/ 2006م، ج: 7، ص: 432.

التّنظيميّ، وليس جانبا سلطويّا مطلقا، وفتحت للمرأة التّقاضي للمطالبة بحقوقها القانونيّة من خلال لجنة التّوفيق والمصالحة، واللّجنة نافذة قانونيّا كحكم القاضي، ولها قانونها المستقلّ الّذي صدر عام 2005م، ومن جوانب غاياته تنفيذ حقوق المرأة فيما يتعلّق بأحوالها الشّخصيّة والتّجاريّة والوظيفيّة.

**مراجعة قانون سنّ الزّواج في عمان:**

من المسائل الّتي تمّت مراجعتها والمتّعلّقة بالزّواج مراجعة سنّ الزّواج ذاته، وهي رؤية نادى بها حتّى الفقهاء والمفكرين المسلمين العرب منذ فترة مبكرة، ومن هؤلاء مثلا المفكّر والأديب المغربيّ علال الفاسيّ (ت: 1974م)، كما في كتابه "النّقد الذّاتيّ"، والّذي انطلق من "أنّ تحسين حالة المرأة وإسعادها يجب أن ينال حظّا مهمّا من تفكيرنا الاجتماعيّ؛ لأنّه شرط أساسي لإصلاح المجتمع"[41]، ويرى "أنّه من أشنع مظاهر الإجبار الّتي ما نزال نحتفظ بها في بعض بلداننا المتحضّرة ... تزويج الصّغيرات، أو الوعد بتزويجهنّ، ثمّ إنجازه بعد أزمان، فلا تصل البنت لدرجة البلوغ حتّى تجد أولياءها قد سلّموها لخطيب أكبر منها بكثير في الغالب، ونحن نعتقد أنّه إذا كان للاعتبارات الّتي بنيت عليها هذه العادة محلّ في الأجيال الماضية، فإنّ من الواجب على الجيل الجديد أن يتحرّر منها، وأن لا يشجّعها؛ لأنّ هنالك فرقا عظيما بين البنت في سنيها الأولى من الحياة، وبينها حين تصبح امرأة قادرة على الاختيار"[42]، وخلص إلى أهميّة وجود قانون يحمي المرأة ولا يترك ذلك عائما بدون تقنين، لأنّه في نظره "إذا كنّا نستنكر تزويج الصّغيرات وإجبارهنّ فهل من المصلحة أن نكتفي في هذا الباب بمجرد الوعظ والتّنبيه معتمدين على ضمائر النّاس وامتثالهم، أو الأوفق أن نؤيد ذلك بتحديد قانونيّ يندرج تحت أصل شرعيّ هو مصلحة المرأة العامّة ومصلحة الأسرة من حيث هي، إنّ أغلب الأمم المتمدنة تأخذ اليوم بالنّظرية الثّانية؛ لأنّ للقانون سلطانا ليس لغيره من وسائل الإقناع"[43].

---

[41] الفاسي: علال، **النّقد الذّاتيّ**؛ المطبعة العالميّة، القاهرة – مصر، الطّبعة الأولى، 1951م، ص: 265.

[42] **نفسه**؛ ص: 265.

[43] **نفسه**؛ ص: 266 – 267.

وهذا ما عملت به عُمان، ومع أنّ الرّؤية الفقهيّة في عُمان أقرّت في التّراث العمانيّ مثلا "أنّ تزويج الصّبيان كلّه موقوف إلى بلوغ الصّبيّ من الزّوجين، كانا جميعا صبيين، أو أحدهما زوّج الصّبيّ أبوه، أو سائر أوليائه، فإن بلغ الصّبيّ من الزّوجين فأتمّ التّزويج تم، وإن كرهه انفسخ"[44]، ويوجد في التّراث الفقهيّ العمانيّ أيضا أنّه "يوجد في بعض القول: إنّ تزويج الصّبيان لا يثبت ولو أتمّوه بعد البلوغ، كان التّزويج من صبي بصبيّة، أو من بالغ بصبيّة، أو صبيّة ببالغ، أو بالغة بصبيّ، فذلك باطل، ولا يقع بتلك العقدة قبل البلوغ أحكام التّزويج، حتّى يكون التّزويج بعد بلوغهما"[45]، بيد أنّهم اختلفوا في البلوغ أهو بظهور علاماته، أو باشتهاء النّكاح، تقدّم السّنّ أم تأخر، أم بالسّنّ، ومال بعضهم إلى سنّ التّاسعة للمرأة.

وقد تركت عُمان في الابتداء وفق نهضتها الإصلاحيّة المعاصرة تقديرَ المصلحة في قضيّة التّزويج إلى ولي الأمر أو القاضي حتّى يتّم استيعاب تقبل جميع حقوق المرأة واستقلاليّتها -كما أسلفتُ-، ثمّ في بداية التّسعينات من القرن العشرين الميلاديّ وضعت لجنة من قبل الحكومة "ضمّت عدّة جهات رسميّة في الدّولة، متمثلة في وزارة العدل والأوقاف والشّؤون الإسلاميّة[46]، ووزارة الدّاخليّة، ووزارة الشّؤون الاجتماعيّة، ووزارة العمل، ووزارة الشّؤون القانونيّة"[47]، غايتها النّظر في موضوع الزّواج، ومنه سنّ الزّواج، خصوصا وأنّ عمان انضمّت لاحقا إلى اتّفاقيّة حقوق الطّفل في يونيو 1996م بموجب المرسوم السّلطانيّ رقم (96/45م)[48]، لهذا رأت أنّ الوقت حان لإصدار قانون يعنى بالأحوال الشّخصيّة، "وقد استغرق إعداد هذا القانون ثلاث سنوات متواصلة"[49]، "وانطلق في صياغة مواده من وثيقة مسقط للنّظام القانونيّ

---

[44] الشّقصيّ: خميس بن سعيد، **منهج الطّالبين وبلاغ الرّاغبين**؛ سابق، ج: 7، ص: 659.

[45] **نفسه**؛ ج: 7، ص: 659.

[46] في 1997م انفصلت وزارة العدل عن وزارة الأوقاف، وسميت الثّانية بوزارة الأوقاف والشّؤون الدّينيّة.

[47] العزريّة: مريم بنت سعيد بن حمد، **التّفريق القضائيّ بين الزّوجين للضّرر: دراسة فقهيّة مقارنة بقانون الأحوال الشّخصيّة العمانيّ**؛ ط مكتبة الدّراسات العربيّة، سلطنة عمان، ط 2022م، ص: 58.

[48] الفزاريّ: محمّد بن عبد الله بن إسماعيل، **ضمانات حماية حقوق الطّفل في ضوء قواعد القانون الدّوليّ والتّشريع الوطنيّ**؛ ط اللّجنة العمانيّة لحقوق الإنسان، 2013م، ص: 102.

[49] العزريّة: مريم بنت سعيد بن حمد، **التّفريق القضائيّ بين الزّوجين للضّرر**؛ سابق، ص: 58.

الاسترشاديّ الموحد للأحوال الشّخصيّة بدول مجلس التّعاون لدول الخليج العربيّة"[50]، ليصدر وفق "المرسوم السّلطانيّ رقم (97/32م) في 28 محرّم سنة 1418هـ، الموافق 4 من يونيو 1997م، والّذي يشتمل على (282) مادّة تعالج الأحكام المتعلّقة بالأسرة، وهي الّتي تبدأ برابطة الزّواج وما يسبقها من مقدّمات كالخطبة، وما يترتب عليها من أحكام كحقوق الزّوجين والأبناء ونحوها، وتنتهي بالفرقة وما يترتب عليها من آثار، وأحكام كالعدّة والحضانة والأهليّة والولاية والوصيّة والميراث"[51].

ومن هذه المسائل الّتي عالجها قانون الأحوال الشّخصيّة في عُمان قضيّة سنّ الزّواج، وقرّر في المادّة (7) أنّه "تكمن أهلية الزّواج بالعقل، وإتمام الثّامنة عشرة من العمر"[52]، وبيّن في المادّة (10) أنّه "لا يزوج من لم يكمل الثّامنة عشره من عمره إلّا بإذن القاضي، وبعد التّحقّق من المصلحة"[53]، ومن بلغت الثّامنة عشرة وأرادت الزّواج، لا يحقّ للوليّ عضلها، وفق المادّة نفسها "إذا طلب من أكمل الثّامنة عشرة من عمره الزّواج وامتنع وليه عن تزويجه؛ جاز له رفع الأمر إلى القاضي"[54]، ووفق قانون الأحوال المدنيّة في المادّة (41) "كلّ شخص يبلغ سنّ الرّشد متمتعا بقواه العقليّة، ولم يحجر عليه؛ يكون كامل الأهليّة لمباشرة حقوقه المدنيّة"[55]، بما في ذلك الزّواج، ونصّ القانون ذاته أنّ "سنّ الرّشد إتمام الثّامنة عشرة من العمر"[56].

وعليه حدّد سن الزواج بذات سنّ الرّشد أي الثّامنة عشرة، وربط الزّواج بكامل الأهليّة فيخرج فاقد الأهليّة، أي الّذي كان قبل سنّ التّمييز، وحدّده قانون الأحوال المدنيّة في المادّة (42) أنّ "سنّ التّمييز سبع سنين كاملة"[57]، ووفق المادّة نفسها أنّه "لا يكون أهلا لمباشرة حقوقه

---

[50] **نفسه**؛ ص: 58. بتصرّف بسيط.

[51] **نفسه**؛ ص: 57 – 58.

[52] **مجموعة التّشريعات القضائيّة واللّوائح المنظمة لها**؛ سابق، المجلّد الثّانيّ، الجزء الثّاني، ص: 210.

[53] **نفسه**؛ المجلّد الثّانيّ، الجزء الثّاني، ص: 211.

[54] **نفسه**؛ المجلّد الثّانيّ، الجزء الثّاني، ص: 211.

[55] **نفسه**؛ المجلّد الثّانيّ، الجزء الأول، ص: 44.

[56] **نفسه**؛ المجلّد الثّانيّ، الجزء الأول، ص: 44.

[57] **نفسه**؛ المجلّد الثّانيّ، الجزء الأول، ص: 44.

المدنيّة من كان فاقد التّمييز لصغر في السّن أو عته أو جنون"[58]، كما يخرج ناقص الأهليّة أيضا، وحدّد قانون الأحوال المدنيّة أيضا ذلك بما دون الثّامنة عشرة وفق المادّة (43) أنّه "كلّ من بلغ سنّ التّمييز ولم يبلغ سنّ الرّشد، وكلّ من بلغ سنّ الرّشد، وكان سفيها أو ذا غفلة يكون ناقص الأهليّة وفقا لما يقرّره القانون"[59]، وبما أنّ الزّواج مرتبط بكامل الأهليّة فقد نصّ قانون الأحوال المدنيّة وفق المادّة (45) أنّه "ليس لأحد النّزول عن حرّيّته الشّخصيّة ولا عن أهليّته أو التّعديل في أحكامها"[60] وجودا أو عدما.

**الزّواج وقانون الطّفولة:**

بما أنّ سنّ الزّواج مرتبط أيضا بمسألة الطّفولة وحقوقها، وقد أقرّت عمان ميثاق حقوق الطّفل العربيّ عام 1983م[61]، وكما أسلفت سابقا أنّ عمان انضّمت إلى "اتّفاقيّة حقوق الطّفل في يونيو 1996م بموجب المرسوم السّلطانيّ رقم (96/45م)"[62]، وأصدرت لاحقا قانون الطّفل عام 2014م.

وبما أنّ اتّفاقيّة حقوق الطّفل لعام 1989م "هي الوثيقة الدّوليّة الأولى الّتي وضعت مفهوما عامّا وشاملا للطّفل، وللفترة الّتي يحتاج إليها للحماية والرّعاية، حيث نصّت في المادّة الأولى منها على أنّه لأغراض هذه الاتّفاقيّة يعنى الطّفل كلّ إنسان لم يتجاوز الثّامنة عشرة من عمره، ما لم يبلغ سنّ الرّشد قبل ذلك بموجب القانون المنطبق عليه"[63]؛ عليه نصّ قانون الطّفل وفق المادّة (1) أنّ "الطّفل كلّ إنسان لم يكمل الثّامنة عشرة من العمر بالتّقويم الميلاديّ"[64]، ونصّت المادّة (7) أنّ "للطّفل الحقّ في الحماية من العنف، والاستغلال، والإساءة،

---

[58] **نفسه**؛ المجلّد الثّانيّ، الجزء الأول، ص: 44.

[59] **نفسه**؛ المجلّد الثّانيّ، الجزء الأول، ص: 44.

[60] **نفسه**؛ المجلّد الثّانيّ، الجزء الأول، ص: 45.

[61] الفزاريّ: محمّد بن عبد الله بن إسماعيل، **ضمانات حماية حقوق الطّفل في ضوء قواعد القانون الدّوليّ والتّشريع الوطنيّ**؛ سابق، ص: 102.

[62] **نفسه**؛ ص: 102.

[63] **نفسه**؛ ص: 16.

[64] **موسوعة القوانين الجزائيّة**؛ ط شرطة عمان السّلطانيّة، الطّبعة الثّانية، 1436هـ/ 2015م، ص: 405.

وفي معاملة إنسانيّة كريمة تحفظ له كرامته وسمعته وشرفه، وتكفل له الدّولة التّمتع بهذا الحقّ بكلّ السّبل المتاحة"[65].

لهذا كانت القوانين متشدّدة فيما يتعلّق بحماية الطّفولة، فمثلا "إنّ جريمة هتك عرض طفل المؤثّمة بنصّ المادّة (٧٢) بدلالة المادة (٥٦ / ب) من قانون الطّفل تتكون من كلّ فعل مُناف للحشمة يرتكبه شخص ضدّ آخر ذكرا كان أو أنثى، ويلحق به عارا يؤذيه في كرامته وعفّته، وهو يعرف أيضا بأنّه الإخلال العمديّ الجسيم بحياء المجنيّ عليه بفعل يرتكب على جسمه، ويمسّ في الغالب عورة فيه وإن لم يترك هذا الفعل أثرًا على جسم المجني عليه، كما تستوجب تلك الجناية توافر قصد جنائي بعنصريه العلم والإرادة فيتحقق القصد الجنائي متى كان الجاني على علم بحقيقة فعله، وأنّه يقوم به بغرض الإخلال بعرض المجني عليه فتنصرف بذلك إرادته إلى الفعل وإحداث النّتيجة، كما أنّه لا يشترط لثبوت تلك الجريمة على مرتكبها وجود شهود رؤية أو قيام أدلّة معينة بل للمحكمة أن تكون عقيدتها بالإدانة في تلك الجريمة من كلّ ما تطمئن إليه من ظروف الدّعوى وأدلتها وقرائنها"[66].

وبما أنّ قانون الطّفولة على كلّ من هو دون الثّامنة عشرة من العمر، وعليه ينطبق هذا على زواج من هما ذكرا أو أنثى دون هذا العمر، ويكون العمر محدّدا وفق ما ورد في البطاقة الشّخصيّة "إعمالا للمادّة (42) من قانون الأحوال المدنيّة رقم (1999/66) الّتي نصّت على أنّ البطاقة الشّخصيّة تعتبر دليلا على صحة البيانات الواردة بها، ولا يجوز لأيّ جهة حكوميّة أو غيرها علّة ذلك"[67]، وهذا منعا لأيّ دعوى أو تلاعب بمسألة العمر، ولأنّها منضبطة بشكل دقيق وفق قانون الأحوال المدنيّة.

---

[65] **نفسه**؛ ص: 106.

[66] **مجموعة المبادئ والقواعد القانونيّة الّتي قرّرتها المحكمة العليا من الفترة 2011م وحتّى 2020م: الدّائرة الجزائيّة**؛ المجموعة التّشريعيّة الثّانية، ط المجلس الأعلى للقضاء – المكتب الفنيّ، سلطنة عمان، ص: 372.

[67] **نفسه**؛ ص: 206 – 207.

**تحدّيات قانون سنّ الزّواج في عمان:**

مع أنّ قانون الأحوال الشّخصيّة بما فيه من تحديد سنّ الزّواج قد صدر عام 1997م كما أسلفتُ سلفا، إلّا أنّه لم يعمل ضجّة سلبيّة، ولم يلق اعتراضا في البلد، لا على المستوى الدّينيّ والفقهيّ، ولا على المستوى الاجتماعيّ من حيث القبيلة، ولا على مستوى العقل الجمعيّ، فكان الجميع مدركا للأضرار النّفسيّة والاجتماعيّة والصّحيّة المترتبة على الزّواج المبكر، وأهميّة التّأهل العقليّ والنّفسيّ والماديّ لإقامة أسرة ناضجة ومتكاملة.

وعلى المستوى الدّينيّ والفقهيّ، فقد كان الجميع حاضرا على مستوى المذاهب الفقهيّة في عمان لصياغة قانون الأحوال الشّخصيّة، "ولم يتقيّد القانون العمانيّ في أحكامه بمذهب فقهيّ معيّن، بل درج في اختيار الأقوال ما هو أيسر وأوفى بالحاجة ومقتضيات مصلحة المجتمع"[68].

وإذا جمعنا جميع ما سبق، خصوصا بين قانون الأحوال الشّخصيّة وقانون الطّفل من جهة، وبين قانون الأحوال المدنيّة، والقوانين المتعلّقة بالمرأة من جهة ثانيّة، الأصل أننا ندرك أنّه ينطبق على هذا المادّة رقم (46) والمتمثلة في "لكلّ من وقع عليه اعتداء غير مشروع في حقّ من الحقوق اللّازمة لشخصيّته أن يطلب وقف هذا الاعتداء، وله التّعويض عمّا يكون قد لحقه من ضرر"[69]؛ ينطبق على من زوّج قبل السّنّ القانونيّة المقرّرة، أو أرغم على الزّواج بعدها دون اختيار ورغبة منه، أو أكره على زواج من لا يرغب له، ولا يسكن إليه، ونصّت المادّة رقم (154) من قانون الأحوال الشّخصيّة أنّ "للقاصر بعد رشده، أو ترشيده، أن يطلب تعويضا عن تصرّفات وصيّه الضّارة، الواقعة قبل ذلك كلّا أو بعضا ولو أبرأه إبراء عامّا، مع إمكان مساءلته

---

[68] العزريّة: مريم بنت سعيد بن حمد، **التّفريق القضائيّ بين الزّوجين للضّرر**؛ سابق، ص: 59.

[69] **مجموعة التّشريعات القضائيّة واللّوائح المنظمة لها**؛ سابق، المجلّد الثّانيّ، الجزء الأول، ص: 45.

جزائيّا عند الاقتضاء"[70]، وفي المادّة نفسها أنّه "يسقط هذا الحقّ بمضي سنة من تاريخ مباشرة القاصر أعماله نتيجة رشده أو ترشيده"[71].

بيد أنّ المادّة (10) من قانون الأحوال الشّخصيّة والّتي تنصّ على أنّه "لا يزوج من لم يكمل الثّامنة عشره من عمره إلّا بإذن القاضي، وبعد التّحقّق من المصلحة"[72] تحدث شيئا من الفراغ غير المنضبط في ذاته حول عموميّة ترشيد القاضي، مع أنّ هذا الفراغ أحكم بالنّسبة للكاتب بالعدل، أو من يقوم بتوثيق العقود، فلا يمكن بحال أن يستثني أحدا أو يرشده، ويتحمل المساءلة القانونيّة، بيد أنّ تعليق المصلحة للقاضي بدون ضوابط تقنينيّة حال الاستثناءات، قد تتسع في جوانب يلحق ضررها بغير البالغ، وقد تكون استجابة غير البالغ لأسباب تغريريّة من الوليّ، مستغلّا ضعف رشده، ثمّ لا توجد هناك قوانين محدّدة كعقوبات متعلّقة بالوليّ حال تزويجه لمن لم يبلغ السّنّ القانونيّة، ولعلّ هذا الفراغ هي مرحلة لتدرج تقبل المجتمع حينها، وبما أنّ الواقع اليوم متقبل في جملته فينبغي تحديد ذلك بمواد واضحة ومقنّنة.

ومع هذا في نظري تحديد المادّة القانونيّة للزّواج بالثّامنة عشرة من قبل قانون الأحوال الشّخصيّة، واعتبار الرّشد مرتبطا بالسّنّ ذاته، وربط ذلك بقانون الأحوال المدنيّة، وقانون الطّفولة، حالة جيّدة ومتقدّمة جدّا، أمام وعيّ أصبح الجميع مدركا لأهميّة ذلك.

---

[70] **نفسه**؛ المجلّد الثّانيّ، الجزء الثّاني، ص: 256.

[71] **نفسه**؛ المجلّد الثّانيّ، الجزء الثّاني، ص: 256.

[72] **نفسه**؛ المجلّد الثّانيّ، الجزء الثّاني، ص: 211.

## أحاديث وزيارات في جزيرة جربة[73]

جزيرة جربة من المناطق السّياحيّة الّتي يحيطها البحر من كلّ جانب، وتسمى جزيرة المساجد والأحلام، وفيها المسلمون واليهود، والمسلمون إباضيّة ومالكيّة، وهم متعايشون فيما بينهم، وفيها الأسواق القديمة، والآثار العتيقة من المساجد والمدارس والمكتبات وغيرها، وهي المنطقة السّياحيّة الأولى في تونس، وارتبطت بالإباضيّة منذ عصر الإسلام المبكر، وقد دخلها الإسلام مبكرا جدّا يقال سنة 47هـ

ولمّا كنت مشاركا في ندوة في ندوة المدينة، في الدّورة الثّالثة منها، بعنوان: الإنسان والتّأويل، من تنظيم المعهد العاليّ في الدّراسات التّطبيقيّة في الإنسانيّات بسبيطلة، جامعة القيروان في الجمهوريّة التّونسيّة، من 7 – 9 أكتوبر 2023م، من حسن الطّالع عند الذّهاب لحضور افتتاحيّة النّدوة وفي الحافلة الّتي تقلّنا من الفندق إلى مكان النّدوة في الآثار الرّومانيّة بسبيطلة، جلس معي في ذات المقعد رجل مألوف لدي، قلتُ له: شكلك مألوف لديّ، وقال لي: أنت بالمثل، فتعارفنا فإذا هو الدّكتور زهير تغلات، ولم نلتق سابقا إلّا في حلقة مشتركة في قناة الحرة مع الإعلاميّ إبراهيم عيسى حول "الإباضيّة والخوارج"، وذلك يوم الاثنين 24 مارس 2021م، وكنتُ حاضرا في الاستوديو بالقاهرة، أمّا هو فكان عن طريق الاتّصال المباشر، فشجعني على زيارة جربة، وأنّه سيتولى التّنسيق بنفسه، وكانت لي رغبة قديمة في زيارة جربة مع تردّدي حينها بسبب الأوضاع الأمنيّة، بيد أنّي تشجعت على الذّهاب.

خرجتُ ظهر الخميس 4 ربيع الثّانيّ 1445هـ/ 19 أكتوبر 2023م من سبيطلة مع الدّكتورة نجاة فرفال، وخرجنا بداية من سبيطلة التّابعة لولاية القصرين، وهي وسط غربي تونس، فاتّجهنا إلى محطّة مدينة سيدي بوزيد، وهي المدينة الّتي انطلقت منها شرارة الرّبيع العربيّ في تونس والعالم الإسلاميّ، والمسافة بينهما حوال خمس وأربعون كيلوا مترا، أي ما يقارب ساعة، وتأخرنا في المحطّة ريثما يكتمل الرّكاب، ثمّ انطلقنا إلى قابس، ومن سيدي بوزيد إلى

[73] نشرت في مجلّة المسار، الجمهوريّة اليمنيّة، السّنة (26)، العدد (76)، إبريل 2025م، ص: 134 – 170.

قابس حوالي ثلاث ساعات مع التّوقف، وقابس من المدن العريقة في تونس، ومشتهرة بالحمامات الطّبيعيّة، وفي هذه المسافة استفدت كثيرا من الدّكتورة، فهي صاحبة علم وخلق وتواضع، ومتخصّصة في دراسة الحضارة، ولها مكانة في تونس.

وصلنا محطّة تونس في العصر قبيل الغروب، وهنا الدّكتورة أصرت بنفسها أن تنظر في أمر الحافلات، ومنعتني من السّفر ليلا، خشية وجود قطّاع طرق، أو استغلال للغريب، ومن سوء الطّالع أنّ الحافلة المتجهة إلى جربة انطلقت قبلنا بفترة بسيطة، فنصحتني أن أمكث اللّيلة في قابس، وأول الفجر اتّجه إلى المحطة، وحجزت لي فندقا لا يبعد كثيرا عن المحطّة، فمكثت فيه ليلة، وبعد صلاة الفجر اتّجهت مباشرة إلى المحطة مشيا لأنّي لم أجد سيارة أجرة، وكانت الحقيبة ثقيلة بسبب هدايا الكتب، ومع هذا كنت من أوائل من حجز للحافلة.

ولديهم نظام جيّد في حافلات الرّبط بين المدن، مع رخص الأجرة، ولا يُستغلّ السّائح لطمع أصحاب الأجرة، كما يشعر بالأمن، وهذا وجدته في المغرب أيضا في تنقلي بين المدن، وعموما توجست من صاحب الحافلة، فكان ينظر إلى الحقيبة، وسألني ماذا تحمل فيها، ولماذا هي ثقيلة، وفعلا قريب جربة أوقفنا عند نقطة تفتيش، فجاء شرطيّ وأمرني بإنزال الحقيبة وفتحها، فسألني عن الكتب ولماذا تحملها، فأخبرته بوضع مشاركتي في النّدوة، وطبيعي المؤلفون والمهتمون بهذا يتهادون، فطلب هويّتي فأعطيته الجواز، فأمرني بالذّهاب.

والطّريق من قابس إلى جربة حوالي ساعتان ونصف، وهنا وصلت محطّة جربة قرب العاشرة صباحا، ووجدت الأستاذين زهير تغلات وعليّ بوجديديّ ومعهم الشّيخ محفوظ دحمان في الانتظار، وهم من رموز جربة ومثقفيها، فأخذنا جلسة تعارفيّة في المقهى، ثمّ ذهبت مع الشّيخ محفوظ دحمان لزيارة مخبره.

**مخبر الشّيخ محفوظ دحمان للتّجليد والتّرميم**

في صباح يوم الجمعة 5 ربيع الثّانيّ 1445هـ/ 20 أكتوبر 2023م في الحادية عشر صباحا ذهبت مع الشّيخ محفوظ دحمان لزيارة مخبره في تجليد وترميم المخطوطات، والشّيخ محفوظ

من مشائخ جربة، ومن تلاميذ الشّيخ إبراهيم بن عمر بيّوض (ت: 1401هـ/ 1981م)، ودرس فترة بسيطة كما أخبرني في معهد الحياة بالقرارة، وحضر دروس الشّيخ بيّوض، والتقى به، وكان لديه تواصل مع من أتى بعده كالشّيخ عدّون بن الحاج عمر (ت: 1425هـ/ 2004م)، والشّيخ النّاصر المرموريّ (ت: 1432هـ/ 2011م)، كما يذكر شيئا من أخبار الشّيخ عبد الرّحمن بكلّي أو المشهور بالشّيخ البكريّ (ت: 1406هـ/ 1986م)، وهو ذاكرة شفويّة لمرحلة الإصلاح في الجزائر وتونس، ويحفظ الشّيء الكثير من الحراك والتّحولات في المذهب الإباضيّ في جربة خصوصا بعد النّصف الثّاني من القرن العشرين، والشّيخ من خطباء جربة، وله مكانة عندهم، وصاحبني طيلة الرّحلة رغم مرضه، وقد أجرى عملية من فترة بسيطة جدّا، ولم يفارقني حتّى ذهبت إلى قاعة الطّيران الدّاخليّة في جربة، وسيارته فرنسيّة تعود إلى سبعينات القرن العشرين، ولا زال محافظا عليها، وأخبرني أنّه يذهب بها إلى العاصمة تونس أكثر من مرة، وذكرني هذا بجارنا في الموالح الجنوبيّة بمحافظة مسقط، فلا زال متمسكا ومحتفظا بسيارته الّتي اشتراها عام 1976م، ويتنقل بها لمسافات، وبين صاحبنا هذا في عمان، وشيخنا في جربه شبه في السّمت والأخلاق وخدمة الآخر، فلمّا نظرت إلى الشّيخ محفوظ تذكرت صاحبنا في عمان، والأرواح تقترب وتأتلف مع بعضها.

وله شقّة متواضعة أوقفها لمشروع تجليد وترميم المخطوطات، وفي البداية أخبرني أنّ مشروعه بسيط جدّا، نحاول فيه أن نحفظ ما تبقى من مخطوطات مدارسنا العلميّة، فحفظنا حتّى الآن نماذج عديدة من الوثائق والمخطوطات، خصوصا من المساجد، وما بقي عند بعض العائلات، وللأسف رأينا العديد منها قد عزف أهلها عنها، حتّى كلّ ورقة منفصلة عن الأخرى، لهذا نحاول بداية تجميعها، ثمّ تنظيفها وتعقيمها، ثمّ نحاول جمع ما نراه أنّه من كتاب واحد، مع مواصلة البحث للحصول على أوراقه أو أجزائه الأخرى، ولعلّنا نجد منه مخطوطا أو أكثر متكاملا، لأجل المقارنة بينها، وهذه الورقات الّتي في المساجد من كتب كانت تدرّس للطّلبة، ومنها كتب في الفقه الإباضيّ، وكتب في الفقه المقارن، وفائدتها نستطيع معرفة الكتب الّتي كانت تدرّس قديما في مدارسنا تحت إشراف حلقات العزّابة، كما وجدنا كتبا في الفقه غير الإباضيّ، وكتبا في اللّغة العربيّة وفقهها، وكتبا في علم الحساب، وكتبا في الطّبّ، وأغلب هذه الكتب تعود

إلى أواخر الدّولة العثمانيّة، أي في القرنين الثّامن عشر والتّاسع عشر الميلاديين، والعديد من هذا الكتب جلبت من إسطنبول.

وقد عثرت في هذه الأوراق نسخا من ديوان الأشياخ، وكنّا نعتقد أنّ نسخته الفريدة محفوظة فقط في مكتبة الباروني، وقد وجدنا نسخة منه بخطّ جربيّ عند عائلة المزابيّ، والنّسخة عبارة عن أجزاء من كتابين من الدّيوان، مع مقارنتها بنسخ الدّيوان الموجودة، والدّيوان قيمته أنّه يرجع زمنيّا إلى القرن الرّابع الهجريّ، ولأنّه ولأول مرة في التّأريخ الإسلاميّ أنّ الفقه يدوّن بشكل معجميّ، حيث اعتكف عليه سبع من مشايخ الجزيرة في غار مجماج، واعتكفوا فيه لأجل تأليف الكتاب، وسمي ديوان الغار، أو ديوان العزّابة، أو ديوان الأشياخ، وبعض الإخوة الميزابيين يقولون إنّهم يحقّقون الكتاب في اثنين وعشرين جزءا، وعسى يرى النّور قريبا بإذن الله تعالى.

كما عثرنا على نسخة من القرآن وفيه حواشي لتفاسير مختلفة، وأعتقد أنّه في أصله تفسير الجلالين، وكان هذا الكتاب يدرّس في الجامع الكبير، مع حصولنا على العديد من أوعية التّجليد القديمة لأغلفة المخطوطات.

وقد نُقلت العديد من الكتب المتكاملة إلى أماكن أخرى لحفظها من المساجد والبيوت، وبقي – كما أسلفتُ – ورقات متناثرة، وتصوّر هؤلاء لا قيمة لها، لهذا قمنا – وإن كان متأخرا – بجمعها وحفظها وتعقيمها، وفي السّنوات الأخيرة والحمد لله وجدنا اهتماما بالمخطوط ولو كان أوراقا متناثرة.

وفي الصّيف الماضيّ [أي صيف 2023م] عملنا شغلا نوعيّا، حيث حدّدنا المجموعات المتقاربة، واستطعنا حتّى الآن تجميع ستمائة مجموعة والحمد لله، مثلا ما نراه متقاربا في الخطّ ونوع الورق نجعله في مجموعة واحدة، فقد يكون كتابا واحدا، والمخطوط إشكاليّته سابقا لا يرقم بالصّفحات، ونعرض هذه النّصوص للمختصين، ويخبروننا من أيّ مخطوط هو، وهذا نعتمد عليه بشكل أولي، ثمّ نحاول قراءة النّصوص لنتمكن من ترتيب الورقات.

[ووجدتُ مخطوطا باللّغة العبريّة فسألته عنها فقال:] عندنا يهود في جربة يحتاجون إلى نسخ من كتبهم في صلواتهم وأدعيتهم، ويأتون إلينا لنسخها وتجليدها، والّذي تراه هو نسخ من مزامير داود، وميزة هذا الكتاب أنّ نصفه مكتوب بالعربيّة بخطّ عبري، والنّصف الآخر مكتوب بالعبريّة خطّا ونطقا، وعمر المخطوط هذا حوالي مائة وخمسون سنة تقريبا، واليهود جالية كبيرة في جربة يصلون إلى ألف وخمسمائة شخص، ومتعايشون مع المسلمين إباضيّة ومالكيّة بشكل كبير، أي في حدود مائة وخمسن إلى مائتين عائلة تقريبا، ويوجد تعامل كبير بينهم عشائريّا وماليّا مع الإباضيّة في جربة، فهناك علاقات تجاريّة وزراعيّة وصناعيّة بينهم، ولكلّ حريّته في معتقده وطقوسه، لهذا لا تجد في المخطوطات التّطرّق إلى الجدليّات الخلافيّة مع اليهود، ولم يدون شيء من هذه العلاقات في التّأريخ.

ومعرفتنا عن تأريخ المخطوط لأنّه أحيانا في آخره يذكر النّاسخ تأريخ نسخة للكتاب، وإذا لم نجد تأريخ ذلك نهتدي عن طريق العلامات المائيّة للورقة، حيث نعرف متى صنعت هذه الورقة، وقد وجدنا أيضا العديد من الأوراق والمخطوطات بخطوط مشرقيّة، وليست مغربيّة فقط.

ثمّ ذهبنا إلى مكتب صغير، وفيه آلة قديمة صينيّة الصّنع لتعقيم المخطوطات، حيث تقطع الأوكسجين عن مكان المخطوطات، سواء كانت غرفة أم صندوق، فتسحب الأوكسجين، لتجعل المكان غير قابل للاستنشاق، فيقتل أي كائن حيّ، إذ لا يستطيع العيش داخل المخطوط.

وبعدها دخلنا إلى غرفة المخبر، يقومون فيه بإصلاح المخطوط وتجليده وتخييطه، والآلة الّتي يستخدمونها بسبب الحالة الماديّة قديمة جدّا، ولا يكاد تستخدم اليوم، وأغلبها يدويّة، وفيها آلة قديمة لخرم المخطوط، وآلة لتجفيف الغراء، وأدوات التّخييط، ومسنّ وشفرات لترقيق الجلود، وآلة لتنظيف جوانب الورق ليكون متساويّا في أطرافه، وأغلفة وأدوات التّجليد، وأدوات تذهيب المخطوط، فعندهم ورق بالذّهب الأصليّ عيار أربعة وعشرين، والذّهب العادي المقلّد.

والعجيب أنّ الشّيخ لا يرمي ما يتبقى من ورق التّجليد، أو قصّاصات خرمه، وإنّما يحتفظ بها، لعلّ من الفنّانين من يريدها ليعمل شيئا فنّيّا، كما أنّه يعمل بنفسه، ويأتيه مستشرق ليساعده في قراءة المخطوط، اسمه الدّكتور بول بولف [من جامعة الأخوين بالمغرب]، أمريكي الجنسيّة، وأصله مدرّس للتّأريخ الإسلاميّ، ومغرم بالدّراسات الإباضيّة، لهذا أغلب دراساته الجامعيّة حول الإباضيّة، وأصدر العديد منها باللّغة الإنجليزيّة، وآخر إصدار له بعنوان الإباضيّة العثمانيون في القاهرة، ويقصد بهم الإباضيّة المغاربة الّذين اشتغلوا تحت إدارة الدّولة العثمانيّة، وأصبحوا سفراء وقناصل (جمع قنصل)، وانطلقوا من القاهرة مثل سليمان الباروني (ت: 1359هـ/ 1940م).

**زيارة جمعيّة التّنشيط الثّقافيّ والمكتبة الوسائطيّة**

في الواحدة ظهرا من يوم الجمعة نفسه زرتُ جمعيّة التّنشيط الثّقافيّ والمكتبة الوسائطيّة في حوم السّوق بجربة، والتقيت برئيس الجمعيّة زهير تغلات، والّذي تحدّث ابتداء أنّ المكتبة الوسائطيّة تديرها جمعيّة التّنشيط الثّقافيّة منذ افتتاحها عام 2005م، وفي عام 2020م اختصّت جمعيّة التّنشيط الثّقافيّة بتنشيط العمل الثّقافيّ بالمكتبة، وتتضمّن قاعة قراءة للباحثين، وفيها مجموعة جيّدة من الكتب في الأدب والتّأريخ والحضارة والفنون واللّغة والأديان وغيرها تصل حاليا إلى عشرين ألف كتاب، والكتب هنا بثلاث لغات: العربيّة والفرنسيّة والإنجليزيّة، ويتفرع عنها مخبر المخطوطات، وفيه ترقمن المخطوطات العائليّة بجربة، خاصّة عائلة الباسي، وعائلة مهني البارونيّ، وعائلة اللّينيّ، وعائلة الشّاهد، وقد افتتح المخبر عام 2017م، وقد استطعنا رقمنة ألف مخطوط بصيغة احترافيّة، وذلك بالتّنسيق مع المكتبة البريطانيّة للمخطوطات، وهي موجودة في موقع المكتبة البريطانيّة، ويمكن لكلّ باحث زيارة هذا الموقع.

وسميت الوسائطيّة باعتبارها ليست تقليديّة، أي تحتوي على الكتب فقط، بل هي أوسع من ذلك، من حيث الجوانب المعرفيّة والفنيّة والمخطوطات ومخبر أو نادي السّينما ورواق الفنون، ونادي التّراث، ونادي اللّغات، والمناشط المتنوعة الّتي تقام فيها، بجانب هي مكتبة

تستخدم الوسائط الحديثة للوصول إليها، مثل رقمنة الكتب والمخطوطات، وجعلها متاحة عن بُعد للباحثين والقرّاء، ومن تقليد المكتبة أنّها تقدّم قراءة كتاب لكلّ شهر، وكلّ كتاب يقرأ نجعله في زاوية مخصّصة من الكتب المقروءة، كما أصدرت المكتبة العديد من الكتب، مثل نشرات تعريفيّة عن جربة بالعربيّ والإنجليزيّ والفرنسيّ، وكتاب أيام في التّرجمة، وكتاب للأطفال حول حكايات جربة وغيرها، كما شاركت في العديد من النّشرات حول جربة وحول المكتبة كمجلة الجسرة من قطر، ودراسات أندلسيّة، ومجلّة المسار.

كما التقيت بالقائم على مخبر المخطوطات بالجمعيّة الدّكتور عليّ بوجديديّ، ومن حديثه حول المخبر أنّ مخبر المخطوطات بالمكتبة اهتمّ بالمخطوطات المهدّدة بالانقراض، بالتّعاون مع مؤسّسة أركاديا، ومع المكتبة البريطانيّة، وقد تمثل التّعاون في المنحة من قبل المكتبة البريطانيّة في أجور العاملين بالمشروع، وفي توفير الآلات المساعدة على رقمنة وترميم المخطوط.

ومن طرائف المخطوطات الّتي حصلنا عليها مصحف مكتوب بالعربيّة، وتحت كلّ آية من آياته مكتوب بالتّركيّة العثمانيّة القديمة، وكان المستشرق جوزيف شاخت (ت: 1969م) زار جزيرة جربة، ونوه بهذا المخطوط، وبجماله، حيث أنّه محلّى ومزخرف، وعرضناه في القمّة الفرنكوفونيّة في جزيرة جربة [عام 2022م]، وأعجب زوار المعرض به، ومن المخطوطات النّادرة المكتوبة بخطّ مؤلفها لكاتبه الشّيخ سالم بن يعقوب (ت: 1411هـ/ 1991م)، مؤسّس المكتبة الباسيّة، هذا المخطوط عنوانه "الزّهر البستان في علم الأبدان"، من ستمائة صفحة في الصّيدلة، وهو من المخطوطات الفريدة الّتي لا يوجد منها إلّا نسخة واحدة، وهو غير محقّق، ونحن عازمون على تحقيقه، ومن المخطوطات أيضا مجموعة وثائق عائليّة، منها عقود زواج، ومنها تحبيسة على رق الغزال (رقيّة)، طولها حوالي متران، توثق طرق التّدريس والأحباس في جزيرة جربة.

والّذي عندنا من المخطوطات لا تقتصر عند المذهب أو الفقه الإباضيّ؛ لأنّ الإباضيّة انفتحوا على غيرهم مبكرا، فهناك مخطوطات في الفقه الحنفيّ والمالكيّ والمذاهب السّنيّة

عموما، كما توجد مخطوطات باللّغة العِبريّة أيضا، كما نجدها متنوعة في علوم القرآن والفقه وأصـوله وغيرها من جهة، وكتب أخرى في الصّـيدلة والكيمياء والرّياضـيّات وغيرها من العلوم من جهة أخرى.

ونحن لمّا نرجع المخطوط إلى العائلة نرجعه في صندوق يحفظ المخطوط من الرّطوبة والتّلف، ويكون مرتبا ومرمّما ومفهرسا، حيث لا نأخذ المخطوط، وإنّما بعد تعقيمه وإصلاحه نقوم برقمنته ورفعه على المكتبة البريطانيّة في قسم المخطوطات الإسلاميّة والعربيّة لتكون مشاعة للباحثين من أيّ قطر في العالم للبحث والتّحقيق، أمّا أصل المخطوط فيرجع إلى العائلة أو إلى أصحابه، وبعض المكتبات أهدت أصل المخطوط للمكتبة كمكتبة الشّاهد، إذا حبّست (أوقفت) مخطوطاتها للمكتبة الوسائطيّة، كما لدينا تعاون أيضا مع هيئة الوثائق والمحفوظات الوطنيّة العمانيّة.

كما أننا لا نتوقف عند التّحقيق؛ بل نعمل في إقامة معارض وجلسات ودراسات محكّمة حول المخطوطات، وما يعرّف بها، والمكتبة عموما لها جلسات شهريّة في عرض الأفلام ومناقشتها، وفي قراءة ومناقشة الإصدارات الجديدة، وعندنا سنويّا ندوة دولية مشفوعة بكتاب، وآخر ندوة كانت حول "في بلاغة المقموعين"، ونعدّ كتابها حاليا، وهو 470 صفحة تقريبا، وسيصدر عن دار كنوز قريبا، وقبلها ندوة في بلاغة الأشكال الوجيزة، وندوة حول المخطوطات العائليّة بالتّعاون مع الدّار الوطنيّة بتونس ومخبر الرّقوق والمخطوطات برقادة بالقيروان، وأرجو أن تكون لنا مستقبلا أعمال مشتركة بين عُمان وجربة.

وبعد اللّقاء التقيتُ بالدّكتور بول بولف [من جامعة الأخوين بالمغرب] مع الشّيخ محفوظ دحمان، وكان شيء من الحديث الجانبيّ في المعرفة عموما بمشاركة الدّكتورين تغلات وبوجديدي.

**المكتبة البارونيّة في جربة**

في مســـاء الجمعة ٥ ربيع الثّاني ١٤٤٥هـــ/ ٢٠ أكتوبر ٢٠٢٣م زرتُ المكتبة البارونيّة بجربة، والتقيت بالقائم عليها من أحفاد المؤسّـــس الشّـــيخ ســـعيد بن يوســـف بن محمّد بن يوســـف بن عليّ بن أبي عثمان ســـعيد البارونيّ، وكان لي معه حديث حول المكتبة، فأخبرني أنّ الشّيخ أبا عثمان أصله من جبل نفوسة من مدينة جريجة، ثمّ ذهب إلى مصر ليدرس في جامع الأزهر في نهاية القرن الثّامن عشر الميلاديّ، تقريبا عام 1792م، وبقي في القاهرة عشرين سنة، وتولى التّدريس أيضـــا في وكالة الجاموس في حيّ بن طولون بالقاهرة، وفي تلك الفترة كوّن نواة المكتبة البارونيّة من نســـخه وشـــرائه للمخطوطات، فقد قام بنســـخ العديد من الكتب في القاهرة، كما أشـــترى غيرها، وأغلبها من نسـخه أي باسـم سـعيد البارونيّ الأزهريّ، وأول كتاب نَسَخه يعود إلى 1795م تقريبا.

ثمّ رجع إلى موطنه جبل نفوسـة بليبيا عام 1811م، وهنا أرسـل إليه الشّـيخ صـالح بن أبي مسـور الجربيّ القائم على المدرسـة المسـوريّة، أو الجامع الكبير، [نسـبة إلى جامع أبي مسـور الّذي بني في القرن الثّالث الهجريّ وتحوّل إلى مدرســـة كبيرة للتّعليم في المدرســـة، واســـتمر التّدريس فيها إلى أواخر القرن التّاســـع عشـــر الميلاديّ 1898م كما ســـيأتي ذكره]؛ حيث أنّ الشّيخ أبا الرّبيع سليمان الشّماخيّ (ت 1234هـ/1819م) خرج لأداء مناسك الحجّ وتوفي هناك، فطلب من الشّـيخ سـعيد أن يحلّ محلّ الشّـماخيّ في التّدريس في المدرسـة، وهذا هو السّـبب الّذي جعله ينتقل من جبل نفوســـة إلى جربة، ولهذا اســـتقر في جربة من عام 1811م، حيث طاب له العيش في جربة، فقرّر الإقامة فيها.

ثمّ عاد إلى مسـقط رأسـه – أي جبل نفوسـة – عام 1819م، ليجلب كتبه معه، وضـمّ إليها كتـب ابن عمّـه موســى البـارونيّ، لهـذا يمكن اعتبـار عـام 1819م نواة تـأســيس المكتبـة البارونيّة في جربة، وقد كانت في محلّ سـكناه فيها، حيث أصـبح شـيخ الجزيرة، وتولى الإمامة في الجامع الكبير، وكان محلّ الفتوى، وإليه يرجع في تعيين بداية رمضان ونهايته.

ولمّا توفي عام 1865م ورثها من بعده ابنه عليّ، وأضـــاف إليه ابنه مجموعة من الكتب، وتوجد بعض المخطوطات بيد ابنه عليّ، وجاء من بعد عليّ ابنيه يوســـف وأحمد، فقسّـــمت المكتبة بينهما، وأغلب كتب المكتبة اليوم ممّا ورث من قســـم يوســـف، وأمّا قســـم أحمد فلم يحافظ عليها ورثته، وما بقي منها فهو قليل، وبعد يوســـف جاء ابنه محمّد، ثمّ ابنه يوســـف، وهو والد الشّيخ سعيد، لهذا حاليا هو من يقوم عليها.

وأخبرني أنّ جدّه محمّدا كان مغرما بجمع الكتب، فاشـــترى العديد من المخطوطات والكتب، وســـأله أنّ بعض الكتب نجد أطرافا من أجزائها، إمّا الأجزاء الأخيرة أو الأولى أو الوســـط، فســـأله عن باقي الأجزاء، فقال: هذه وزعت على الورثة وقد بيعت، وما بقي فهي هذه الأجزاء الّتي حافظنا عليها، وأضـــاف الشّـــيخ محفوظ دحمان [وكان حاضـــرا معنا، وهو من مشـايخ جربة وخطبائها والمعنيين بالمخطوطات أيضـا كما أسـلفنا]: أنّ بعضـهم يقسّـمون حتّى أوراق الكتاب أو الجزء الواحد إلى أجزاء بين الورثة، فتضيع الكتب بهذا.

لهذا ما بقي من عدد الكتب والمخطوطات تصـــل إلى حوالي ألف ومائتين مخطوطا، وعدد المجلّدات 574 كتابا، فلمّا فكّكت أجزاؤها وصـل إلى حوالي ألفين كتاب وزيادة قليلا، ولمّا زار الشّـــيخ أحمد بن حمد الخليليّ – مفتي عُمان الحاليّ – المكتبة في مقرّها القديم عام 2012م، أي بعد أربعين عاما من زيارته الأولى، حيث زارها عام 1972م، وعام 1974م، والقصّة كما أخبرني الشّـيخ سـعيد أنّ الشّـيخ الخليليّ شـاهد في زيارته الأخيرة أي عام 2012م مخطوط "وشي الحلل في شرح أبيات الجمل" [لأبي جعفر اللّبيّ ت 691هـــ]، والنّاسخ لها سعيد بن عبد الرّحمن، وكتب في جمادى الأولى 974هـــ، والمشـــهور بأبي جناح، وتملكه قاســـم بن عبد الله البارونيّ، حيث وجد الكتاب قد تحلّل وتفتّت بين يديه، فطلب أن تخرج هذه المخطوطات من محلّها القديم، بسبب توفر الرّطوبة فيها ممّا لا يجعلها بيئة جيّدة لحفظ المخطوطات.

من هنا ساهمت عمان في بنائها الجديد في حومة السّوق بجزيرة جربة، وافتتحت في 25 جمادى الأول 1437هـــ/ 5 مارس 2016م، وتضـمّ قاعة اسـتقبال، وقاعة المطالعة والرّقمنة والفهرســـة والتّنظيف والتّعقيم، ومكتب المســـؤول عن المكتبة، وقاعة للمحاضـــرات، وقاعة

المطبوعات، وقاعة قسم الإهداءات، وفيها أيضا كتب باللّغتين الفرنسيّة والإنجليزيّة بجانب العربيّة، وتوجد فيها كتب في مختلف الفنون، ومنفتحة على كتب المذاهب الأخرى، فلم تقتصر عند المذهب الإباضيّ، بجانب المجلّات والدّوريات، ففيها مثلا غالب أعداد مجلّة العربيّ الكويتيّة، وفيها كتب معاصرة أيضا، وفيها قاعة لورشة ترميم المخطوطات والصّيانة والفهرسة، ومخبر أو قسم خاصّ للتّجليد.

ومن أهم قاعاتها قاعة المخطوطات، حيث تجعل في خزائن حديديّة، جعلوا المخطوطات الإباضيّة في قسم، والأقسام الأخرى مختلطة على المذاهب الأخرى، وموزعة على التّفسير وأصول الدّين واللّغة والفقه، والفلك الحساب والطّبّ، ورسائل وأجوبة وردود، والتّأريخ والسّير، والتّوحيد والتّصوّف، والأدب، والمنطق والفلسفة والحكم، وعلم الفرائض، ووثائق العائلة البارونيّة، ويستخدمون لحفظ المخطوطات موادا للتّقليل من الرّطوبة، وموادا للقضاء على التّسوس.

وبعد تعقيمهم وتنظيفهم للمخطوطة يعملون لها مذكرة فنيّة، يحصون فيها عدد الورقات، وبيان الفقرة الأولى والأخيرة منه، مع ذكر المؤلف والنّاسخ، والعام الّذي نسخ فيه المخطوط، ومكان النّسخ، وحجم المخطوط، ومقاس الورقة طولا وعرضا، وعدد الخطوط فيها، ثمّ يقومون بتصوير المخطوط، من خلال آلة خاصّة يرتبط بها جهاز حاسوب للتّثبت من صحة التّصوير، وأن يكون كاملا متناسقا كما هو، ثمّ يحال إلى حاسوب آخر مرتبط به للمراجعة، ثمّ يحال إلى حاسوب آخر لتمكينه للباحثين، ممّن يريد الحصول على صور رقميّة، ويمكن الحصول عليها عن طريق الحافظة المحمولة (الفلاش أو الهاردسك).

وعندهم حاليا قسم خاصّ للمخطوطات العائليّة الخاصّة، لمن يريد أن يحضر مخطوطاته، حيث يقومون بتعقيمها وإصلاحها، كما أطلعني الشّيخ سعيد على الهدايا وشهادات التّقدير الّتي حصلت عليها المكتبة، ومنها من عمان، من جامعة السّلطان قابوس، ومن كليّة العلوم الشّرعيّة مثلا، كما أطلعني على الكتاب الذّهبيّ، وفيها يدوّن الزّائر انطباعه حول المكتبة، فممّن زارها مثلا عمرو النّاميّ مرّتين عام 1968م وعام 1969م، والشّيخ إبراهيم

بن عمر بيّوض (ت 1401هـ/ 1981م) مرتين أيضا، والشّيخ عليّ يحيى معمّر (ت 1400هـ/ 1980م)، والشّيخ ناصر المرموريّ (ت 1432هـ/ 2011م)، ومن عمان زارها العديد، منهم أمير البيان عبد الله الخليليّ (ت 1421هـ/ 2000م)، وسعادة أحمد بن سعود السّيابيّ، ووزير الأوقاف السّابق عبد الله السّالميّ، والعديد من الباحثين، كما أخبرني الشّيخ سعيد أنّ أغلب أو جميع سفراء عمان في تونس زاروا المكتبة، والجانب المهم أنّ الكتاب والمخطوط العمانيّ أيضا حاضر في المكتبة، ومن فترة مبكرة جدّا.

وعموما تعتبر المكتبة البارونيّة من أهم المكتبات العائليّة الإباضيّة في جربة خصوصا، ومن المكتبات العريقة عند إباضيّة المغرب، وهي وإن كانت حديثة زمنا، إذا لا تزيد عن قرنين من الزّمن؛ بيد أنّها تعتبر من المكتبات الرّائدة والمهمّة في الفكر الإباضيّ خصوصا، والإسلاميّ عموما، بما يحتفظ فيها من نفائس ومخطوطات.

**قراءة نقديّة للفكر السّياسيّ الإباضيّ**

في صباح يوم السّبت 6 ربيع الثّاني 1445هـ/ 21 أكتوبر 2023م في العاشرة صباحا زرتُ متحف جربة بصحبة الدّكتور زهير تغلات، وهو متحف وضع في بيت أثريّ، ويختصر تأريخ جربة وحضارتها، من العهود القديمة والوسيط، وحتى العصر الحديث، وفيه كعادة المتاحف ما حفظ من ثقافة جربة في الصّناعات واللّباس والبناء والتّجارة والزّراعة والبحر وحياة الإنسان، وتقاليد المرأة والطّفل والأعياد والأعراس، كما يتضمّن معالمها وبعض رموزها، كما زرتُ مع تغلات البرج الكبير، أو البرج الإسبانيّ في حومة السّوق، والّذي بناه الإسبان قبل معركتهم مع العثمانيين عام 1560م، وهو مطل على البحر، وبقربه المسرح البلديّ.

وفي الخامسة من عصر اليوم نفسه سجلتُ حلقة يوتيوبيّة مع الدّكتور زهير تغلات بعنوان: "قراءة نقديّة للفكر السّياسيّ الإباضيّ"، وبثت في قناة أنس اليوتيوبيّة، وممّا قاله في الحلقة: الكثير من الدّراسات اهتمت بالجانب السّياسيّ عند الإباضيّة، لكنّها مفرقة ومبعثرة، والسّؤال الّذي طرحته هل يمكن الخلاصة بفكر سياسيّ إباضي متكامل، له جذوره وامتداداته،

وقد خلصت فعلا في كتابي "الفكر السّياسيّ الإباضيّ من خلال مؤلفات جابر بن زيد وسالم بن ذكوان والبرّاديّ والشّماخيّ"، وهو أطروحة ماجستير، أنّه فعلا توجد نظريّة سياسيّة متكاملة، وكانت لها لبناتها وقت النّشأة أي في فترة جماعة البصرة الأولى عند جابر بن زيد (ت: 93ه)، وعبد الله بن أباض (ت: 89ه) ومسلم بن أبي كريمة (ت: 150ه)، إلّا أنّها تطوّرت لاحقا عند نشأة الإمامة الإباضيّة في المشرق والمغرب، ثمّ سقوطها، وكيف تفاعل المجتمع الإباضيّ مع سقوطها، وكيف حموا أنفسهم من التّهور السّياسيّ، تطوّر مع هذا تطوّر تفاعلاتهم المعرفيّة في الجانب السّياسيّ، جمعا بينها وبين الجانب الدّينيّ، تمثل ذلك في كتابات علمائهم السّياسيّة، فهو ليس فكرا جامدا توقف عند لحظة ما، بل هو فكر متطوّر، ثمّ هناك خصوصيّات لإباضيّة المغرب في الجانب السّياسيّ، كما توجد خصوصيّات أيضا لإباضيّة المشرق، مع وجود مشتركات بينهم.

ولكوني مشتغلا على الحضارة القديمة؛ لهذا بالضّرورة أنا مشتغل بالنّصوص القديمة، فأنا أحفر في هذه النّصوص للبحث عن مقومات الفكر السّياسيّ الإباضيّ، علينا كما أسلفت أن نتفق بداية على وجود فكر سياسي إباضيّ، وأنّه تطوّر في العصر الوسيط، ثمّ في العصر الحديث يمكن أن ننظر إليه أيضا لنبني عليه، ولا يمكن فهم ذلك إلّا إذا فهم الإباضيّة أنفسهم، وماذا يميّزهم في الفكر السّياسيّ وأصول الدّين وعلم الكلام والفقه عموما عن غيرهم، فعلى الإباضيّة أن يتصالحوا مع أنفسهم، ومع تراثهم وفكرهم، وأن لا يكتفوا باجترار صراعات قديمة حتّى بين أنفسهم، وبعد هذا يمكن الانتقال إلى وجود دراسات نقديّة لفكرهم عموما، وللفكر السّياسيّ خصوصا، من خلال التّفاعلات والمناهج المعاصرة.

مثلا الثّورات الّتي حدثت عام 2011م كيف يمكن أن يستفيد منها الإباضيّة، وكيف يمكن أن يتفاعل الإباضيّة اليوم مع التّحولات الدّينيّة الّتي تحدث في الشّرق والغرب، خصوصا مع الحركات الإسلاميّة السّياسيّة، فنحن اليوم في مرحلة مخاض، صحيح أنّ الفكر السّياسيّ الإباضيّ أصابه من الرّكود كغيره من المدارس الإسلاميّة، واكتفى باجترار مقولات قديمة، لكن لا يعني هذا أن لا يكون حاضرا كغيره اليوم، وأن يهمش حضوره وتفاعله في الواقع المعاصر،

كما يحدث مع الفكرين السّنيّ والشّيعيّ بفروعهما، فنحن اليوم أمام مشهد دينيّ جديد، فيه كثير من التّفاعل والتّعدّد الّذي هو عنصر ثراء وليس عنصر تنافر وصراع.

وقد اتّهم الفكر الإباضيّ في فترة ما بأنّه فكر خارجيّ، وقد تحوّل فكر الخروج ذاته من فلسفة الخروج لأجل الحقّ وضدّ الجور؛ أصبح الخروج تهمة بمعنى الخروج من الدّين، فهناك خلط كبير في مفهوم الخوارج ذاته، والإباضيّة اليوم أنفسهم يتخبطون في هذه المسألة، بين الفخر في الانتماء إليهم، وبين التّبري من الانتماء إليهم.

عموما النّظريّة السّياسيّة الإباضيّة متميزة عن نظريّة القرشيّة، ونظريّة الانتماء إلى آل البيت، وانتقادهم السّابق لقرشيّة الإمامة هو انتقاد للتّوريث ذاته داخل الأسرة الواحدة، بيد أنّهم لمّا مارسوا السّياسة في عُمان وفي الدّولة الرّستميّة في المغرب؛ سقطوا في القرشيّة بمعنى التّوريث في الأسرة أو القبيلة، ووجد من يبرّر لها من الإباضيّة أنفسهم في كتب السّير، كمقولة الإمام الفاضل، والإمام المفضول، فالحركة النّكاريّة في المغرب مثلا، والّتي ظهرت سياسيّا بعد 171هـ، وبعد وفاة مؤسّس الدّولة الرّستميّة عبد الرّحمن بن رستم عام 171هـ، ولمّا آلت الخلافة إلى ابنه عبد الوهاب (ت: 208هـ) حدث صراع في قضيّة توريث الإمامة، لهذا النّكاريون أنكروا إمامة عبد الوهاب، وإن كان إنكارهم كانت لحظة سياسيّة، بيد أني وجدت أنّ لها جذورا أصوليّة وكلاميّة لها امتداد مع جماعة إباضيّة لم يكن لها اتّفاق مع أبي عبيدة (ت: 150هـ) في البصرة، وفي الكوفة كان يتزعمها عبد الله بن يزيد الفزاريّ (ت: في النّصف الثّانيّ من القرن الثّانيّ الهجريّ)، فهي تتفق مع الإباضيّة عموما، لكن كان لهم بعض آرائهم الخاصّة، وكان لديهم فيها جدل مع أبي عبيدة في الكلام والسّياسة، والكلام هو المستند العقائديّ للسّياسية، وهو يشبه اليوم الأيدلوجيا الّتي تحكم التّصورات السّياسيّة.

هذا الصّراع مبنيّ بين فريق من الإباضيّة المتمسكين بأصولهم الأولى في القرشيّة المطلقة، وبين من مال إلى الفكر السّنيّ حتّى سقطوا في التّوريث وولاية العهد، فالوهبيّة مثلا سقطت تبرير الثّاني من باب الأفضلية، وقد ظلم التّأريخ الحركة النّكاريّة، وبقي القليل ما حفظ من تراثها ومخطوطاتها، لعلّها تظهر في يوم ما، وفي الحقيقة كما بينت في كتابي "الولاية والبراءة

في الفكر الإسلاميّ" أنّه لا يمكن تحقّق مفهوم المدرسة إلّا من خلال ظهور جدل في داخل المدرسة ذاتها، وهذا الجدل الّذي حدث بين النّكارية والوهبيّة، هو ذاته الجدل الّذي حدث بين الإباضيّة والأزارقة في شأن الخروج والقعود، واختيار الإباضيّة للقعود أحدث لديهم جدلا، وعلينا اليوم أن ننفتح على جميع التّراث النّاتج حول هذه الجدليات، فهي عنصر ثراء في الوقت ذاته.

أمّا قضيّة الولاية والبراءة في تقديري لها مركزيّة عند الإباضيّة، وهذه القضيّة هي الّتي لا زالت تحدث جدلا عند الإباضيّة حتّى اليوم، ومرتبطة بموقفهم من الصّحابة، وأصبحت تثير الحساسيّة والحرج عند إباضيّة اليوم، مثل البرّاديّ (ت: بعد 810ه) في كتابه "الجواهر المنتقاة في إتمام ما أخلّ به كتاب الطّبقات" تحدّث عن علاقة الولاية والبراءة بالصّحابة، وأصبح الإشكال اليوم فكريّا، وسقط بعضهم في التّبرير، والدّرجينيّ (ت 670ه) في كتاب الطّبقات بدأ من الطّبقة الثّانية، وسكت عن الخمسين الأولى ليتجاوز هذا الإشكال، بينما يرى البرّاديّ أنّه لا يمكن السّكون عن الخمسين الأولى، فكان للإباضية رأيهم السّياسيّ منذ فتنة الدّار في عهد عثمان بن عفّان (ت: 35ه)، ويرون أنّ الّذين انتفضوا على عثمان في السّنوات السّت التّالية يمثلون جذورهم، وتوافقوا مع عليّ بن أبي طالب (ت: 40ه) في قتاله لطلحة (ت: 36ه) والزّبير (ت: 36ه) وعائشة (ت: 58ه) في معركة الجمل، أمّا في معركة صفين – وهي القضيّة الكبرى – كان لهم موقفهم الخاصّ في قضيّة التّحكيم، فكان حدسهم أنّ الانتقال من القتال إلى التّحكيم معناه انتصار معاوية (ت:60ه)، وهزيمة عليّ، فيرون أنّ الثّاني أخطأ بقبوله للتّحكيم، ولا يتحرجون في ذكر ذلك.

هذه الفترة التّأريخيّة كان مزحومة بالفتن والصّراع السّياسيّ، وقد تحدّث الشهرستانيّ (ت: 548ه) أنّه ما سلّ سيف في الإسلام إلّا بسبب الإمامة، ونراها بمنظور اليوم صراعات سياسيّة، ولكن كلّ طرف كان إباضيّا أو سنّيّا أو شيعيّا يحاول أن يضفي على هذه الصّراعات بُعدا دينيّا، ويبحث في النّصوص ما يبرّر موقفه، فكان للدّين في تلك الفترة يدا عليا على الجميع، فلا يمكن الحديث عن تلك الفترة بمقولات معاصرة، فمصطلح الدّيمقراطيّة مثلا اليوم يختلف

عن مصطلح الدّيمقراطيّة الّذي ظهر في أثينا عند اليونان، كذلك لا يمكن إسقاط مثل هذه المفاهيم على لحظات تأريخيّة لها ظرفيّتها الخاصّة، كالقول باشتراكيّة القرامطة، وديمقراطيّة الإباضيّة، وإنّما للإباضيّة كانت لهم رؤية خاصّة في الإمامة تميل إلى العدالة والمساواة.

هناك خلط في كتب السّير بين مسالك الدّين ومسالك الإمامة، والمسلك في نظري هي اللّحظة التّأريخيّة الّتي يعيشها الإنسان، وهو أقرب إلى الحقبة التّأريخيّة، فعندما نتحدّث مثلا عن مسلك الظّهور يقولون هذا تناسبه إمامة الظّهور، ويضعون لإمام الظّهور شروطا معينة، وهذا لا يتناسب مع حقبة الدّفاع أو الشّراء، فلكلّ مسلك إمامة تخصّه، وأمّا مسلك الكتمان فهذا عايشه بصورة أكبر إباضيّة المغرب، فلمّا سقطت إمامة الظّهور في تيهرت على يد العبيديين في 296هـ؛ أصيب الإباضيّة بالتّشريد والإيذاء، وبحرق مكتباتهم كالمعصومة في تيهرت، ولم تكن لديهم مؤسّسة تربط بينهم وتحافظ على وجودهم المتناثر في أريغ وجربة والجريد ونفوسة وميزاب وغيرها، وتنظّم حياتهم الاقتصاديّة والاجتماعيّة والدّينيّة، فكانوا مهدّدين بالاضمحلال؛ لأنّ غياب الكيان السّياسيّ يؤدّي إلى اضمحلال الجماعات المنتمية إليه، ففكّر الإباضيّة في نظام يحمي كيانهم في هذه اللّحظة فاهتدوا إلى نظام العزّابة، وقد انظلقت فكرة العزّابة من جزيرة جربة من قبل أبي زكريا فصيل بن أبي مسور (ت: قبل 440هـ/ 1048م) وتلميذه أبي عبد الله محمّد بن بكر بن أبي بكر الفرسطائيّ (ت: 440هـ/ 1049م)، والثّاني من نفوسة، ودرس في الجامع الكبير، وانتقل إلى منطقة أريغ، فأرسل إليه أبو زكرياء رسالة مع ابنية زكرياء ويونس، وطلب منه أن يعتكف ويجلس في غار أريغ، وأن يفكّر مع تلاميذه في نظام يحفظ الإباضيّة من التّفكّك والتّهوّر، من هنا نشأ نظام العزّابة كنظام سياسي بديل في مرحلة الكتمان، وهذا لاعلاقة له بالنّظام السّريّ، أو الحركات السّريّة، فقط هو نظام ينظّم المجتمع الإباضيّ في هذه الحقبة الزّمنيّة، وهو نظام جماعيّ وليس نظاما فرديّا، له دور في تحقيق النّهضة العلميّة والفكريّة، فجلّ ما كتبه الإباضيّة في المغرب كتب في القرن الخامس والسّادس والسّابع والثّامن الهجريّ، وهذا تزامن مع نظام العزّابة.

**الإباضيّة في جربة بين الو اقع والتّأريخ**

في أول صباح يوم الأحد 7 ربيع الثّانيّ 1445هـ/ 22 أكتوبر 2023م كان لي موعد مع الفقيه والمحقّق ساسي بن يحياتن، وسبق الإشارة إليه، ووجدته ينتظرني عند المكتبة الوسائطيّة في حومة السّوق، ولمّا تفتح بعد، حيث ننتظر الدّكتور زهير تغلات لفتحها، فحدث بيننا حديث عن عمان وبعض الجوانب الفكريّة والفقهيّة والدّعويّة، والتحق بنا الشّيخ محفوظ دحمان، ثمّ وصل تغلات على الثّامنة والنّصف؛ لأنّ المكتبة تفتح في هذا الوقت، فسجلتُ حلقة يوتيوبيّة قصيرة مع الشّيخ ساسي لارتباطنا بموعد في التّاسعة، وكانت بعنوان "الإباضيّة في جربة بين الواقع والتّأريخ".

حيث يرى الشّيخ ساسي أنّه عندما جاء سلمة بن سعد الحضرميّ (ت: بعد 135هـ) إلى شمال أفريقيا سنة 102 أو 103هـ تقريبا، وقام بنشر الفكر الإباضيّ في هذا المكان، ثمّ أرسل وفدا من حملة العلم إلى أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة (ت: 150هـ) في البصرة، ثمّ رجعوا وبدأوا تأسيس الدّول، ومنها في طرابلس سنة 140هـ، ثمّ قامت بعد ذلك الدّولة الرّستميّة في تيهرت سنة 160هـ، فنشرت هذه الدّولة الفكر الإباضيّ بشكل أوسع، وقد وجد الفكر الإباضيّ حينها مع الفكر الصّوفيّ رواجا كبيرا لدى سكان شمال أفريقيا، وانتشار الفكر الإباضيّ لما يمتاز به من قيمة المساواة بين جميع الأجناس، واهتموا بالجانب التّطبيقيّ لهذه القيمة، ولم يتوقفوا عند الجانب التّنظيريّ، وقد امتدّ انتشار الفكر الإباضيّ إلى شمال الجزائر وجنوبه، وفي تونس حتّى منطقة السّاحل، ومنطقة القيروان، وكلّ الجنوب التّونسيّ، كذلك في طرابلس، وجبل نفوسة، وزوارة، والمناطق القريبة من طرابلس.

ثمّ لاحقا حورب هذا الفكر من الدّول المسيطرة في شمال أفريقيا، وأولها الدّولة الفاطميّة، ثمّ الدّولة الزّيديّة (الأدارسة)، لما يشكلونه – في نظرهم – من خطورة فكريّة عليهم؛ لأنّ الإباضيّة ينادون بالقيم الإسلاميّة أو الكونيّة الكبرى كالمساواة والعدل والحريّة، وآخر من حاول القضاء على الإباضيّة الدّولة العثمانيّة، وقد وصلت إلى جربة، رغم أنّ الجربيين ساعدوا درغوث باشا (ت 972هـ/ 1565م) ضدّ القائد الصّقليّ أندريا دوريا (ت 968هـ/ 1560م)، ولولا

الجربيّون لكانت جربة اليوم مسيحيّة مثل صقليّة، وقد انتصروا على أعتى قوّة صليبيّة سنة 960هـ، وقد احتلوا جميع ثغور شمال أفريقيا عدا جربة انكسروا فيها، ومع هذا قابلهم درغوث باشا بجزاء سنّمار، ومارس ضدّهم الاضطهاد، وعلى هذا انحسر الوجود الإباضيّ في مناطق الجنوب التّونسيّ حتّى القرن التّاسع عشر الميلاديّ، فانحسروا من الشّمال التّونسيّ ومن السّاحل ومن الوسط التّونسيّ، وفروا إلى الأطراف والجزر ورؤوس الجبال والصّحاري، فانحسروا بشكل عام في جربة في تونس، وجبل نفوسة وزوارة في ليبيا، وفي صحراء بني مصعب أو ميزاب في الجزائر، وفي هذه الأماكن حافظوا على مبادئهم وقيمهم وتراثهم، ومنها جربة الّتي نحن فيها، وهي جزيرة يحدّها البحر من كلّ جانب.

وبعد القضاء على الدّولة الرّستميّة على يد الفاطميين في شمال أفريقيا سنة 296هـ – كما أسلفتُ – قرّر الإباضيّة لظروف تختلف عن المشرق وعمان عدم تأسيس دولة، واتّجهوا إلى تنظيم مجتمعهم بطريقة أخرى، فاقترح الشّيخ أبو يحيى زكرياء بن فصيل بن أبي مسور الجربيّ (ت: قبل 440هـ/ 1048م) على تلميذه أبي عبد الله محمّد بن بكر بن أبي بكر الفرسطائيّ (ت: 440هـ/ 1049م)، وأصله من فرسطاء من جبل نفوسة، وجاء إلى جربة ليتعلّم في الجامع الكبير، وأصبح من التّلامذة المقربين عند أبي زكرياء، لما يتمتع من ذكاء ونباهة ونبوغ، لهذا اقترح عليه أن ينشئ نظاما يحكم كيان الإباضيّة في شمال أفريقيا، وأرسل إليه ولديه يونس وزكريا، وابن أخته يحيى، فطلبوا من أبي عبد الله أن يؤسّس نظاما، فأسّس نظام العزّابة سنة 409هـ، وسمي بالنّظام التّسعيّ، وسمي أيضا بنظام السّيرة البكريّة المسوريّة؛ لأنّ الاقتراح جاء من أبي زكريا فصيل بن أبي مسور، والتّنفيذ جاء من أبي عبد الله محمّد بن بكر، وأصبح لاحقا شيخ العزّابة بمثابة الإمام العادل، كما أصبح باسطا نفوذه على الجنوب الجزائريّ، وعلى الجنوب الجزائريّ إلى السّاحل، وعلى جبل نفوسة بأكمله، وكان شيخ العزّابة يعتني بالنّاحية الدّينيّة والثّقافيّة والتّربويّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة والسّياسيّة، حيث يقيم العلاقات مع مختلف الدّول في شمال أفريقيا وحتّى الأندلس، كما بسط نفوذه على طرق التّجارة الصّحراويّة الّتي تربط بين دول أفريقيا في جنوب الصّحراء وشمالها، كما تربط بينها وبين الأندلس، فأقامت

علاقات مع الدّول الصّنهجيّة، ومع الدّولة الحفصيّة في تونس، حتّى أنّ الحفصيين بعثوا قاضيا إلى جربة، ويسمى ابن ناجي القيروانيّ (ت 838هـ)، فبقي سنتين فيها، وطلب الانتقال منها؛ لأنّه استوحش في عمله، حيث لا يأتيه النّاس للتّقاضي؛ لأنّهم يذهبون إلى العزّابة، فالعزّابة كانت تتولى التّقاضي وجميع شؤون البلاد.

وكان أنفس ما في هذه التّجارة الذّهب، حتّى أنّ المستشرق الفرنسيّ جولدن نافيس الّذي اهتم بالدّراسات الإباضيّة قام بتجربة دقيقة جدّا، حيث وزن الدّينار الأمويّ في الأندلس، فرأى أنّ هذا الدّينار يرتفع وزنه عندما تكون طرق التّجارة تحت سيطرة العزّابة، وينخفض وزنه عندما يفقد العزّابة السّيطرة على طرق التّجارة، فيكثر قطّاع الطّرق والسّرقات، وبالتّالي تقل تجارة الذّهب.

وعندما بدأت الأطماع الصّليبيّة على شمال أفريقيا، خصوصا على جربة، وكما يقول القائد الصّقليّ إنّ جربة تتوسط البحر الأبيض المتوسط، ويقول أيضا: لو قسنا المسافة من الإسكندريّة إلى جربة، ومن جربة إلى سبتة؛ لوجدناها واحدة، وقد قام الصّليبيون بثماني حملات لاحتلالها، يحتلونها أحيانا، فيستنجد الجربيون بالحفصيين في العاصمة تونس، فينجدونهم أحيانا، وأحيانا لا يقومون بذلك، لهذا اعتمدوا على قوّتهم الذّاتيّة، فطردوا الاستعمار الإسبانيّ والصّقليّ عدّة مرات، ودفعوا ثمنا باهضا من حيث الأرواح والممتلكات، وآخر حملة صليبيّة كانت 1960 م قام بها الإسبان والصّقليون، واحتلوا ثغور أفريقيا من وهران غربا، إلى طرابلس شرقا، فاحتلوا وهران والمرسى الكبير وبجاية وصفاقس وسوسة وحلق الواد وطرابلس، وعاثوا فيها فسادا، وتركوا جربة كلقمة سائغة لهم، وكقاعدة بحريّة هامّة، ولمّا جاء الإسبان والصّقليّون إلى جربة، ومعهم مائة وعشرون سفينة حربيّة، وكان الجربيّون قلّة مستضعفة، فطلبوا من إخوانهم في جبل نفوسة وميزاب أن يساعدوهم بالدّعاء والتّضرّع وقراءة القرآن ليلة الجمعة، فنصرهم الله، وهزم الصّليبيون على يد الجربيين، وانكسرت شوكتهم، وكانت دافعا معنويّا لبقيّة الثّغور في صفاقس وسوسة وتونس وطرابلس ووهران، حيث لمّا سمعوا بهزيمتهم في جربة؛ تحرّروا، هذه الحملة لا تقل أهميّة عن الحملات الصّليبيّة

الأخرى الّتي وقعت في المشرق، والّتي تصدى لها صلاح الدّين الأيوبيّ (ت: 589هـ/ 1193م)، والحملة الأخيرة كانت بقيادة شيخ العزّابة أبو النّجاة يونس أبو النجاة يونس بن سعيد بن يحي ابن تعاريت الجربيّ (ت حوالي 917هـ).

وللأسف بعدما ذهب العزّابة أصبحت فوضى خصوصا في الإفتاء، كما توجد فوضى فقهيّة، وفي جربة للأسف لا يوجد مرجع علميّ للإفتاء، نعم، نرجع إلى الشّيخ فرحات الجعبيريّ – أمدّ الله في أنفاسه – بيد أنّه أكثر تخصّصا في العقائد والحضارة من الأحكام الفقهيّة، وللأسف بعض علمائنا هنا ممّن درس في عمان تأثروا ببعض جزئيات الفقه العمانيّ، وأنت خبير بأنّ هذه الجزئيّات ذات خصوصيّة عمانيّة لا تتناسب مع خصوصيّتنا، فلنا خصوصيّاتنا في المغرب نحتفظ بها، ونبني عليها، وبما أنّه لا توجد لدينا مرجعيّة علميّة شخصيّة؛ هنا نعود إلى أهم مرجع لدينا في الفقه الإباضيّ، وهو كتاب الإيضاح للشّماخيّ، فهود عمدة الفقه الإباضي في المغرب، وبنت عليه كتب الفقه من بعده، ككتاب النّيل للثميني، وشرح النّيل لقطب الائمّة أطفيّش، وأمّا القضايا المعاصرة فنجتهد فيها، ونلتجئ إلى مرجعنا في عمان الشّيخ أحمد بن حمد الخليليّ، ونستنير به في هذا، لكي نحفظ وحدتنا وشملنا.

في جربة عندنا تأثر بمدرسة الشّيخ بيوض (ت: 1401هـ/ 1981م)، وأنا من تلاميذ الشّيخ بيّوض، ومن أعلام هذه المدرسة أيضا الّذين أثروا فيّ الشّيخ أبو اليقظان (ت: 1393هـ/ 1973م)، والشّيخ عدّون (ت: 1425هـ/ 2004م)، والشّيخ المرموريّ (ت: 1432هـ/ 2011م) رحمهم الله جميعا، كما تعرفت بصورة أقل على الشّيخ البكريّ (ت: 1406هـ/ 1986م)، والشّيخ بيّوض كان له دور كبير في الجانب الإصلاحيّ في جربة، وإن كان الفكر الإصلاحيّ انطلق من جربة مع ذهاب الشّيخ عمّي سعيد الجربيّ (ت: 927هـ/1521م) لإحياء ميزاب خصوصا في غرداية في القرن العاشر الهجريّ، وتأريخيّا الجزيرة أكثر انفتاحا من الصّحراء، وقد جاء الشّيخ بيوض إلى جربة عام 1972م، وقد جاء شخصيّا لمناسبة زواجي، وكان معه مجموعة من المشايخ والأعيان.

ولا أرى شخصيّا هناك تصوّف إباضي، هناك الزّهد، والانقطاع إلى الله تعالى، حتّى الّذين كتبوا عن الشّيخ إسماعيل الجيطاليّ (ت: 750هـ/ 1349م)، فكلمة تصوّف غريبة عن

الفكر الإباضيّ، وهذا رأيي وقد أكون مخطئا، حتّى الشّيخ سعيد بن تعاريت (ت: 1356هـ/ 1936م) يقول: أثر التّصوّف بدخول الأتراك إلى جربة، مثل قطب الرّحى، وقدّس الله سرّه، وقدّس الله ضريحه، فهذا ألفاظ دخلت إلينا وهي غريبة عن الفكر الإباضيّ، وقد أدخل الأتراك إلينا فكرا غريبا، وهو ما يسمّى بالزّاوية أو الزّوايا، والّتي تجمع طريقة صوفيّة، وأدخلوها في جربة، ولها تأثير سلبيّ للأسف.

وبعد عام 2011 حدث انتشار للوهابيّة بشكل كبير في جربة، خصوصا بعد الثّورة، وللأسف كان هناك من السّياسيين عندنا في تونس من يشجعها، وهدفها القضاء على الإباضيّة في جربة، وبفضل الله وحمده، تماسك الجربيون، وتمكنوا من صدّ هذا المدّ، نعم، أثر فينا، وأخذ بعض شبابنا، ومنهم من تحوّل إلى التّطرّف، وهوس قتل الآخر، ومنهم من أخذ مساجدنا، واعتدوا على علمائنا وقبورنا، ومع هذا، خرجنا بأخف الأضرار والحمد لله.

كان الإباضيّة منتشرين في تونس في جربة والحامّة والجريد والجنوب التّونسيّ بصفة عامّة، وفي تمّر الّتي تسمى الآن بني خداش.

والوجود التّونسيّ الإباضيّ في مصر بدأ مع انتقال الشّيخ أبي خزر يغلا بن زلتاف (ت: 380هـ / 990م)، والّذي أخذه المعزّ لدين الله الفاطميّ (ت: 365هـ/ 975م) عندما انتقل من المهديّة بتونس لتأسيس القاهرة الفاطميّة، فأخذه كرهينة حتّى لا يثور على خلفه في تونس، وقال أبو خزر كلمته الشّهيرة: "تمنيت لو أنّ عشرين شابّا إباضيّا يأتون إلى مصر للدّراسة وأنا أتكفل بنفقتهم، ثمّ يعودوا إلى بلادهم"، هذه الأمنية ستتحقّق في نهاية القرن التّاسع الهجريّ وبداية القرن العاشر الهجريّ عندما ذهب الجربيون إلى مصر كتجار في البداية، وذلك عندما ضيّق عليهم الأتراك في جربة، فوجدوا متسعا في الجزائر وطرابلس في ليبيا وفي مصر، وفي الآستانة في تركيا، وفي مصر بدأ النّشاط التّجاريّ، ومن عادة الجربيين عندما يهاجرون إلى أيّ مكان يؤسّسون دار الجماعة، يأوي إليها الجربيون ليكونوا منتظمين ومتواصلين، واشتروا في مصر وكالة الجاموس، أو وكالة البحار، لأنّ أول من أسّسها وأوقفها الشّيخ عبد العزيز البحار الخيريّ من أجيم، وكان تاجر غلال وخضار في مصر، ثمّ اتّسعت بعد ذلك، ثمّ أقيمت حوله

الأوقاف، وتسابق النّاس للوقف له حتّى النّساء، من أمثال السّيّدة آسية الشّارونيّ الّتي أوقفت له شيئا من العقارات، ووكالة الجاموس شجّعت الجربيين للتّجارة في مصر، وكانوا ينقلون بضائعهم من زيت وفخار وألبسة وغيرها عن طريق السّفن الشّراعيّة إلى الإسكندريّة، ومنها توزع في مصر.

كما شجعت الوكالة إلى انتقال الطّلبة إلى الأزهر، وهنا أذكر لك طالبين: الأول المعروف بالمحشي، وهو الشّيخ أبو عبد الله محمّد بن عمر بن أبي ستة (ت 1086ه)، حيث ذهب إلى مصر طالبا، ولمّا أخذ نصيبه من العلم في الأزهر كدراسة عامّة، وفي وكالة الجاموس في الفقه الإباضيّ، لهذا أصبح مدرّسا في الأزهر ووكالة الجاموس معا، وعرف في الأزهر بالبدر أبي ستة، وبقي في مصر ثمانية وعشرين عاما، ثمّ رجع إلى جربة عام 1068ه، والثّاني أبو حفص عمر بن رمضان التّلاتيّ (ت 1199ه)، وكان طالبا، ثمّ أصبح مدرّسا في وكالة الجاموس، وفي الأزهر، وفي جامع المؤيد، وفي جامع ابن طولون، ولكثرة هجرة الجربيين إلى مصر، حتّى وصل عددهم بالآلاف؛ أصبح لهم نظام قريب من نظام العزّابة، وكان شيخهم منهم، يطلق عليه شيخ التّجّار، أو شيخ الجربيين، أو شيخ المغاربة، وكان حلقة وصل بين الجرّبيين والسّلطة في مصر، حيث كان السّلطة في مصر لا تتدخل في شؤون الجربيّين، ويحلّون مشاكلهم بأنفسهم، لهذا كان أول سفير للدّولة التّونسيّة الحديثة إلى مصر، ويسمّى أيضا وكيلا، هو الشّيخ سعيد بن قاسم بن سليمان الشّماخيّ، والأرشيف التّونسيّ يعجّ برسائله وبتقاريره الّتي كان يرسلها إلى الحكومة التّونسيّة، وكان الجربيون يمتلكون تقريبا غالب منطقة ابن طولون، والّتي سميت لاحقا بمنطقة الحسين، وكانوا يمتلكون العقارات والمحلّات، ويمتلكون المزارع الفلاحيّة، وكان العديد منها وقفا على الطّلبة الإباضيين من جربة وميزاب وجبل نفوسة.

انقسم الإباضيّة بعد وفاة الإمام الرّستميّ عبد الرّحمن بن رستم (ت: 171ه)، مؤسّس الدّولة الرّستميّة، جاء بعده ابنه عبد الوهاب (ت: 208ه)، فأنكر عليه بعضهم وراثة الإمامة؛ لأنّ من مبادئ الإباضيّة عدم التّوريث، في حين بايعته مجموعة أخرى لأفضليته، فسمي هذا الفريق بالوهبيّة، نسبة إلى عبد الوهاب بن عبد الرّحمن بن رستم، وليس إلى عبد الله بن وهب

الرّاسبيّ (ت 38هـ)، ولم تسم بالوهابيّة، حيث الفريقان يعترفان بعبد الله بن وهب الرّاسبيّ، وسميت الفرقة الأولى بالنّكار، وهم يتقزّزون من تسميتهم بالنّكار، وقد كتبتُ مقالا استفزازيّا عن قصد، وعنوانه: أين ذهبت المصادر النّكاريّة في جربة؟، فجاءني أحدهم منتقدا، فقلتُ هذا ما أعرفه، وإذا لديكم مصادر أو مخطوطات تثبت عكس ذلك فأفيدوني بها، فأحضروا بعض المخطوطات، وهم يسمون أنفسهم مستاوة نسبة إلى قبيلة مستاوة، فنسبتهم مستاوي وليس نكاريّا، والانقسام بين الطّائفتين سياسي وليس دينيّا، وحاول كلّ فريق أن يجد لنفسه متكأ دينيّا، فاتّجه المستاوة إلى عبد الله بن يزيد الفزاريّ (ت: تقريبا 179هـ)، العالم الجليل الكبير، والّذي أول من ألف في العقائد الإباضيّة، وفي الفقه اتّبعوا ابن عبد العزيز وأبي المؤرج وآخرين، والإمام أفلح (ت تقريبا 250هـ) يقول فيهم: "هؤلاء الّذين أسّسوا هذا الاتّجاه نأخذ بآرائهم إلّا فيما خالف المبادئ"، لأنّ الخلاف سياسيّ وليس عقديّا، وللأسف هذه التّفرقة قسّمت الإباضيّة في شمال أفريقيا، وقسّمتهم أيضا في جربة وجنوب تونس خصوصا؛ لأنّ في ميزاب لم توجد، وفي نفوسة بمقدار أقل، ولو اتّحد الطّرفان لتمّ القضاء على الدّولة الفاطميّة، عندما ثار عليها أبو يزيد مخلد اليفرني (ت: 336هـ/ 947م) في 330هـ تقريبا، ومع الأسف كتب السّير عندنا تحاملت على جماعة مستاوة، وقالوا في أبي يزيد مخلد ما لم يقل مالك في الخمر، لهذا يجب قراءة كتبنا قراءة نقديّة وليست قراءة تقديسيّة، ولمّا قرأت كتبنا قراءة نقديّة وجدت التّحامل كبيرا، وأبو يعقوب الوارجلانيّ (ت: 570هـ / 1175م) صاحب الدّليل والبرهان يقول: "أقرب النّاس إلينا أبعدهم عنّا"، أي أبعدناهم بالسّياسة والكتابة، وقد اكتشف بعض مؤلفات ومخطوطات المستاوة، وستنشر قريبا بعونه تعالى، وقد رأيت فيها أنّ هذه الضّجّة لا أساس لها، وقد كان المستاوة ينسخون مخطوطات الإباضيّة، ولو كانوا يخالفونا لما نسخوا مخطوطاتنا، وهم يترحمون على علمائنا، وقد كان الجفاء من الوهبيّة وليس مستاوة، وقد ظلمهم التّأريخ كثيرا، نعم نختلف في بعض الجزئيات، كما هو واقع بين الوهبيّة أنفسهم، والكل متفق على المسائل الكبرى.

وجربة انقسمت إلى جزء شمالي غربي وهبيّ، وجزء جنوبي شرقي مستاوي، وبسبب التّضييق عليهم تحوّلوا إلى مالكيّة في الابتداء، ولهذا أتلف المالكيّة مخطوطات آبائهم المستاوية، فأتلفت وأحرقت أغلب مخطوطاتهم، والآن حصلنا على بعض مخطوطاتهم كما أسلفنا، خصوصا مخطوطات أبي يزيد الفزاريّ، ونشر الدّكتور عبد الرّحمن السّاليّ جزءا منها، وسأقوم بعونه تعالى قريبا بنشر جزء آخر.

**غار مجماج في جربة ومسجد بن بيان**

في صباح الأحد 7 ربيع الثّاني 1445هـ/ 22 أكتوبر 2023م قرب العاشرة صباحا زرت غار مجماج في جربة، وبجنبه بن بيان الّذي بني في القرن السّابع عشر الهجريّ بصحبة الشّيخ محفوظ بن دحمان، وفي الطّريق مررنا بالحيّ اليهوديّ، أو الحارة الصّغيرة، وفيه كنيس الغريبّة، كما مررنا على منزل الشّيخ فرحات الجعبيريّ، وهو من أهم الرّموز الدّينيّة الإباضيّة في جربة وتونس عموما، وزرته عام 2016م في مسجد الهتاتيّ، وهو المسجد الإباضيّ الوحيد في العاصمة تونس، كما زرته في العام نفسه في جمعيّة "جربة تواصل" بالعاصمة تونس، كما زرنا أيضا جامع الباسيّ وفيه مسجد ومصلّى صيفيّ ومكتبة وضريح وغرف للتّدريس، وهو يعود إلى القرن الثّاني عشر الهجريّ، بناه أبناء الحاج يحي الباسيّ محمّد وسالم وعثمان.

ولمّا وصلنا إلى غار مجماج تحدّث عليّ بوجديديّ قائلا: إنّ إمجماج – أمجماج – أمجمجة معناه اختلط واجتمع باللّغة الأمازيغيّة القديمة، وعمارة الغار مثل العمارة التّقليديّة في الجنوب التّونسيّ، تقوم على العناصر الثّلاثة: البساطة والوظيفيّة والتّقشف، لهذا جميع المواد والخامات الموجودة هي من المنطقة نفسها تجنّبا للمباهاة والسّرف، والغار محفور في الصّخر أو التّراب، ولا يوجد فيه دعاميات، ويرجع إلى مرحلة الكتمان عند الإباضيّة، وبعدا عن عين السّياسة، ولأجل الهدوء في الكتابة، وتوفر مناخ من البرودة بعدا عن حرارة المنطقة خصوصا في فصل الصّيف، وفيه كتبت أكبر موسوعة في الفقه الإباضيّ القديم، أي ديوان الأشياخ في نهاية القرن الرّابع الهجريّ، وكتبه سبعة من كبار الفقهاء والعلماء الإباضيّة حينها، وكانوا من جربة ونفوسة وميزاب، ولا زال الدّيوان حتّى الآن قيد التّحقيق، والكتاب شامل

للعبادات والمعاملات وما له علاقة بالشّأن الإباضيّ في تلك المرحلة، وأمّا مدّة الكتابة فلا يوجد في المصادر ما يدلّ عليها، ولكن أتصوّر مكثوا لفترة طويلة؛ لأنّ الدّيوان متعدّد الأجزاء، ويحتاج إلى فترة لإنجازه، ويوجد بعض المؤلفات الأخرى في فترة الغار، ولكنّها ليست بحجم الدّيوان في ضخامته ومكانته.

وأضاف زهير تغلات: أنّ الغار تأسّس في نهاية القرن الرّابع وبداية القرن الخامس الهجريّ، والغار حفر في خمسة أمتار تحت الأرض، ومدونة الأشياخ فيها حوالي ألف صفحة، ويوجد منه مخطوط خطّ بالمكتبة البارونيّة في جربة، وتوجد نسخ أخرى في ميزاب وعُمان، ويشتغل على تحقيقه الآن مجموعة من الباحثين، وتوافق بناء الغار مع الفترة الّتي تأسّس فيها نظام العزّابة، والغار أصبح معلما مرتبطا بهذا الدّيوان، ولا يزار لأجل التّقديس أو التّبرك أو التّوسل؛ لأنّ هذه المفاهيم بعيدة عن الفكر الإباضيّ بشكل عام.

ثمّ ذهبنا إلى المسجد الّذي بني في مكان الغار، وهنا يقول زهير تغلات: إنّ مسجد بن بيان نسبة إلى عائلة بن بيان، أسّسه الشّيخ عليّ بن سالم بن بيان، وهو من علماء الإباضيّة الّذين درسوا في مصر في وكالة الجاموس، وقد بني في نفس موقع الغار في القرن الحادي عشر الهجريّ، السّابع عشر الميلاديّ، وبني بنفس أدوات المنطقة، وبشكل بسيط، ويحفظ البرودة مقارنة بالخارج في الصّيف، ويكون دافئا في الشّتاء، وهو مبنيّ بالحجارة، عريض الجدران، ويوجد فيه في الخارج مصلّى صيفي، ومنزل العائلة قريب من المسجد، وكذا مكان زروعهم.

**مسجد لوطى: المسجد الّذي بني تحت الأرض**

بعد زيارة غار مجماج توجهت في الحادية عشرة صباحا لزيارة مسجد لوطى بجربة، ويقع في مكان منعزل أشبه بدير الرّهبان، يقول زهير تغلات: جامع لوطى أو جامع البرداوي، ومعنى لوطى أي الأسفل، ويعود المسجد على الأغلب إلى ثقافة الكتمان عند الإباضيّة، والمسجد أعدّ للعبادة والتّدريس، كذلك لكون البيئة في جربة طقسها حار؛ لهذا البناء تحت الأرض لكي يحافظوا على البناء المعتدل، وأصل المسجد هو البناء المحفور، ثمّ أضيفت حوله

إضافات أضيفت متأخرة في القرن السّابع عشر والثّامن عشر، وما يميز المسجد أنّه محفور في الصّخر، وفيه أماكن مخصّصة لجلوس الإمام وقت التّدريس.

ومع مرور الوقت ألحق بالمسـجد ملحق بالأعلى، فيه مكان مرتفع للأذان، وفي مصـلّى صيفيّ، ثمّ مررنا سريعا لزيارة ضريح أبي زكريا فصيل بن أبي مسور (ت: قبل 440هـ/ 1048م)، والّذي ارتبط اسمه بحلقة العزّابة لألف عام حتّى الآن.

**جامع أبي مسور**

وبعد زيارة مسجد لوطى صباح الأحد ذهبت في حوالي الثّانية عشرة والنّصف صباحا إلى زيارة جامع أبي مسور، برفقة الدّكتور زهير تغلات، والشّيخ محفوظ دحمان، والجامع بني في القرن الثّالث الهجريّ، وتحوّل مبكرا إلى مدرسة كبيرة، وخارجه المقبرة البارونيّة وفيها قبر الإمام إسماعيل بن موسى الجيطاليّ (ت: 750هـ/ 1349م)، والمشهور في الأدبيّات الإباضيّة مشرقا ومغربا بكتابيه قناطر الخيرات وقواعد الإسلام، والأول أقرب إلى إحياء علوم الدّين للإمام أبي حامد الغزاليّ (ت: 505هـ/ 1111م)، والثّاني أقرب إلى بداية المجتهد ونهاية المقتصد لابن رشد (ت: 595هـ/ 1126م)، بيد أنّ الجيطاليّ لم يتمّه، وانتهى بباب النّذر والأيْمان، وقبر الشّيخ سعيد البارونيّ (ت 1281هـ/ 1865م) صاحب المكتبة البارونيّة بجربة، ولا زالوا يدفنون فيها حتّى الآن.

والمسجد لا زال محافظا على عمارته القديمة، وفي البداية أخبرني زهير تغلات أنّ المسجد كان مرتكز الإباضيّة الوهبيّة بجزيرة جربة، وتحوّل إلى مدرسة كبيرة يدرّسون فيها الفقه، وعلم الكلام، والسّير وغيرها، وفيه مرفقات لسكن المعلمين والطّلبة، وقد تخرّج كبار علماء الإباضيّة في جربة من هذا المسجد، واستمر التّدريس فيه إلى أواخر القرن التّاسع عشر الميلاديّ 1898م.

عند مدخل الدّخول من بوابة سرح أو فضاء المسجد توجد قاعة للجلوس، يجتمع فيها النّاس لتداول الحديث فيها، ويوجد في داخله مصلّيات صيفيّة، ومحاريب عديدة بالخارج، وهي إشارة إلى الحلقات الّتي يجتمع فيها الطّلاب حول المعلّم، إذ لكلّ حلقة لها محرابها، يجلس المعلّم

داخل المحراب، ويتحلّق حوله الطّلاب حسب نوعيّة درس الحلقة، كما توجد آبار لتجميع مياه الأمطار، واستغلالها، وهي عادة منتشرة لديهم؛ لأنّ جربة جزيرة جافّة، ويحتاجون فيها إلى المياه العذبة.

وعند مدخل بوابة قاعة المسجد توجد لوحة كتب فيها: "بسم الله الرّحمن الرّحيم، جامع أبي مسور، شرع في بنائه أبو مسور اليهراسنيّ أواخر القرن الثّالث الهجريّ، ثمّ أكمله ابنه فصيل زكرياء خلال منتصف القرن الرّابع الهجريّ، وجعله مدرسة علميّة"، فالّذي أمر ببنائه أبو مسور اليهراسنيّ (ت: 358هـ/ 969م)، واسمه يسجا بن يوجين اليراسنيّ، ويسجا اسم أمازيغيّ معناه استقام، ولا زال المسجد يصلّى فيه، وأقيمت الجمعة فيه مؤخرا، وتكثر فيه السّواري، ولا زال قائما على بنائه الطّينيّ، والمحراب والنّقوش في المسجد لا زالت قديمة، كما حافظوا على الميضأة والبئر المرتبطة بها منذ القدم.

وفي داخل المسجد التقيتُ بمؤذن وحفيظ الجامع: محمّد الحبيب البارونيّ، وأخبرني أنّ آخر مؤذن زياد أبو مسور، وإمام الجمعة: سهيل بن شامان، وإمام الخمس – أي الصّلوات الخمس -: محسن أبو مسور، وفي هذا المسجد تقام الجمعة الثّانية، حيث من سنّتهم يقيمونها في وقتين: في أول وقتها بعد الزّوال، وفي آخر وقتها عند العصر؛ لأنّ النّاس هنا يرتبطون بالعمل، وليس الجمعة وقت إجازة، فلهم سعة في تأديتها حسب ظروفهم العمليّة، ولا يرون صلاة الجمعة واجب لعدم توفر شروطها، ومنهم لا يؤدّيها، وذكروا لي أنّ الشّيخ المؤرخ سالم بن يعقوب (ت: 1411هـ/ 1991م) من كبار علماء جربة المتأخرين لم يكن يؤدّي صلاة الجمعة، أو لا يرى وجوبها وعدم توفر شروطها.

وأخبرني المؤذّن أنّهم قديما يدرّسون في الجامع أو المسجد الفلك والحساب والتّطبيب وبعض العلوم الأخرى، والطّلاب يتجاوزون الخمسين، وبعضهم من نفوسة والجبل وميزاب.

**مغادرة جربة**

مكثت في جربة ثلاث ليالي، ومع قصرها بيد أني استفدت الكثير، وكنت أطمع في المزيد، والالتقاء باليهود وزيارة الكنس، وبالمالكيّة، ومع هذا، ذهبت فجرا للصّلاة في أحد مساجدهم في جربة، وقد أذّن رجل كبير في السّنّ، حيث وصلت قبل الأذان، فانتظرت إلى الإقامة، ولم يأتِ أحدٌ غيري، فطلب منّي أن أصلي به، فاعتذرت منه لاختلاف بعض تقاليد الصّلاة، فصلّى بنا، ومع هذا تداخلت مع المالكيّة في عموم تونس، وفقههم هناك يتقارب مع إباضيّة المغرب، والمذهب المالكيّ مذهب فقهي متقدّم كالإباضيّة.

كما زرت مجلس اجتماع الشّباب مع الشّيخ ساسي بن يحياتن، يسألونه في الدّين، ويناقشونه حول بعض القضايا الاجتماعيّة والدّينيّة، كقضيّة تبرج المرأة في الأعراس، وظهورها متبرجة أمام الرّجال، وهم لمّا يتحدّثون ويناقشون يرفعون أصواتهم بشدّة، كحالة الغاضب عندنا، وهذا طبيعيّ لديهم، ثمّ ذهبنا لصلاة المغرب، ووجدت فقههم في جربه عموما أكثر تيسيرا كسعة وجوب صلاة الجماعة، وسعة جمع الصّلاتين للحاجة، ولا يكرّرون صلاة الجماعة، ويكتفون بالجماعة الأولى، ويبدو أنّ لهم في الظّهر جماعتان، في أول الوقت وآخره، تيسيرا للتّجار، ولأصحاب الأعمال، وهذا وجدته في العاصمة تونس أيضا، وفي جامع الزّيتونة، وقد صلّيت فيه الظّهر في الوقت المتأخر، ثمّ يؤذن للعصر، وهو أقرب إلى ما يسمّى قديما بالجمع الصّوريّ.

وفي أول صباح الاثنين 8 ربيع الثّاني 1445هـ/ 23 أكتوبر 2023م، وبعد الفجر بفترة بسيطة، أتى الشّيخ محفوظ دحمان ليحملني إلى المطار، حيث أصرّ على فعل ذلك محاولا تثنيته لكبر سنه، وحالته المرضيّة، ولوجود سيارات الأجرة، ومع هذا رفض ذلك، فذهبنا معا إلى المطار، وهو معروف لديهم، يسلّمون عليه ويوقرونه، فلما أنّهينا إجراءات السّفر وأخذ الحقائب، رفض الذّهاب حتّى الصّعود إلى الطّائرة، فأخذنا حديث طويل عن ذكرياته خصوصا مع الشّيخ بيّوض رحمه الله، وبدايات حركة الإصلاح، وما يتذكّره عنها، ولمّا حان وقت الصّعود ودّعته وشكرته، راجيا زيارته لنا في عُمان، ومن جربة إلى تونس العاصمة عن طريق الطّيران

الدّاخليّ ساعة، فمكثت في العاصمة ليلة، وفي مساء الثّلاثاء 9 ربيع الثّاني 1445هـ/ 24 أكتوبر 2023م غادرت تونس راجعا إلى الوطن عن طريق الطّيران التّركيّ، والحمد لله تعالى.

## عيد الفطر في هانوي[74]

هانوي عاصمة جمهوريّة فيتنام الاشتراكيّة، وفيتنام دولة عريقة في التّأريخ، ولها حضورها في العصر الحديث، يحدّها من الشّمال والشّرق الصّين، ومن الغرب والجنوب لاوس وكمبوديا وتايلاند، وأصلها نام فيت، وفي عام 1804م غيّرت إلى فيتنام، وثقافة فيتنام أقرب إلى الصّين خلاف لاوس وكمبوديا وتايلاند فهي أقرب إلى ثقافة الهند، ويشترك مع فيتنام مينمار (بورما)، ومع هذا، فيتنام الشّماليّة أكثر انغماسا في الثّقافة الصّينيّة خلاف فيتنام الجنوبيّة.

والصّين لها حضور وتأثير تأريخيّ قديم جدّا في فيتنام، وفي العصر الحديث دعموا الشّيوعيين فيها ضدّ الاستعمار الفرنسيّ، والّذي كان باسم الحرب الهنديّة الصّينيّة الفرنسيّة، في محاولة لفرنسة فيتنام، وسميّت الهنديّة الصّينيّة لتداخل الثّقافتين الهنديّة والصّينيّة في المنطقة، وقد خاضت فيتنام حربين في القرن العشرين، أولاها ضدّ فرنسا منذ 1946م وحتّى 1954م، وثانيها ضدّ أمريكا منذ 1960م وحتّى 1973م، وبعد الحرب ضدّ فرنسا استقلّت مع لاوس وكمبوديا، كما أنّها بعد الحرب الثّانية أنهت الاحتلال الأمريكيّ.

والاستعمار الفرنسيّ على فيتنام يعود إلى ما قبل 1883م، وامتدّ إلى لاوس وكمبوديا، ونتيجة للصّراعات بين المعسكرين الشّرقيّ الشّيوعيّ المتمثل في الصّين خصوصا، والمعسكر الغربيّ الرّأسماليّ المتمثل في فرنسا ثمّ أمريكا لاحقا، أدّى إلى انقسام فيتنام إلى جزأين منذ 1954م، الجزء الشّماليّ وتدعمه الصّين خصوصا والاتّحاد السّوفييتيّ عموما، والجزء الجنوبيّ وكانت تدعمه أمريكا.

واستقلّت فيتنام عام 1945م على يد هو تشي منه (ت: 1969م)، فهو من أسّس الدّولة الفيتناميّة الشّماليّة، ويعتبر من أهم الرّموز النّهضويّة في الهند الصّينيّة، وكان يحلم في توحيد البلاد، بيد أنّه فشل في تحقيق حلمه الّذي سيتحقّق عام 1976م، وتكريما له سمّيت عاصمة الجنوب سايغون إلى هو شي منّه.

---

[74] موقع بدر العبريّ.

وعليه فيتنام اليوم هي دولة اشتراكيّة ذات نظام الحزب الواحد، والمتمثل في الحزب الشّيوعيّ الفيتناميّ، والتّشكيلة السّياسيّة في فيتنام معقدة ومتداخلة، ومتأثرة بنظريّة المنظّر الاشتراكيّ الرّوسيّ فلاديمير لينين (ت: 1924م)، فلديهم رئيس الحزب الشّيوعيّ، وهو أعلى رتبة سياسيّة في فيتنام، ويملك السّيطرة الكاملة على الدّولة، وعلى رأسها الجيش والإعلام، ثمّ تأتي الجمعيّة الوطنيّة، وكما جاء في ويكبيديا "مؤلفة من 498 عضوا، ومنتخبة لمدّة خمس سنوات"، وهي تختار رئيس الدّولة، ورئيس الوزراء، ورئيس القضاة، والنّائب العام، وهي تشريعيّة رقابيّة تنفيذيّة.

لا أريد الإسهاب كثيرا في الجوانب التّأريخيّة والسّياسيّة، فمنذ نهاية 2022م بدأتُ التّفكير في فهم المكوّن الثّقافيّ والدّينيّ في شرق آسيا لمشروع كتابيّ أشتغل عليه، خصوصا تايلاند ولاوس وكمبوديا ومينمار وفيتنام، لما تشكله من وحدة ثقافيّة كنت أظنّها أقرب إلى الثّقافة الهنديّة في جوّها البوذيّ المنبثق من الهندوسيّة، كما رأيتُه مثلا في تايلاند، وكتبت عنه مقالة مطوّلة بعنوان "عيد الفطر في هات ياي"، نشرت في ملحق جريدة عمان الثّقافيّ في عدده (28)، لكن في رحلتي هذه إلى هانوي اكتشفت عالما آخر، فهناك ثقافة صينيّة في جوّها الكنفوشيّ القديم مزاحمة للفكر البوذيّ، ليولد خلطة ثقافيّة منفتحة حتّى عند بعض من اعتنق الأديان الإبراهيميّة، أي المسيحيّة والإسلام، فلمّا سكنت مثلا في نزل تملكه امرأة في هانوي، وهو عبارة عن مكتب سياحيّ ملحق به خمس طوابق، في كلّ طابق غرفة واحدة فقط، فسكنت في الطّابق الثّالث، وصعودك إلى الغرفة عن طريق درج ضيّق، ولا يوجد فيه مصعد، وجدتُ في الأسفل تمثالا صغيرا يقدّمون له المشروبات والطّعام، تبركا ودعاء، كما هو الحال في تايلاند، وإن كان في هانوي بنسبة أقل كما سيأتي سبب ذلك، اللّافت أن مجسّم التّمثال ليس كعادة تماثيل بوذا القريبة من الثّقافة الهنديّة، بل يشبه تمثال كونفوشيوس، أو أقرب إلى ثقافة الصّين، فلمّا سألتُ صاحبةَ النّزل، ومن يعمل معها من الفتيات: مجسّم من هذا؟ تردّدن في الجواب لعدم اهتمامهنّ بمعرفة من يمثّل أو يجسّد، فقلت لهنّ مختبرا: هل هذا بوذا، فقلن: نعم، نعم، بودا، فهم لا ينطقون الذّال، قلتُ لهم متعجبّا: لكنّه أقرب إلى تمثال كونفوشيوس من بوذا.

اكتشفتُ في هذه الرّحلة أنّ سبعين إلى ثمانين بالمائة في فيتنام لا يعتنقون دينا معيّنا، ويُكتب في هويّاتهم أنّهم لا ينتسبون إلى دين، ولربما كان من في الجنوب أقرب إلى بوذيّة الهند، ومن في الشّمال أقرب إلى التّأثر بالمعتقدات الصّينيّة، ومنها الكنفوشيّة، ثمّ تراجعتا مع الثّقافة الشّيوعيّة الرّافضة من حيث الأصالة لهيمنة الدّين على الدّولة والاجتماع البشريّ، بيد أنّي في هانوي عاصمة فيتنام، وعاصمة الجزء الشّماليّ في السّابق، وتسمّى لوقين عند العرب قديما، وهي مدينة جميلة تجمع بين الأصالة والمعاصرة، وزادها جمالا ممشى النّهر الأحمر، والّذي يبدأ من يونان في الصّين وحتّى هانوي في فيتنام على خليج تونكين، وعدد سكّان هانوي حوالي سبعة ملايين نسمة، بينما يقترب عدد سكان فيتنام من مائة مليون نسمة؛ أنّي في هانوي حاولتُ الاقتراب من النّاس في المقاهي والأسواق والمعابد، للبحث عن بعض الإجابة على بعض الأسئلة الّتي وضعتها في مذكرتي مسبقا حول الأديان عموما، والإسلام خصوصا.

بعد بحث وتأني كنت عازما على قضاء عيد الفطر 1446هـ في فيينتيان عاصمة لاوس، بيد أنّي قرأت أنّه يوجد مسجدان فقط للمسلمين فيها، لكنني قرأتُ أنّ عدد المسلمين في فيتنام يصل إلى تسعة بالمائة؛ وعادة العدد يكثر في العاصمة بسبب الهجرة للعمل أو التّجارة، كما هو في بانكوك مثلا، فعددهم يتجاوز المليون نسمة، بينما اكتشفتُ لاحقا من قبل المسلمين في فيتنام والمقيمين فيها عدم صحة هذه النّسبة أي تسعة بالمائة، وأنّ نسبتهم قليلة جدّا قد لا تتجاوز واحدا بالمائة، كما جلستُ مع الباحث العربيّ في الشّؤون الفيتناميّة سليم حمّاد، وهو من أصل فلسطينيّ من مدينة جينين، يعيش في فيتنام لما يقارب أربعة عشرة عاما، وحاليا يعمل في السّفارة القطريّة في هانويّ، ويقدّم برامج باللّغة الفيتناميّة في القناة الفيتناميّة الرّسميّة، وأكد لي أنّ عددهم بسيط جدّا، وأنّهم يتمركزون في الجنوب، خصوصا في هو شي منّه، وذكر لي قرية تقريبا اسمها (كونته) غالبها مسلمون، ومع هذا أخبرني أنّ عدد المسلمين عموما قد لا يتجاوز في فيتنام مائة وخمسين ألفا، وهو عدد بسيط مقارنة بعدد السّكان، وفي هانوي لا يتجاوز عددهم عشرة أسر فيتناميّة، وأغلب من في هانوي من المسلمين المهاجرين للعمل من القارّة الهنديّة، أو العرب، أو من أندونيسيا وماليزيا.

وذكرت إحدى الفيتناميّات المهتمّة بشأن الثّقافة الفيتناميّة في صفحتها على "يوتيوب" أنّ الإسلام وصل إلى فيتنام في القرن العاشر أو الحادي عشر الميلاديّ عن طريق المبشرين الماليزيين (الملاويين)، وقد يكون – في نظري – هذا ليس دقيقا، إلّا إذا كانت تقصد شمال فيتنام، أمّا في الجنوب فأقدم من ذلك، حيث أنّ المسلمين ينتمون عادة إلى عرق تشامي، وكان هناك مملكة قديمة تسمّى مملكة تشامبا، تعود إلى القرن السّابع الميلاديّ، وامتدّت بين كمبوديا وجنوب فيتنام، وأحيانا إلى تايلاند، وقد قطن المسلمون هذه المملكة منذ فترة مبكرة، واعتنق العشرات من التّشاميين الإسلام، وأصبح المسلمون اليوم في كمبوديا وفيتنام مرتبطون بهذا العرق، ونتيجة للاضطهادات اللّاحقة هاجر العديد منهم من فيتنام إلى فطاني في تايلاند، وربّما إلى أندونيسيا وماليزيا.

والإسلام مع وجوده مبكرًا في فيتنام إلّا أنّه اليوم أقلّ نسبة من المسيحيّة، والثّانية لا تقلّ نسبتها في فيتنام عن عشرة بالمائة، وبعضهم يوصلها إلى خمسة عشرة بالمائة، وتصنّف الدّيانة الثّالثّة الأكثر انتشارا بعد الدّيانة الفيتناميّة الشّعبيّة (تقديس الأرواح) والدّيانة البوذيّة، وبعض الباحثين يجعلها الأولى؛ لأنّ تقديس الأرواح أقرب إلى الثّقافة الشّعبيّة، وقد تجد حتّى من الأديان الأخرى ومنها من المسيحيين والمسلمين أنفسهم من يمارسها، وفكرتها أنّ "أرواح الأموات لا تموت وإنّما هي موجودة تشاهدنا وتساعدنا"، وخصوصا الأسلاف القريبين كالآباء والأجداد، ولهذا وجدّتُ صاحب إحدى المتاجر القريبة من النّزل الّذي أسكن فيه في قلب هانوي القديمة، وكنت أراقب فعله من النّافذة يقوم بحرق ملفات حمراء، فقلتُ لعلّه يتخلّص من دفاتر الحسابات المتعلّقة بالمحل، أو أنّه يتدفأ بالنّار في هذه اللّيلة الماطرة المصحوبة بشيء من البرد، ثمّ لما تجولت في هانوي وجدت الأمر متكرّرا، فوجدتهم يحرقون أوراقا كالنّقود تشبه مائة دولار، وملفات حمراء في داخلها كتابة خطّها أقرب إلى خطوط المنجمين عندنا، ويفعلون ذلك عند نزول المطر، فقلت لعلّه شيء من الاعتقادات المرتبطة بالسّحر أو الشّعوذة، ثمّ لمّا بدأت أبحث وأسأل عن ذلك انكشف لي أنّها أقرب إلى التّوسل إلى الأرواح، لاعتقادهم بحضورها، وطلبا لبركتها ومساعدتها، وأخبرت أنّه كان العديد يمارسها، ولا يشترط أن يكون

بوذيّا، فهي ثقافة شعبيّة، بيد أنّ انتشارها اليوم قليل جدّا، وأغلب الشّباب لا يهتمون أو يلتفتون إليها.

وأمّا البوذيّة فلا أجد ذلك الحضور الّذي رأيته في تايلاند، فلا أرى أولئك الرّهبان الّذين ينتشرون في الطّرقات والأسواق قبل شروق الشّمس وبُعيْدها، ولم أرَ راهبا بوذيّا طيلة مكثي في هانوي، عدا اثنين رأيتهم في مطار HANOI NOI BAI INTL أثناء عودتي إلى بانكوك ولعلّهم من تايلاند، ولمّا زرت إحدى المعابد في قلب هانوي أدركت ما قاله لي صديقي سليم حمّاد أنّهم ينظرون إلى المعابد أنّها أماكن سياحيّة، حتّى أنّهم يتصوّرون أنّ المسلمين وهم يتراودون على المسجد أنّ فعلهم هذا أقرب إلى السّياحة أكثر منه العبادة، ومع هذا وجدتُ في المعبد البوذيّ مَن يتقرّب إلى التّماثيل بالأكل والنّقود، ثمّ يقفون طويلا للدّعاء وطلب الأمنيات، ولم أرهم يسجدون كما في تايلاند، وعدد من يفعل ذلك قليل جدّا، وأغلب من يدخل للسّياحة والتّصوير، كما قرأت في التّعريف بالمعبد أدبيات سياحيّة، ومنها الحفاظ على جوّ المكان، ومراعاة ذلك كما في اللّباس السّاتر، وكما أسلفت سابقا أنّ البوذيّة في شمال فيتنام اختلطت بالثّقافة الدّينيّة الصّينيّة واقتربت منها أكثر من الثّقافة البوذيّة الهنديّة الخالصة، وتذكر الباحثة الفيتناميّة أيضا أنّهم يؤمنون بالكارما كما في البوذيّة وأمّها الهندوسيّة، ويؤمنون بحياة أخرى بعد الموت وفق قانون العودة في صورة جديدة، كما أنّ فكرة تعدّد الآلهة حاضرة عند العديد، بيد هذا يقلّ بشكل كبير في الأجيال الجديدة لعدم اهتمامها بمثل هذه المعتقدات.

ويُقال إنّ الوجود المسيحيّ في فيتنام يرجع إلى القرن السّادس عشر الميلاديّ عن طريق المبشرين البرتغاليين والهولنديين، ولهذا انتشرت المسيحيّة في جوّها الكاثوليكيّ بشكل كبير، وكان لهم تأثير سياسيّ ومعرفيّ وثقافيّ خصوصا في فيتنام الجنوبيّة، وهم من طوّروا الحروف الأبجديّة الفيتناميّة، لهذا هي حروف لاتينيّة، ثمّ في القرن التّاسع عشر خصوصا نافس الكاثوليكَ المسيحيون البروتستانت، خصوصا مع الإرساليّات الغربيّة عموما، والأمريكيّة خصوصا، ومن شواهد المسيحيّة في فيتنام تمثال المسيح على جبل نهو في فونج تاو، بناه المسيحيون الكاثوليك ابتداء من 1974م وحتّى 1993م.

ولكون الدّولة شيوعيّة التّوجه في فيتنام، ومع ذلك لا تمنع من وجود الأديان فيما وجدته حاليا، والنّاس أحرار في معتقدهم وطريقة تدينهم، بيد أنّها تمنع من التّبشير الدّينيّ خارج مكان العبادة كالطّرقات والمؤسّسات التّعليميّة والثّقافيّة، وتجديد دور العبادة أو بناء دور جديدة أو توسعتها معقّد جدّا لأجل الموافقة كما أخبرت، لكن كجانب فرديّ فهناك حريّات واسعة، بما في ذلك الحريّات الجندريّة، بيد أنّها تمنع التّمييز، وتحاول توسعة دائرة المساواة داخل المجتمع الفيتناميّ.

عموما اخترت الكتابة حول عيد الفطر لعام 1446هـ في هانوي لتصوّري كما أسلفت أنّ عددهم أكبر، ثمّ تبيّن لي خطأ ذلك عند وجودي في العاصمة الفيتناميّة، ومع هذا حجزت تذكرة عن طريق الطيران الفيتناميّ من بانكوك وحتّى هانوي، وقدّمت طلب تأشيرة الكترونيّة بما يعادل عشرة ريالات عمانيّة، حصلتُ عليها في أقل من ثلاث أيام، كانوا سريعين في الرّد، وأيّ خطأ يرسلون لك طلب التّعديل.

خرجت من مطار BANGKOK SUVARNABHUMI INTL في بانكوك في السّابعة مساء، وتصوّرت أنّ طيرانهم الفيتناميّ ليس بذاك؛ حيث عالق في أذهاننا ما كانت تعانيه فيتنام من فقر ومجاعة، بيد أنّي وجدته طيرانا فخما كطيران الاتّحاد الإماراتيّ أو القطريّة، ويقدّمون خدمات طول الرّحلة، وكانت الطّائرة كبيرة وممتلئة، ورأيتهم في إعلانات الطّائرة بما في ذلك إعلانات السّلامة يركزون على السّياحة في الجانبين التّراثيّ والطّبيعة، كما وجدت مضيفات الطّائرة يلبسن اللّباس الفيتناميّ التّقليديّ، وهو لباس واسع وساتر.

أخذت الطّائرة حوالي ساعة ونصف لنصل إلى مطار HANOI NOI BAI INTL في العاصمة هانوي، وهنا وجدت مطارهم فخما، ومليئا بالسّياح الأجانب، ففيتنام تشجّع على السّياحة بشكل كبير، وهذا ما شاهدته أثناء وجودي في العاصمة، حيث المطاعم والمقاهي والممشى وأماكن السّياحة والأسواق ممتلئة بالسّيّاح من كافّة أقطار العالم، وخصوصا الغربيين، وعموما وجدتُ أيضا تعامل من يعمل في ختم الجوازات من رجال الأمن لطيفا جدّا،

وعملهم سريع أيضا، ولم يسألوني أين تسكن، وكم ستمكث، ولم يطلبوا مني بصمات يد أو صورة وجه، بسرعة أنهوا دخولي.

ذهبت ابتداء لشراء شريحة وصرف النّقود، وأنا في الأسفار أحتاج إلى شيء من الوقت للتّعوّد على النّقود الجديدة، وأحاول ذهنيّا ربطها بالرّيال العمانيّ وكسر الفوارق، فمثلا الألف بات التّايلنديّ يساوي إحدى عشر ريالا عمانيّا، ومع هذا أجعله يساوي عشرة ريالات، والمائة بات اجعله يساوي ريالا عمانيّا، والعشرين بات يساوي مائتين بيسة، بيد أنّي وجدت شيئا من الفارق مع الدّونغ الفيتناميّ، فنصّ مليون يساوي تقريبا سبعة ريالات عمانيّة، ويختصرونها خمسمائة دونغ في التّعامل، ووجدت الأعلى هو المليون ويسمونه مليون دونغ أي لم أجدهم يختصرونه، ويساوي حوالي أربعة عشر ريالا عمانيّا، ومائة ألف ويختصرونها إلى مائة تساوي تقريبا ريالا ونصف الرّيال العمانيّ، وخمسة آلاف ويختصرونها إلى خمسين تساوي سبعمائة بيسة، والألفين ويختصرونها إلى عشرين تساوي تقريبا ثلاثمائة بيسة، وأقلّها ألف أي حوالي مائة وخمسين بيسة، ولرخص الحياة في فيتنام، وحتّى أتعود على نقدهم اعتبرت نصف المليون يساوي خمسة ريالات عمانيّة، ومائة ألف يساوي ريالا عمانيّا، وخمسة آلاف تساوي خمسمائة بيسة وهكذا، فالمليون عندهم له قيمته الكبرى بيد أنّه يجعلك تعيش حياة متوسطة وجيّدة بسبب أنّ الحياة رخيصة جدّا لديهم، وأثناء السّحب لا يأخذون فائدة أو ضريبة كبيرة كما في تايلاند، فعلى كلّ معاملة تقريبا يأخذون ما يساوي ثلاث ريالات أو أقل، كما أنّ أماكن الصّرف منتشرة بشكل كبير، ووجدتُ لديهم أنّ مكاتب السّياحة وهي منتشرة بشكل كبير تقدّم أكثر من خدمة، فهي تقدّم العروض السّياحيّة داخل تايلاند، وتقدّم تذاكر الطّيران وتذاكر العروض، كما يمكن أن تصرف الدّولار منها، وأيضا ممكن تأخذ شرائح الهاتف أيضا، فممكن أن تقضي أكثر من حاجة في مكان واحد، كما أنّ البنوك ومكائن السّحب منتشرة بشكل كبير، وممكن أن تسحب بسهولة وبلا تعقيد عكس ما سمعته في بعض المقاطع اليوتيوبيّة من أحد السّياح العرب.

وكنتُ قد حجزت سيّارة من المطار، وكان تعاملهم جيّدا، وتوفرت لي السّيارة لأذهب إلى نزل MayHouse Travel في منطقة هوان كيم في قلب هانوي، وكما أسلفت تملكه امرأة، وهو عبارة عن مكتب سياحي، وقد وصلت عند الحادية عشر ليلا، وكان مغلقا، ولا يوجد فيه مكتب استقبال، وإنّما مكتبهم يفتح أول الصّباح، ويغلق عند العاشرة مساء، وقد أرسلت لي المرأة رمز فتح الباب، وأخبرتني رقم الغرفة ومكان مفتاحها، وفي البداية لم أعرف فتح الباب، فإذا بشابين اثنين يأتيان إلي، فشعرت ابتداء بشيء من الخوف والتّوجس منهما، بيد أنّي أدركت لاحقا أنّهم يساعدون الغريب، وهم كما أسلفت يملكون شيئا من اللّطافة، ولا يطلبون مقابل خدمتهم، بيد أنّك ولو أعطيتهم ألفا أي مائة وخمسين بيسة يرونها عظيمة، ويشكرونك كثيرا.

منذ وصولي حاولت اكتشاف المنطقة، والحياة اللّيليّة لديهم لا تتوقف، والحياة آمنة بشكل كبير، ويمكن أن تخرج ليلا أو نهارا ولا أحد يعترضك، ويقال إنّ فيتنام هي الأكثر أمانا بعد الصّين، كما أنّ كثرة السّياح يعطيك شيئا من الأمان، ومن حسن الطّالع، وبعد عمل بحث من (جوجل ماب) عن طريق عبارة (مسجد قريب مني) وجدتُ أنّ المسجد قريب منّي يأخذ مشيا أقل من عشر دقائق، وهو مسجد النّور، بناه التّجّار الهنود سنة 1323هـ، أي تقريبا ما بين 1906 و1906م، ولا زال على بنائه السّابق، ثمّ أدركتُ لاحقا أنّه المسجد الوحيد في هانوي.

ذهبتُ عند الفطور أي فطور رمضان قبيل أذان المغرب في المسجد، وهنا وجدته ممتلئا، وتعرّفت ابتداء على صاحبي عليّ معيض المرّي من الخفجي من السّعوديّة، وقلتُ له في سنة 2010م نومت في إحدى مستشفيات الخفجي بعد خروجي من حدود الكويت متجها برّا بسيارتي إلى البحرين، وعموما الرّجل في ذات سني حيث ولدنا في ذات العام، ويعمل في التّجارة الالكترونيّة في توفير العمال، ويتنقل بين الدّول، وهنا يمكث في فيتنام ثلاثة شهور، وكانت بيننا صحبة في هذه الفترة، كما لا أنس صاحبي المغربيّ الّذي تعرفت عليه في المسجد، وهو شاب صغير يدرس في الصّين، ومهذّب بشكل كبيرا، وشاركني جولة المشي في فيتنام، وكانت بيننا أحاديث طويلة.

وجدت المسجد مع صغر حجمه ممتلئا بالجالية العربيّة، وأخبرت لاحقا أنّ أكثر الجاليات العربيّة في فيتنام المغاربة ثمّ الجزائريون ثمّ المصريون ثمّ الفلسطينيّون، وهؤلاء يعملون هنا، وبعضهم تزوّج من فيتنام واستقرّ فيها، حيث أنّ فيتنام تحسّنت بشكل كبير في الجانب الاقتصاديّ، وانفتحت رأسماليّا على العالم، وأخبرت أنّ المسجد في العشر الأواخر لا يغلق ليلا أو نهارا، وهنا يجتمع الشّباب، وأغلبهم صغار السّنّ للاعتكاف وقراءة القرآن والتّعلّم والحديث طيلة العشر، وكعادة ما وجدته في شرق آسيا يفطرون معا ثمّ يتعشون بعد صلاة المغرب، كما يتسحرون معا، وهنا الجاليات العربيّة مع الهنود والباكستانيين وغيرهم يتعاونون في توفير الطّعام، كما أنّ بعض السّفارات أيضا تقيم فطورا ليليّا فيها كالسّفارة السّعوديّة والقطريّة، وفي ليلة التّاسع والعشرين من رمضان أقامت السّفارة العراقيّة فطورا جماعيّا ومفتوحا للجميع.

كما وجدتُ بعض الإباضيّة من غرداية في الجزائر، وهم شباب صغار السّنّ، أتوا هنا ضمن البعثة الجزائريّة بالتّنسيق مع الحكومة الفيتناميّة لتدريس اللّغة الإنجليزيّة في المدارس، وراتبهم ليس سيئا، وقد يكون أفضل من بعض دول الخليج في المدارس الحكوميّة، كما وجدت رجلا من سيرلانكا عمل في عُمان ما بعد 1977م، وكان يسكن في روي، ويثني كثيرا على عُمان، وبعد 1979م نقلته الشّركة إلى هانوي، ولا زال فيها حتّى اليوم، بيد أنّ زوجته لا زالت تعمل في عُمان، والظّاهر في الجانب الصّحيّ.

وجدتُ كذلك شبابا من أفريقيا، كما يوجد أيضا من أهل البلاد وهم أقلّ عددا، وبعضهم صغار في السّنّ، وأثناء مكثي شاهدت امرأة فيتناميّة صغيرة دخلت الإسلام، وأعقبها شابّ فيتناميّ في بداية العشرين من عمره، كما تعرّفت على إمام المسجد ناصر وأصله من عرق التّشامب، وهو يتقن العربيّة بشكل جيّد، كما أنّ الجالية العربيّة وخصوصا المصريّة قائمة بأمر المسجد، وهنا وجدت المنظّف من فلسطين، ويسكن في أندونيسيا، لكنّه يتطوّع في رمضان في هذا المسجد في هانوي، ويُعطى من بعض الصّدقات مقابل خدمته.

صلّيت معهم صلاة التّراويح، وهي ثمان ركعات، أربعا أربعا، يفصلون بين الرّكعتين بالتّسليم، ووجدتهم في التّراويح يقرأون من المصحف، صلّى بنا الإمام ناصر الأربع الأولى، وكان يسرّ البسملة، مع أنني سألته عن مذهب المسلمين في فيتنام، فأخبرني أنّهم شافعيّة المذهب، بيد أنّ مذهب الشّافعيّة كما هو معمول به الجهر في البسملة، ويصلّون التّراويح في ثلاث قيامات كما رأيته في هات ياي في تايلاند، وهنا سألته عن التّصوّف عند المسلمين في فيتنام أهو ذات مسلك التصوّف في باقي شرق آسيا، وهنا تبسّم حتّى بدت نواجذه ولم يجبني عن السّؤال، كما سألته هل توجد لجنة إفتائيّة في فيتنام؟ فأخبرني بالسّلب عكس ما قرأته عن وجود لجنة في هو شي منّه، قلت له: هل لكم علاقة بالهيئة الإفتائيّة الشّرعيّة في تايلاند باسم مجلس شيخ الإسلام؟ فأجابني بالسّلب، قلتُ له ونحن في يوم السّابع والعشرين من رمضان: متى عيد الفطر؟ قال: الاثنين، قلتُ له: من يحدّد ذلك، قال: هنا يجتهد المسلمون بأنفسهم في تحديد ذلك.

صلّى بنا الإمام ناصر أربعا كما أسلفت، ثمّ تقدّم شابٌ صغير السّن، أسمر اللّون، وسيم في تقاسيم وجهه، صلّى بنا الأربع الأخرى، وكلاهما يقرآن من سورة الكهف، افتتحها الإمام ناصر، وواصل صاحبنا قراءة بعضها، ولا يطيلان في القراءة، ولعلّهما قراءتهما للكهف لأننا في ليلة الجمعة، ثمّ تصوّرت ابتداء أنّ صاحبنا مصريّ من الصّعيد أو من بلاد النّوبة من أسوان، فكان ينطق الأحرف العربيّة من مخارجها بإتقان، وصوته عذب، وأداؤه متقن، ولمّا خرجت من المسجد وجدته مع أصحابه في الخارج، فشكرته، بيد أنّي وجدته لا يتحدّث العربيّة وإنّما يتحدّث الإنجليزيّة والفرنسيّة، فسألته من أيّ البلاد؟ فأخبرني أنّه من جمهوريّة الكونغو الدّيمقراطيّة، أي من وسط أفريقيا.

كذلك وجدتهم لا يصلّون الوتر، فسألتهم: لماذا لا تصلّون الوتر؟ فأخبروني لأنّهم في العشر الأخير يصلّون التّهجد السّاعة الثّانية والنّصف ليلا، ثمان ركعات أربعا أربعا كالتّراويح، ثمّ يختمونها بالوتر، وهنا طلبوا مني مشاركتهم التّهجد والسّحور، قلت لهم: ربّما يصعب أن أخرج متأخرا بعد الثّانية والنّصف ليلا، وأنا غريب هنا، فتبسّموا، وقالوا: أنت في فيتنام،

والمكان آمن جدّا، كما وجدت كعادة أهل آسيا حضور المرأة في المسجد، ومخالطتها للرّجل كما عند توزيع الفطور، كما أنّ أبنائهم يلعبون ويصرخون في المسجد، ولا يتضايقون من ذلك.

ذهبت إلى المسجد قبل صلاة الجمعة مبكرا، وقد صادف يوم الثّامن والعشرين من رمضان، وهنا وجدت شاشة كبيرة تُرجمت فيها الخطبة إلى اللّغة الإنجليزية، وقبل دخول وقت الظّهر بقليل أذن المؤذّن وكان مصريّا الأذان الأول، وعند دخول الوقت صعد الإمام وأذن المؤذّن الأذان الثّانيّ، وافتتح الإمام خطبته باللّغة العربيّة، ثمّ تحدّث قليلا بالفيتناميّة وبعدها أكمل الخطبة الأولى ثم الثّانيّة والدّعاء بالعربيّة، وكانت الخطبة حول رمضان وفضله وضرورة استغلاله، وكانت الخطبة قصيرة جدّا، ثمّ كانت الصّلاة.

وفي يوم التّاسع والعشرين، وبعد الغروب، كانوا ينتظرون القرار النّهائيّ لإعلان هلال العيد، وكنت جالسا مع صاحبنا الجزائريّ من غرداية، فأعلن الإمام أنّ غدا الأحد 30 مارس 2025م هو المتمّم لشهر رمضان، وأنّ الاثنين 31 مارس هو يوم عيد الفطر المبارك، وهنا رأيتُ صاحبنا متضايقا وأظهر شيئا من ذلك كعادة المغاربة، فسألته: لماذا تضايقت؟ قال: كنت أرجو أن يكون الأحد هو يوم العيد لأنّه يوم إجازة، وهنا لا يعطون إجازة بسبب المناسبات الدّينيّة، وأنا معلّم لا أستطيع الحصول على إجازة وظيفيّة أو أترخص من العمل، فكنت أرجو أن أقضيّ شيئا من المتعة في صباح العيد مع الشّباب في المسجد، ثمّ مع عائلتي بعد ذلك، لكن لا بأس ما دمت أستطيع أداء صلاة العيد.

أخبر الإمام أنّ صلاة العيد في السّابعة والنّصف صباحا، فذهبتُ مبكرا عند السّادسة صباحا، ووجدت عددا قليلا في المسجد، وبدأ أحدهم يأتي بتكبيرات العيد وهي "الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، الله أكبر، الله أكبر، ولله الحمد" ومن خلفة يردّدون، وأحيانا يضيفون "لا إله إلا الله وحده، صدق وعده، ونصر عبده، وأعزّ جنده، وهزم الأحزاب وحده، لا إله إلا الله، ولا نعبد إلا إياه، مخلصين له الدّين ولو كره الكافرون"، وعموما بدأوا تكبيرات العيد جماعيّا بعد فطور يوم الثّلاثين عقب التّسليم من صلاة المغرب، وكذلك عقب صلاتي العشاء والفجر.

بدأ النّاس يتوافدون إلى المسجد، حتّى امتلأ داخله وخارجه وعند الطّرقات، وأخبرت لمّا يصادف العيد وقت الإجازة تقوم السّلطات الفيتناميّة بغلق الطّريق عند خارج المسجد حتّى يأخذ المسلمون وقتا أطول في الاستمتاع ولقاء بعضهم خارج المسجد، حيث وجدت المسلمين هنا على اختلاف جنسيّاتهم كأنّهم أبناء عائلة واحدة، وبينهم مودة ومحبّة كبيرة، والحكومة أعطتهم حرّيتهم المطلقة في ذلك وفي ممارسة طقوسهم ووعظهم وتدريسهم، خصوصا داخل المسجد، ولا تتدخلّ في أمرهم ما دام الأمر بعيدا عن السّياسة، كما وجدت الفيتناميين من غير المسلمين يأتون لمشاهدة هذا المشهد، ويتكرّر خلال العام عند صلاة الجمعة، وعند بعض الصّلوات، وأخبرت أنّ بعضهم يدخل الإسلام فقط من خلال رؤيته لهذه المشاهد، وهنا أيضا وجدت خطبة العيد مترجمة إلى الإنجليزيّة في الشّاشة داخل المسجد.

قبيل الصّلاة دخل الإمام ناصر، وهنأهم بالعيد السّعيد قائلا: "تقبّل الله منّا ومنكم"، فأخبرهم أنّ صلاة العيد باثنتي عشرة تكبيرة، سبع بعد تكبيرة الإحرام، بعدها قرأ الفاتحة وآيات نعمة اللّباس وتحذير بني آدم من فتنة الشّيطان من سورة الأعراف، ثمّ خمس بعد القيام من السّجود إلى الرّكعة الثّانية، ثمّ الفاتحة وآيات أخذ الزّينة عند كلّ مسجد من سورة الأعراف أيضا، ثمّ صعد إلى المنبر لخطبة العيد وهي خطبتان بينهما جلسة خفيفة، وشملت ثلاث جوانب: الشّكر على نعمة رمضان، والتّذكير بنعمة الأمن الّتي يعيشونها والحفاظ عليها، والخطبة الثّانيّة حول صدقة الفطر، وهم يخرجونها كيلوين من الأرز، أو ما يعادله من النّقود، ويقدّرونها بخمسة آلاف دونغ أو خمسين كما يختصرونه، أي سبعمائة بيسة، والإمام توقف صوته آخر الخطبة ولم يستطع إكمالها، فجاء شخص آخر وأكملها، وبعد الصّلاة كانت التّهنئة، وكانوا يوزعون الفطور والشّاي والماء والحلويّات، وأخبرت أنّ السّفارة السّعودية تقيم مأدبة غداء في ذلك اليوم، وطلب مني أحدهم المشاركة، بيد أني اعتذرت لأنني لابدّ أن أكون في المطار بعد الثّانية عشرة ظهرا.

في ليلة العيد أصابني التهاب في الحلق وحمّى شديدة بسبب تغيّر الجو، حيث يمكنك أن تعيش فصول السّنة في أسبوع واحد، فهناك يوم ربيعيّ رائع، يعقبه يوم يتساقط فيه الرّذاذ،

ثمّ النّاس في اليوم الآخر يلبسون لباس الشّتاء من البرد، ليرجع الرّبيع من جديد بعدها، وهذا لم نعتد عليه، فأثر عليّ قليلا، كما أنّ المطاعم المناسبة لنا قليلة جدّا، وأغلبها مطاعم هنديّة، ووجدت مطعما عربيّا مصريّا واحدا في قلب هانوي، أمّا المطاعم الفيتناميّة والصّينيّة فأخبرت أنّه لا يكاد يخلو طعام من المكوّنات المستخلصة من الخنزير، ورأيتهم يأكلون لحم الكلاب، ولا يذبحونها، بل يضربونها في الرّأس، ثمّ يخرجون الدّم الفاسد منها، ويقولون إنّ عادة أكل الكلاب دخلت إليهم متأخرة نتيجة المجاعة بسبب الحروب في بداية القرن العشرين، خصوصا بعد 1910م، ثمّ اعتادوا عليها، وعادة ثمنها باهض، ولا يأكلها إلّا المقتدر، ويعتبرون لحمها من أهم ما يقدّم للضّيف إكراما له، وشعبيّا لا يأكلونها بداية الشّهر؛ لأنّها تحمل الفأل السّيء، فقط يأكلها بعضهم آخر الشّهر لجبر الحظوظ والفأل السّيء بمثله، ليبدأوا شهرهم بالفأل الحسن.

في نهار يوم العيد، والّذي صادف 31 مارس ذهبت أيضا لتوديع الأصدقاء الفيتناميين، والّذين جلست معهم لساعات طويلة في المقهى والمحلات القريبة من النّزل، وشعرت بلطافة توديعهم ما لم أجده في دول أخرى، لأتجه إلى المطار، حيث رحلتي مرة أخرى إلى بانكوك في السّاعة الرّابعة عصرا، وكانت الإجراءات ميسّرة بشكل كبير جدّا.

## رابعا: الأنشطة

### قبول إعادة طباعة كتاب الجمال الصّوتيّ

**الأستاذ المهندس سعيد الصّقلاويّ المحترم**

**رئيس الجمعيّة العمانيّة للكتّاب والأدباء**

**تحيّة طيبة وبعد،،،**

بداية أشكر قبولكم لإعادة طباعة كتاب الجمال الصّوتيّ: تأريخه ورؤيته الفقهيّة (مراجعة في النّصّ الدّينيّ حول الغناء والمعازف)، مرفقا لكم مقدّمة الطّبعة الثّانية، والعقد الموقع، وما طلب، مع الشّكر سلفا.

بدر العبريّ

## تصوّر أسئلة فعاليّة الإنسان والآخر: نقد جذور التّطرّف النّادي الثّقافيّ العمانيّ مع الشّيخ حسن بن موسى الصّفار

الأربعاء 3 جمادى الثّانية 1446هـ/ 4 ديسمبر 2024م

**ترجمة الشّيخ**

- . الشّيخ حسن بن موسى الصّفار.
- من كبار المرجعيّات الدّينيّة الوحدويّة في السّعوديّة والوطن العربيّ.
- هو أيضا ناقد وأديب ومصلح اجتماعيّ.
- ولد سنة 1377هـ.1958م في مدينة القطيف.
- درس في النّجف وقم والكويت وطهران بجانب نشأته الأولى في القطيف.
- ارتبط بعمان في مسجد الرّسول الأعظم بمطرح خصوصا منذ عام 1974م – 1978م، وكانت له علاقات مع علماء عمان كسماحة المفتي السّابق الشّيخ إبراهيم بن سعيد العبريّ والمفتي الحالي الشّيخ أحمد بن حمد الخليليّ، والشّيخ سالم بن حمود السّيابيّ، وابنه الأديب هلال بن سالم السّيابيّ وغيرهم، ولم ينقطع عن عمان حتّى اليوم، وجسّد وجوده في عمان في كتابه ومذكراته ظلال من الذّاكرة، وله دور كبير في تأسيس مكتبة الرّسول الأعظم في كورنيش مطرح، ومجلّة الوعي 1977.
- له عشرات الكتب والمقالات واللّقاءات والحوارات.

**محاور اللّقاء:**

**المحور الأول: حول التّعدّديّة**

- هل التّعدّديّة حالة طبيعيّة في المجتمع الإنسانيّ، وهل يمكن صهر العالم في حالة واحدة؟ وهل جاء القرآن لإلغاء التّعدديّة أم لإقرارها؟ وكيف نفسر خوف الأقليّات

العرقيّة واللّغويّة والدّينيّة من بعض الخطابات اللّاغية للآخر، وقد تكون باسم الدّين نفسه؟

- العالم اليوم يعيش في قرية واحدة بسبب الإعلام الحديث، وبسبب السّفر وسهولة التّنقل، السّؤال: هل تساهم الدّولة الوطنيّة في إقرار التّعدّدية، وهل يمكن تحقيق ذلك مع نظريّة تقسيم الدّول إلى إسلاميّة وكافرة من جهة، ومع نظريّة الولاء بين الولاء للوطن أو الولاء لرموز دينيّة أو مذهبيّة أو سياسيّة قد تكون خارج الوطن؟
- انتشرت دعوة التّقريب مبكرا في العالم الإسلاميّ، وبدأت في مصر، وانتقلت إلى إيران، هل فشلت تجربة التّقريب في إقرار التّعدّديّة داخل البيت الإسلاميّ، وفي تحقيق مراجعات نقديّة داخل الحوزات الدّينيّة نفسها، وكيف تجتمع التّعدّيّة مع وجود دعوات تبشيريّة وإقصائيّة للآخر؟ وادّعاء الفرقة النّاجية، وحصر الجنّة في دين أو مذهب معيّن؟
- هل يمكن للعقل الإسلامي أن ينفتح على الاتّجاهات غير الدّينيّة كالعلمويّة والإنسانويّة، ويتعايش معها، ولا يمارس حالة الإقصاء للآخر؟
- هل يمكن دينيّا أن نمايز بين المواطن كذات إنسانيّة وبين انتماءاته الدّينيّة والفكريّة والمذهبيّة، بمعنى هل ممكن تحقيق علمانيّة دينيّة في الوقت ذاته؟
- الأبحاث الّتي يشتغل عليها في الجامعات والحوزات الدّينيّة غالبها – كما ذكرت أنت في بعض كتبك أغلبها مكرّرة – بمعنى تستحضر قضايا كلاميّة أو فقهيّة أو أصوليّة على سبيل التّكرار، سؤالي بما أنّ نعيد تقديم تراثنا الدّينيّ الإسلاميّ وصياغته صياغة إنسانيّة وفق إنسان القرن الحادي والعشرين وليس إنسان القرن السّابع أو العاشر الميلاديّ؟

**المحور الثّاني: تعقيبات من كلام الضّيف**

- قلت في كتاب العقلانيّة والتّسامح: "إنّ بعض الأفكار والآراء المنسوبة إلى الدين تدفع إلى التطرف بشكل واضح ومباشر، وبعضها تؤسِّس لحالة التطرف في نفس المؤمن بها، وتهيئه لممارسة السلوك المتطرف". مثل ماذا؟

- قلت: "إنّ رفض الاعتراف بمشروعيّة الرّأي الآخر، والسّعي لفرض رأي واحد على النّاس؛ هو الأرضيّة الخصبة للتّطرف، ونموّ توجهات القمع والعنف، وهو ما أوصل ساحتنا الإسلاميّة لتفريخ حركات العنف والإرهاب"، "وإنّ رفض أيّ فكرة أو رأي لا ينبغي أن يقود إلى نصب العداوة لصاحب ذلك الرّأي، فلو أطلق إنسان رأيا أو فكرة خطأ وفق تقويمك، فمن حقّك أن ترفض ذلك الرّأي، لكن ذلك لا يعني أن تعادي صاحب الرّأي، أو تتبنى موقفا عنيفا ضدّ مطلق الفكرة". تعقيبك؟
- قلت عن بعض المتديّنين "حينما تناقشهم حول آرائهم وأفكارهم وممارساتهم على ضوء العقل والمنطق؛ يغلقون باب النّقاش والحوار، على أساس أنّ قضايا الدّين تعبديّة، وأنّ دين الله لا يصاب بالعقول"، لهذا "تدور في أوساط بعض المتديّنين أفكار تخالف العقل والمنطق، هي أشبه بالأساطير والخرافات". تعقيبك؟
- قلتَ "من مظاهر تهميش العقل في أوساط المتديّنين الجمود على فهم الأسلاف للدّين، ولا شك أنّ الظّروف متغيرة، والحياة متطوّرة، والأسلاف فهموا الدّين حسب مستواهم، وضمن ظروف عصرهم وبيئتهم، ونجد أنّ منهجيّة الدّين قائمة على مراعاة التّطوّر، لذلك تجددت الشّرائع عبر الأنبياء، مع أنّ الدّين في جوهره واحد"، هل الاجتهاد مفتوح للجميع وفق التّخصّصات، بمعنى نتيجة التّخصّص اليوم عدم شموليّة الشّريعة؟
- قلتَ في كتاب الإصلاح الدّينيّ والسّياسيّ: "فنحن نعرف أنّ هناك من ينتمي إلى المذهب الزّيديّ، والمذهب الإباضيّ، ومن ينتمي إلى المذهب الاثني عشريّ الشّيعيّ، ومن ينتمي إلى المذاهب الأربعة من أهل السّنة، وكلّهم يعيشون في هذه المنطقة، وهناك قوى خارج المنطقة تتربص بهذه المنطقة، وإذا لم يكن هناك تعاون وانفتاح فإنّ هذه الخلافات المذهبيّة قد تكون ثغرة للقوى الخارجية الأخرى تنفذ منها للعبث في أمن منطقتنا وبلادنا؛ فحكومات المنطقة أيضا ينبغي أن تشجع وتدفع باتجاه الحوار والانفتاح المذهبيّ" ما مقدار هذا الانفتاح المذهبيّ، لإنّ إثارة القضايا المذهبيّة في الشّكل العام ولو على سبيل الحوار قد تؤدّي إلى العصبيّة عند شريحة من المجتمع، لهذا بعضهم يرى ترك الخصوصيّات كما هي، والحوار في القيم الكبرى كالحريّة والعدل والمساواة؟

- قلتَ في الكتاب نفسه: "كلّ التّراث سواء كان ما عند السّنّة وما عند الشّيعة يحتاج لبحث، لكن اللّافت للنّظر أننا نهرب من النّقد الذّاتيّ، وكلّ واحد يوجه نقده للآخر وليس لذاته، فالشّيعيّ ينتقد ما في تراث أهل السّنّة، لكنّه لا يتحلّى بالجرأة لكيّ ينقد تراثه هو، والسّنيّ أيضًا ينقد ما في تراث الشّيعة ولا يتحلّى بالجرأة لينقد ما عنده هو من تراث أيضًا ويعيد النّظر فيه، وفي الحقيقة كلّ تراثنا السّنيّ والشّيعيّ بحاجة إلى إعادة نظر" هل يمكن تحقّق هذا ما دامت الحوزات والجامعات الكبير لا ترى هذه الرّؤية، والمرجعيّات الدّينيّة الكبرى مستفيدة من هذا الوضع سياسيّا واجتماعيّا وماليا؟

## مباركة مؤسّسة بيت الزّبير في إصداراته الأخيرة[75]

أبارك ابتداء لمؤسّسة بيت الزّبير بولاية مسقط إصداراتها الأخيرة الفريدة من نوعها، خصوصا فيما يتعلّق بالجانبين الفلسفيّ والفكريّ، وفي مجتمعنا العمانيّ شح في الإصدارات الفلسفيّة، مع الإقبال الكبير في السّنوات الأخيرة على الكتب الفلسفيّة والفكريّة في المعارض والمكتبات، ومع أنّ الكتاب النّقديّ في جوّه الثّقافيّ والفكريّ والتّأريخيّ والأدبيّ بشكل عام بدأ حضوره في الكتابات العمانيّة كما ذكرتُ ذلك في مقالة لي عام 2022م في جريدة عُمان بعنوان: "معرض الكتاب وحضور الكتاب النّقديّ العمانيّ"، بيد أنّ الكتاب الفلسفيّ في أبعاده التّخصّصيّة أو المعرفيّة النّقديّة بشكل عام يحتاج إلى شيء من الالتفاتة والاهتمام، وهذا ما قامت به مؤسّسة بيت الزّبير في السّنوات الأخيرة، فكسرت حاجز الصّمت مع الفلسفة من خلال مؤتمرين أحدثا ضجيجا وحديثا حتّى خارج عُمان، رأيتُ ذلك في مشاركتي لبعض المؤتمرات الفلسفيّة والنّقديّة خارج عُمان، فأصداء ذلك تردّدت على مستوى أوسع من المحيط العمانيّ، بيد أنّ توثيق ذلك سوف يعطي حضورا أكبر، إذ لا يقتصر عند لحظة عقد المؤتمرات، فقد أرادت هذه المؤسّسة أن تدخل التّأريخ، وتزاحم المعرفة في حاضرها بمثل هذه الكتابات المهمّة، خصوصا في واقعنا العمانيّ، والّذي قلّ فيه الدّرس الفلسفيّ من حيث الحضور الكتابي خصوصا.

عملان مهمّان يوثقان لحظتين تأريخيّتين حدثتنا في تلك المدينة القديمة مسقط، وقد حدث فيها أيضا لحظة تأريخيّة قبل مائة عام أي في عام 1907م عندما زار محمّد رشيد رضا (ت: 1935م) السّلطانَ فيصل بن تركيّ بن سعيد (ت: 1913م) يوثقها رشيد رضا بقوله: "وقد عهد السّلطان إلى كاتبه الخاصّ .... الزّبير بن عليّ أن يتولى أمر العناية بضيافتي، وإلى كاتبه الآخر الشّيخ إبراهيم بأن يتعاهدني معه أيضا"، تمثلت هذه اللّحظة في المباحثات الّتي كانت في العقائد والتّأريخ والأحكام والفكر وغيرها، وهي لبنات فلسفيّة وفكريّة، وإن كانت في أجوائها التّقليديّة، لتتحول هذه المناقشات في ذات المكان والولاية إلى مشروع ثقافيّ كمتحف بيت الزّبير منذ 1998م، ثمّ كمؤسّسة ثقافيّة في 2005م، واليوم لم تعد تنافس المؤسّسات الثّقافيّة المحليّة، بل العربيّة ولا أبالغ إن قلت العالميّة، ومنها ما يتعلّق مؤخرا بالفكر والفلسفة.

[75] موقع بدر العبريّ.

أن يتجه رجال الأعمال في دعم المشاريع الثّقافيّة وفق أعمال مؤسّسيّة منفتحة على العقل الإنسانيّ، وليست جامدة على زوايا ماضويّة تقليديّة هو ما استطاع خلقه معالي محمّد بن الزّبير في عُمان، وإن كنّا بحاجة إلى استنساخ عدد أكبر بمثل هذه المبادرات من رجال الأعمال في عُمان، لدعم الثّقافة والفكر بشكل مؤسّسي منفتح على الثّقافة الإنسانيّة، واليوم بعد عقدين نرى ثمرة هذه المؤسّسة الرّائدة والفريدة، لتتجاوز المحيط المحلّيّ إلى العالميّة.

إنّ روح جلسات السّلطان فيصل بن تركيّ بن سعيد وقد استضاف وفق إمكانات ذلك الزّمان شخصيّات أرخت المحادثات الثّقافيّة كرشيد رضا وعبد المسيح الأنطاكيّ (ت: 1922م) مثلا، لتحلّ هذه الرّوح في مشروع ثقافيّ يستقبل عشرات الباحثين والمفكرين والفنّانين والنّاقدين في ذات الولاية بتأريخها وعراقتها، ليتمثل بعض نتاج هذا في معرض مسقط للكتاب القادم في مشاريع كتابيّة مهمّة، ستكون حاضرة في المعرض، وعلى رأسها كتاب "هل نحتاج إلى الفلسفة في حياتنا"، وكتاب "النّقد الثّقافيّ: إشكاليّات وتجليات" وغيرها بالتّعاون مع الآن ناشرون وموزعون بالأردن، حيث شارك في الكتابين وغيرها رموز فلسفيّة عربيّة وعالميّة منهم مثلا: عبد الله الغذّاميّ من السّعوديّة، وإدريس الخضراويّ وعبد السّلام بنعبد العاليّ ومحمّد المصباحيّ من المغرب، والزّواوي بغورة ومحمّد شوقي الزّين من الجزائر، وعبد الجبّار الرّفاعيّ من العراق، ورضوان السّيّد ومشير باسيل عون من لبنان، وغيرهم، كما أنّها لم تهمل القلم العمانيّ، حيث نجده حاضرا ومزاحما القلم العربيّ في أجوائه الفلسفيّة والفكريّة والنّقديّة كعليّ الرّواحيّ ومحمّد العجميّ ومحمود الرّحبيّ وسعود الزّدجاليّ ومحمّد رضا اللّواتيّ وغيرهم.

كما سعدت أن يفتتح ملتقى بيت الزّبير الفلسفيّ الأول في 18 مايو 2022م، وربما هو أول مؤتمر فلسفيّ متخصّص في الفلسفة في عُمان في نهضتها الحديثة، حيث افتتح بتكريم المرحوم صادق جواد سليمان (ت: 2021م)، وهو تكريم مستحق لرمزيّة فلسفيّة وفكريّة عمانيّة، لها حضور على المستوى العربيّ والعالميّ، خصوصا في مركز الحوار العربيّ في واشنطن، فكان من مؤسّسيه والنّاشطين فيه منذ 1994م، وسعدت أنّ أشارك ببحث في ذلك بعنوان: "قراءة وصفيّة في فكر صادق جواد سليمان: قراءة من الدّاخل"، والّذي نشر في كتاب "هل نحتاج إلى الفلسفة في حياتنا".

راجيا أن ينتقل بيت الزّبير إلى الكتب والدّراسات الفلسفيّة المحكّمة، وترك مساحة لا تقلّ عن أربعين بالمائة للمشاركة المفتوحة محليّا وعربيّا ودوليّا خصوصا في الملتقيات والمؤتمرات الفلسفيّة والنّقديّة، فهناك أقلام مبدعة، ومنها شبابيّة، قد تكون في بداياتها، أو لم تسلّط عليها الأضواء، ولكن وجود قاعدة محكّمة وفق تحكيم محكم يعطي عمقا أكبر، كما نجده حاليا في المؤتمرات الدّوليّة عموما، ولكي يساهم بيت الزّبير – على الأقلّ محليّا وعربيّا – في خلق أقلام جديدة، لها عمقها وإبداعها الفكريّ والأدبيّ والفلسفيّ، وما ذلك ببعيد على مؤسّسة رائدة كبيت الزّبير، وهي بهذا مع المشاريع الّتي تقدّم من إخوانها في النّادي الثّقافيّ والجمعيّة العمانيّة للكتّاب والأدباء، وما رأيناه مؤخرا من دار عرب من خلال جائزة التّرجمة خصوصا وغيره من الجهود الثّقافيّة بلا استثناء؛ نفخر بها جميعا في محيطنا العمانيّ، ليكون لعمان حضورها الثّقافيّ المتمثل ليس في الدّعاية الإعلاميّة الفارغة، ولكن في العمق المعرفيّ الّذي تمتدّ جذوره في الواقع والمستقبل، ويعطي نقطة مضيئة للأجيال القادمة وهي تستذكر تأريخ لحظتنا الّتي نصنعها اليوم.

## رسالة إلى رئيسة مؤتمر منظمة بودا – باكستان لتأخر رسالة تسليم البحث حول زواج القصّر[76]

الأستاذة العزيزة: أمل الباشا المحترمة،،،

رئيسة مؤتمر منظمة بودا - باكستان

تحيّة طيبة وبعد،،،

بداية اعتذر عن التّأخر حتّى أتثبت من بعض المواد القانونيّة، ثمّ إنّي أرسل لكم الورقة المطلوبة، فإن رأيتم فيها شيئا من النّقص أو زيادة تهذيب فيسعدني ذلك، وإن رأيتموها غير مناسبة فمصلحة المؤتمر مقدّمة ولا خجل في ذلك مع الشّكر سلفا.

مخلصكم: بدر العبريّ

سلطنة عمان - مسقط

[76] البريد الالكترونيّ.

## رسالة إلى الجمعيّة العمانيّة للكتّاب والأدباء بإرفاق كتابي إيران والجمال الصّوتيّ[77]

**الجمعيّة العمانيّة للكتّاب والأدباء المحترمون**

**تحيّة طيبة وبعد**

شاكرا لكم لطفكم واهتمامكم

أرفق لكم كتاب إيران: التّعدّديّة الدّينيّة والعرفان مع التّصويب.

كما أرفق لكم تصويبات الجمال الصّوتي.

وأعدت إرسال خلفيّة الكتابين في ملف واحد.

كما أرسلت لكم أيضا سلفا صورة لكتاب إيران.

وأرجو أن يشار في غلاف كتاب الجمال الصّوتيّ أنّه حائز على جائزة الإبداع الثّقافيّ لعام 2023م، الدّورة الثّالثة عشرة بالجمعيّة العمانيّة للكتّاب والأدباء، فرع أفضل الدّراسات الفكريّة.

مع الشّكر سلفا

محبّكم بدر العبريّ

[77] البريد الالكترونيّ.

**رسالة إلى مدير المعهد العاليّ للدّراسات التّطبيقيّة في الإنسانيّات بسبيطلة بشأن الوصول إلى تونس**[78]

**الدّكتور الجليل: محمود عبّاس العامريّ المحترم،،،**

**مدير المعهد العاليّ للدّراسات التّطبيقيّة في الإنسانيّات بسبيطلة**

**تحيّة طيبة وبعد،،،**

راجيا أن تكونوا وجميع الإخوة بصحة وعافية، بداية أشكر اهتمامكم، وعظيم عملكم، ثمّ إنّي أشعركم أنا والأخ جاسم بني عرابة نصل – بعونه تعالى – إلى مطار قرطاج ظهر غد الأحد 27 أكتوبر 2024م، في الواحدة وعشرين دقيقة، وقد أرفقنا لكم التّذكرة سلفا، وقد تبين لنا أننا قدّمنا يوما بسبب ظرف الحجوزات، أو سوء تذكر منا، وعليه نتحمل هذا الخطأ من حيث الإقامة، والآن نسأل عن السّائق هل سيكون يوم غد في المطار، أو كيف سيكون الجدول في هذه الحالة، مع الشّكر سلفا.

محبّكم: بدر العبريّ

سلطنة عمان

[78] البريد الالكترونيّ.

## ترجمة الدّكتور صالح بن أحمد الصّوافي[79]

- من مواليد ولاية سناو بمحافظة شمال الشّرقيّة بسلطنة عمان.

- بدأ تعليمه بالولاية ثمّ درس في الأزهر الشّريف وتخرّج منه، ومن أوائل العمانيين من حصل على درجة الدّكتوراه في الفقه.

- درّسَ في بدايات حياته في منطقة نفعا بولاية بُدبُد بمحافظة الدّاخليّة الفقه وعلم الكلام.

- استقرّ لاحقا في محافظة مسقط في ولاية مطرح مدرسّا ومعلّما وإماما للصّلاة ومربيّا اجتماعيّا.

- من أقدم خطباء الجمعة العمانيين المعاصرين، وكان متنقلّا في محافظات السّلطنة، وآخرها إمامته وخطابته في جامع الرّيان بولاية العذيبة بمحافظة مسقط.

- ارتبط بالإذاعة والتّلفزة الدّينيّة مبكرا من خلال إذاعة سلطنة عُمان، وسلطنة عُمان، من برامجه: دروس إفتائيّة في تلفزيون سلطنة عُمان،

- له مقالات صحفيّة في جريدة عُمان والوطن العمانيّة، وكان لديه عمود "الإسلام يحلّ مشاكلك" في جريدة الوطن.

- عمل في العديد من الجهات الحكوميّة، منها وزارة العدل والشّؤون الإسلاميّة (وزارة الأوقاف والشّؤون الدّينيّة حاليا)، كما شغل منصب رئيس وحدة التّدريب في كليّة الشّريعة والقانون في الوطيّة بمحافظة مسقط، آخرها منصب خبير بمكتب نائب رئيس الجامعة للدّراسات العليا والبحث.

[79] بطلب من الدّكتور بهادر قيّم من إيران.

- من كتبه: من أعلام عُمان: صور مشرقة من حياة الرّعيل الأول، وكتاب الإمام جابر بن زيد وآثاره في الدّعوة، وكتاب أسس التّعليم ومناهجه في ضوء القرآن والسّنة، وكتاب الإباضيّة: سلوكا ومنهجا.

- توفي يوم الجمعة 14 رمضان 1443هـ/ 15 أبريل 2022م.

## الجلسة الحوارية" الفرص الاستثمارية بولاية شليم"

١ -الشيخ/ عبد العزيز بن سالم النقش المهريّ.

٢ -الشّيخ/ غانم بن ظاهر بن هلال البطحريّ.

إدارة الجلسة/ بدر العبريّ.

تتميز ولاية شليم وجزر الحلّانيّات بثلاث مميزات: الجزر والصّحراء والسّاحل، مما خلق فيها تنوعا في الجوانب الاستثماريّة والسّياحيّة والمعدنيّة، بجانب ما يتوفر فيهها من حقول النّفط، والثّروات الحيوانيّة والزّراعيّة، والتّراث الشّعبيّ والشّفويّ والماديّ، ولما لها من دور كبير في تحقيق رؤية عمان 2040، وفي هذه الجلسّة الحواريّة، والّتيّ يعدّها النّاديّ الثّقافيّ بالتّعاون مع شركة تنمية نفط عمان، ومكتب والي شليم وجزر الحلّانيّات، نتطرّق إلى بعض الجوانب الاستثماريّة بصحبة الشّيخ: عبدالعزيز بن سالم النقش المهريّ، والشّيخ: غانم بن ظاهر بن هلال البطحريّ، وفق المحاور التّاليّة:

**المحور الأول:** نتطرّق فيه إلى المميزات الّتي تتميز بها ولاية شليم وجزر الحلّانيّات، والّتي تسهم في تنمية الاقتصاد الوطنيّ، وفي خلق وفرص عمل، وفي تحقيق رؤية عمان 2040.

**المحور الثّاني:** التّحولات الاستثماريّة في المنطقة بعد ظهور النّفط، وهل أثر ذلك على جوانب أخرى: كالزّراعة والرّعيّ والصّيد والتّعدين واللّبان مثلا، وكيف ممكن معالجة المعوّقات المؤثرة على الجانب الاستثماريّ، وهل هناك معوّقات قانونيّة وإعلاميّة أثرت سلبا سابقا وحاليا؟

**المحور الثّالث:** الهجرة والعمالة والسّياحة وتأثيراتها الدّيمغرافيّة، وآلية توظيفها إيجابا في تنمية الاستثمار على مستوى الولاية بما يخدم الوطن.

**المحور الرّابع:** الجزر الخمس – اعتدال الطّقس، (جزيرة الطّيور – السّلاحف – الطّبيعة – الأودية - العيون ...) كيف ممكن توظيفها إيجابا في خلق استثمار سياحي دائم؟ وما أهم

المعوّقات السّياحيّة في الولاية (البعد – الفنادق – شبكة الاتّصالات - العادات .....)، وكيف يوظف هذه وفق أنسنة المدن بما يشجع المجيء إليها؟

**المحور الخامس:** تتميز الولاية بتراث شفويّ ماديّ (أسلحة جزيرة القبلية – الفنون التّقليديّة والشّعبيّة – العادات والتّقاليد والمطعومات – حطام سفينة وينيشتر – القبور الحجريّة القديمة – المناسبات الدّينيّة) كيف يمكن توظيفها إيجابا في رفد الاستثمار؟

**المحور السّادس:** الموارد الطّبيعية من النّفط والغاز والمعادن والطّاقة كطاقة الرّياح والتّعدين، هل هناك توظيف واقعي لها ساهم في تطوّر المنطقة، وكيف يمكن توظيف هذا في خلق وظائف لها علاقة بجوانب أخرى كالسّياحة والصّيد وشركات التّعدين واستثمار المنطقة اقتصادا وتنمويا؟

**المحور السّابع:** هل ممكن خلق استثمار ثقافيّ عالميّ أو ما يسمى بالسّياحة الثّقافيّة، بحيث يأتي العالم إلى المنطقة، ليعيش عالما ثقافيّا يسهم في تطوّرها، ونقلها إلى العالميّة، كباقي الجزر السّياحيّة في العالم؟

إعداد/ بدر العبريّ

## تصويبات كتاب: الجمال الصّوتيّ تأريخه ورؤيته الفقهيّة[80]

ملحوظة: الصّفحات معتمدة وفق الطّبعة الأولى

| الصّفحة | السّطر | الخطأ | الصّواب | ملحوظات |
|---|---|---|---|---|
| 6 | 4 | لكنني رفضته | لكنني رفضت ذلك | |
| 16 | 8 | سليم الحلو (معاصر) | سليم الحلو | تحذف معاصر |
| 41 | 2-1 | والإنشاد الصّوفيّ خصوصا لاحقا | والإنشاد الصّوفيّ لاحقا | تحذف خصوصا |
| 42 | 3 | برمّتها ير صحيحة | برمّتها غير صحيحة | ير = غير |
| 67 | الأخير | السّلطان قابوس (معاصر) | السّلطان قابوس (ت 2020م) | يضاف تأريخ الوفاة |
| 71 | 1 | وقاس أحمد بن حمد الخليليّ (معاصر) | وقاس أحمد بن حمد الخليليّ | تحذف معاصر |
| 79 | 8 | السّلطان قابوس بن سعيد (معاصر) | السّلطان قابوس بن سعيد (ت 2020م) | يضاف تأريخ الوفاة |
| 80 | 4 | عليّ الصّقليّ (معاصر) | عليّ الصّقليّ | تحذف معاصر |
| 81 | 10 | عليّ بن حمود بن البوسعيديّ (معاصر) | عليّ بن حمود بن البوسعيديّ | تحذف معاصر |
| 81 | قبل الأخير | السّلطان قابوس (معاصر) | السّلطان قابوس (ت 2020م) | يضاف تأريخ الوفاة |
| 82 | 1 | وليد النّبهانيّ (معاصر) | وليد النّبهانيّ | تحذف معاصر |

[80] البريد الالكتروني.

| | | | | |
|---|---|---|---|---|
| 82 | 6 | سعيد الصّقلاويّ (معاصر) | سعيد الصّقلاويّ | تحذف معاصر |
| 83 | 6 | السّلطان قابوس (معاصر) | السّلطان قابوس (ت 2020م) | يضاف تأريخ الوفاة |
| 93 | 5 | إلياس سحاب (معاصر) | إلياس سحاب | تحذف معاصر |
| 94 | 7 | ونجاة الصّغيرة (معاصرة) | ونجاة الصّغيرة | تحذف معاصرة |
| 97 | 8 | أميرة حلمي مطر (معاصرة) | أميرة حلمي مطر | تحذف معاصرة |
| 98 | 16 | يوسف القرضاويّ (معاصر) | يوسف القرضاويّ (ت 2022م) | يضاف تأريخ الوفاة |
| 100 | 5 | محمّد عمارة (معاصر) | محمّد عمارة (ت 2020م) | يضاف تأريخ الوفاة |
| 101 | 3 | الآيات حتّى عبارات | الآيات عبارات | تحذف حتّى |
| 103 | 3 | عفيف البهنسيّ (معاصر) | عفيف البهنسيّ (ت 2017م) | يضاف تأريخ الوفاة |
| 118 | 9 - 8 | رشيد الخيّون (معاصر) | رشيد الخيّون | تحذف معاصر |
| 128 | 17 | محمّد الشّريف الرّحمونيّ (معاصر) | محمّد الشّريف الرّحمونيّ (ت 2019م) | يضاف تأريخ الوفاة |
| 133 | 1 | عملت مراجعة | عملت على مراجعة | يضاف على |
| 135 | قبل الأخير | صلاح الدّين المنجد (معاصر) | صلاح الدّين المنجد (ت 2010م) | يضاف تأريخ الوفاة |
| 135 | قبل الأخير | ويوسف خوريّ (معاصر) | ويوسف خوريّ | يضاف تأريخ الوفاة |

| | | | | |
|---|---|---|---|---|
| 143 | 5 | القطر المغربيّ | القطر الجزائريّ | يبدل المغربيّ إلى الجزائريّ |
| 157 | 9-8 | يوسف القرضاويّ (معاصر) | يوسف القرضاويّ (ت 2022م) | يضاف تأريخ الوفاة |
| 158 | 7 | وظلّ بها حتّى اليوم | وظلّ بها حتّى وفاته | يبدل اليوم بوفاته |
| 158 | 18 | محمّد عمارة (معاصر) | محمّد عمارة (ت 2020م) | يضاف تأريخ الوفاة |
| 161 | 110 | حلال طيّب الطّيبات | حلال طيّب ومن الطّيبات | يضاف ومن |
| 164 | 3 | محمّد عمارة (معاصر) | محمّد عمارة (ت 2020م) | يضاف تأريخ الوفاة |
| 164 | 4 | يوسف القرضاويّ (معاصر) | يوسف القرضاويّ (ت 2022م) | يضاف تأريخ الوفاة |
| 165 | 16 | عمارة (معاصر)، ويوسف القرضاويّ (معاصر) | عمارة، ويوسف القرضاويّ | تحذف معاصر |
| 166 | 11 | حركة الصّحوة في الثّمانينيّات والتّسعينيّات | حركة الصّحوة في الثّمانينات والتّسعينات | تصويب إملائيّ |
| 173 | 1 | والمعازف ما بعد | والمعازف فيما بعد | إضافة حرب الباء |
| 177 | 4-1 | محمّد عمارة (معاصر) | محمّد عمارة (ت 2020م) | يضاف تأريخ الوفاة |
| 177 | 5-4 | يوسف القرضاويّ (معاصر) | يوسف القرضاويّ (ت 2022م) | يضاف تأريخ الوفاة |
| 181 | 5 | القنوبيّ (معاصر) | القنوبيّ | تحذف معاصر |
| 183 | 4 | أحمد بن حمد الخليليّ (معاصر) | أحمد بن حمد الخليليّ | تحذف معاصر |

| | | | | |
|---|---|---|---|---|
| 183 | 4 | خالد الوهيبيّ (معاصر) | خالد الوهيبيّ | تحذف معاصر |
| 185 | الأخير | محمّد يحيى عزّان (معاصر) | محمّد يحيى عزّان | تحذف معاصر |
| 188 | 1 | حسن العامليّ (معاصر) | حسن العامليّ | تحذف معاصر |
| 189 | 4 | عبّاس النّابلسيّ (معاصر) | عبّاس النّابلسيّ | تحذف معاصر |
| 203 | قبل الأخير | وأحمد مصطفى عليّ القضاة (معاصر) | وأحمد مصطفى عليّ القضاة | تحذف معاصر |
| 204 | 5 | محمود المطرجيّ (معاصر) | محمود مطرجيّ | تحذف معاصر وال التّعريف من مطرجيّ |
| 207 | 4-3 | والحمدان (معاصر) | والحمدان | تحذف معاصر |
| 207 | 6-5 | أحمد الغامديّ (معاصر) | أحمد الغامديّ | تحذف معاصر |
| 207 | الأخير | وعادل الكلبانيّ (معاصر) | وعادل الكلبانيّ | تحذف معاصر |
| 207 | الأخير | وصالح المغامسيّ (معاصر) | وصالح المغامسيّ | تحذف معاصر |
| 209 | 11 | نجاة الصّغيرة (معاصرة) | نجاة الصّغيرة | تحذف معاصرة |
| 210 | 1 | ناصر الشّتريّ (معاصر) | ناصر الشّتريّ (ت 2021م) | يضاف تأريخ الوفاة |
| 211 | 8 | أو حالة ظرفيّة مخصّصة | | تحذف العبارة |

| | | | | |
|---|---|---|---|---|
| 216 | 7 | عبد الصّبور شاهين (معاصر) | عبد الصّبور شاهين (ت 2010م) | يضاف تأريخ الوفاة |
| 225 | 4 | عبد القادر الأرناؤوط (معاصر) | عبد القادر الأرناؤوط (ت 2004م) | يضاف تأريخ الوفاة |
| 235 | 6 | يحيى رضا جادّ (معاصر) | يحيى رضا جادّ | تحذف معاصر |
| 235 | 8 | يوسف الصّانعيّ (معاصر) | يوسف الصّانعيّ (ت 2020م) | يضاف تأريخ الوفاة |
| 238 | 4-3 | يحيى رضا جادّ (معاصر) | يحيى رضا جادّ | تحذف معاصر |
| 240 | 2 | والتّصفيق | | يوضح رقم الهامش ويجع بين قوسين |
| 255 | 2 | ولمّا نقل | ولما نقل | تحذف الشّدّة |
| 255 | 8 | بلال فيصل البحر البغداديّ (معاصر) | بلال فيصل البحر البغداديّ | تحذف معاصر |
| 260 | 1 | المسخ والخسف والمسخ | المسخ والخسف | تحذف المسخ المتكرّرة |
| 278 | الأخير | ولا مانع منذ ذلك | ولا مانع من ذلك | منذ = من |
| 282 | 9 | القرضاويّ (معاصر) | القرضاويّ (ت 2022م) | يضاف تأريخ الوفاة |

## تقرير شؤون عمانيّة حول صدور كتاب "إيران التّعدّديّة والعرفان"[81]

صدر مؤخرا عن الجمعيّة العمانيّة للكتّاب والأدباء ودار جدل كتاب "إيران التّعدّديّة والعرفان"، وهو كتاب للكاتب العمانيّ بدر العبريّ عبارة عن مذكرات ورحلات، حاول فيه الكاتب ولسنوات مضت الاقتراب من المجتمع الإيرانيّ، بشيء من التّأني مع الإنصاف، والتّجرد من الميولات السّابقة، فهناك كما يرى في مقدّمة الكتاب من يخلط بين رؤية سياسات بلده وبين الاجتماع البشريّ في إيران، فإذا كانت العلاقة سيئة كانت الإسقاطات العموميّة السّلبيّة حول المجتمع الإيرانيّ، ويربط كلّ شيء بالسّياسة، ويحصر أمّة كبيرة يقترب سكانها من تسعين مليونا في الحزب الحاكم، أو في منصب الوليّ الفقيه والمرشد الأعلى للثّورة الإسلاميّة، وفي المقابل هناك من له ميولات دينيّة أو مذهبيّة، فيرى إيران النّموذج الأمثل في التّطبيق الإسلاميّ، ولا يقبل النّقد أو الاقتراب منه، فيعطي صورة مثاليّة مبالغا فيها، إلّا أنّ الواقع – كما يرى - أنّ الحكومة الإيرانيّة تمثل توجها في المجتمع الإيرانيّ كأيّ حكومة أخرى في العالم، والمجتمع الإيرانيّ لا يحصر فيها كأيّ مجتمع آخر أيضا، والمجتمعات البشريّة عموما مجتمعات متعدّدة ومعقدة في الوقت ذاته، ودراسات الاجتماع البشريّ من أشدّ الدّراسات صعوبة، فهي أقرب إلى النّقط المتباينة، وإن كانت لها مشتركات جغرافيّة أو ثقافيّة، فهذا بحكم الواقع، إلّا أنّ الغوص في تفكيك بنيتها المتعدّدة ليس سهلا كما يتصوّر بعضهم، فيميل إلى التّعميم حبّا أو كرها، أو حتّى عن طريق الدّراسات المعرفيّة الأفقيّة.

كما أنّ الكاتب بيّن في مقدّمة الكتاب أيضا أنّه لابدّ من الممايزة بين الجغرافيا والتّأريخ والواقع، فالجغرافيا ثابتة، والتّأريخ متحرك، والواقع ظرفيّ، فلمّا نتعامل مع المجتمع الإيرانيّ فلا نحصره في الواقع الظّرفيّ، وفي سياساته الظّرفيّة، وإنّما نحن نتعامل مع جغرافيّة وتأريخ مشترك، من خلال الإنسان الإيرانيّ ذاته، فالواقع الظّرفيّ محكوم بالجغرافيا والتّأريخ من خلال الإنسان، وليس حاكما عليها، فقد يكون حاكما بالمعنى الإجرائيّ، ولكن ليس حاكما بالمعنى المعرفيّ والثّقافيّ والإنسانيّ، بل هو جزء من هذه الثّقافة الواسعة في حيز جغرافيّ معين، وإن حاول إظهار نفسه

[81] صحيفة شؤون عمانيّة.

إعلاميّا أنّه هو الثّقافة الممثلة، بيد هذا يتهافت تلقائيّا عند القرب من الآخر؛ لأنّه يتعارض مع سنن الاجتماع البشريّ.

ومن خلال رحلة الكاتب الميدانيّة والتّأمليّة في إيران أدرك أنّ بلاد فارس الموغلة في القدم، والمؤثرة في التّأريخ الإنسانيّ؛ لا زالت تحمل تلك التّعدديّة والتّناقضات الفكريّة والدّينيّة والمذهبيّة واللّغويّة والتّراثيّة الشّفويّة والماديّة، ولا زالت تلك المعالم الموغلة في القدم ثابتة كشاهد لرحلة الإنسان وتطوّره التّأريخيّ، في زمن كانت إيران الكبرى الممتدة شرقا وغربا، والّتي أطلق عليها لاحقا بلاد فارس، حيث يعود تأريخها إلى سبعة آلاف سنة قبل الميلاد، لتتواكب عليها دول وحضارات من الميديّة والأخمينيّة، وحتّى السّاسانيّة والعربيّة والقاجاريّة وحتّى اليوم، ولتتعاقب في حكمها الدّيانات من الزّرادشت والأرمن المسيحيين والمسلمين، ومن الأعراق المختلفة.

ثمّ نتيجة للانغلاق الثّقافيّ الّذي حدث في الفترة الأخيرة؛ يتصوّر من في الخارج وفق الإعلام أنّ إيران على صورة واحدة في الجملة، ولكن الموغل في الجغرافيا القُطريّة الإيرانيّة يدرك التّعدّديّة ليس في المحيط الإسلاميّ فحسب، والّذي يتنوع عقائديّا في الإماميّة والّذين يشكلون نسبة كبيرة في المجتمع الإيرانيّ، فهناك أيضا الأشاعرة والماتريديّة وأهل الحديث، وفقهيّا هناك الجعفريّة والشّافعيّة والأحناف، وعرفانيّا هناك العرفانيون أصحاب الحكمة المتعالية والمتصوّفة والعرفانيون التّفكيكيون وجماعة دراويش غونابادي الصّوفيّة، وداخل المدرسة الشّيعيّة هناك الأصوليون والأخباريون وأصحاب المدرسة الشّيخيّة والبابيّة ومنهم البهائيّة، وهناك الله عليّة أو خانقاه أحمدي، وهناك التّيارات القرائيّة المعاصرة كالتّاريخيّة والنّقديّة، وهناك التّيارات اللّادينيّة والعلمانيّة واللّبراليّة، وغيرها.

وفي الجانب الدّينيّ فمع أنّ الإسلام هو الأكثر في إيران؛ إلّا أنّ هناك أيضا الزّرادشت في يزد وطهران وكرمان وشيراز، ومركزهم يزد، وهم الأقدم في إيران، ثمّ الصّابئة المندائيون في الأهواز والمحمرة في إيران، وأصلهم يعودون إلى العراق، ولغتهم الآراميّة، ثمّ اليهوديّة وهي ارتبطت بفارس ما قبل 2700عام، أي بعد السّبيّ البابليّ، وتعاملت معهم الدّولة الفارسيّة خصوصا في

عهد كورش الكبير (ت 529 ق م) تعاملا حسنا، وهو من أرجعهم إلى أورشليم، وبقت طائفة كبيرة منهم في إيران إلى اليوم، ويتحدّثون اللّغة الفارسيّة بجانب العبريّة، وإيران تعتبر الثّانية في الشّرق الأوسط فيها يهود، ويتمركزون في أصفهان وطهران وشيراز، ويسميهم الإيرانيون بالكليميين أي نسبة إلى كليم الله موسى – عليه السّلام -، وأخيرا المسيحيّة، وارتباطها بإيران ارتباط قديم يرجعه المسيحيون إلى القدّيس توما، أحد التّلاميذ الاثني عشر للسّيّد المسيح – عليه السّلام - ، والمبشر بالمسيحيّة في بلاد ما بين النّهرين وبلاد فارس، والمسيحيّة لها انتشار كبير في إيران، ويعتبر الأرثذوكس الأكثر انتشارا، ومنهم الكنيسة الرّسوليّة الأرمنيّة الأرثوذكسيّة، وهؤلاء لهم انتشار في جمهوريّة أرمينيا المجاورة لإيران، وفي بلاد الشّام ومركزهم لبنان، والأرمن الأرثذوكس عموما مركزهم لبنان، وينقسمون إلى أرمن لبنان وأرمن إيران، ثمّ النّساطرة، ويسمون كنيسة المشرق الآشوريّة، وهؤلاء تكوّنهم في أنطاكيا منذ فترة مبكرة من تكوّن المسيحيّة، وبعد الاضطهاد هاجروا إلى فارس والعراق، وكان لهم امتداد إلى عُمان والبحرين والجزيرة العربيّة قديما، ثمّ بنسبة أقل الكاثوليك والبروتستانت، ويتوزع المسيحيون في طهران وأصفهان ومشهد وشيراز وتبريز وأرومية وهمدان وغيرها.

الكتاب عبارة عن مذكرات ورحلات في التّعدّديّة الدّينيّة والثّقافيّة والعرفانيّة في إيران ابتداء من رحلة الكاتب إلى قم لأجل اكتشاف البعد العقائدي والدّينيّ عام 2017م، وفيها التقى برموز علمائيّة وثقافيّة منهم نجف الميرزائيّ وكمال الحيدريّ وحيدر حبّ الله ومحمّد الشّوكيّ ومهدي مرتضى، واجتمع ببعض الفقهاء وطلبتهم في جامعة المصطفى؛ ثمّ رجع مرة أخرى إلى قم عام 2022م لأجل البحث في الجوانب والمدارس العرفانيّة، وكانت أحاديث مع بعض أساتذة جامعة الأديان، كما التقى ببعض رموزهم مثل: محمّد سوري، وكمال الحيدريّ، ومحمّد صادق زاده، وعارف زاده، وحسن رمضانيّ، ومهدي نصيري، وحسين طهرانيّ؛ ثمّ كانت رحلته إلى أصفهان 2022م وفيها التقى بالكنيسة الأرمنيّة وبعض رموزها مثل مريم ميرزا خاني، والقسّ سبيسان كاششيان؛ وبعدها ذهب إلى يزد المدينة الزّرادشتيّة القديمة 2022م، وفيها التقى بالزّرادشت وبرمزهم الدّينيّ الدّكتور مهرباك بولادي؛ وفي عام 2023م زار شّيراز فارس القديمة، وفيها التقى

برموزهم الثّقافيّة والعرفانيّة، فكان حديث عن عرفانيّة ملّا صدرا، وعن اليهوديّة، والشّيخيّة والبابيّة والبهائيّة، وعن الاتّجاهات المعاصرة وعن فارس القديمة وغيرها من المباحث؛ ثمّ في 2024م كانت عودته إلى طهران من مدينة الرّي إلى عاصمة إيران، وفيها التقى بالسّنّة وزعيمهم الفقيه مولوي إسحاق مدني، كما التقى بالتّيارات اليساريّة ومنهم صادق عبّادي، وفي طهران حاول الكاتب استحضار ثورة التّنباك والثّورة المشروطة، وإرهاصات الثّورة الإسلاميّة في إيران أيام الشّاه، ونظريّة ولاية الفقيه وحضورها عند النّائينيّ والبروجورديّ ثمّ الخمينيّ، مع حديث طويل حول الاتّجاهات اليساريّة والعلمانيّة في إيران منذ نهاية القرن التّاسع عشر وحتّى اليوم؛ ثمّ زيارته لمشهد أرض طوس القديمة 2024م، وفيها حديث عن العرفان مع بعض الرّموز الدّينيّة؛ وأخيرا كانت رحلته إلى الأهواز من عربستان إلى خوزستان 2024م، وفيها التقى بالمرجعيّة محمّد عليّ الموسويّ الجزائريّ، كما التقى ببعض رموزهم الأدبيّة والفقهيّة واللّبراليّة والعشائريّة، مثل جليل حزباويّ، ومهدي الأسديّ، وحسين عبّاسيّ، وراضي العكرش، كما ذهب إلى المحمّرة والتقى بعائلة وأحفاد خزعل الماجديّ، كما زار الشّيخيّة الكريم خانيّة والتقى برمزها الشّيخ سلمان بن عبد الله الطّرفيّ الأحسائيّ، كما كان حديث عن الصّابئة مستذكرا حواره مع بهادر قيّم من عبّادان في الأهواز، والكتاب مليء بالإنسان في إيران وثقافته وتعدّديته، وسيكون حاضرا في معرض مسقط للكتاب في دورته التّاسعة والعشرين في ركن الجمعيّة العمانية للكتّاب والأدباء، كما سيتوفر بعد المعرض في المكتبات العمانيّة الأخرى.

## تصوّر الجلسة الحواريّة" حكاياتٌ من الذّاكرة موروثات شعبيّة" بولاية شليم وجزر الحلّانيّات

١ -الشّيخ/ أحمد بن عبيد بن حسن المهريّ.

٢- الفاضل: حمد بن النّعيميّ بن مسقي البطحريّ.

إدارة الجلسة/ الأستاذ بدر العبريّ.

الذّاكرة الشّعبيّة أو الفولكلوريّة الاهتمام بها وحفظها ضرورة معرفيّة، وهي وإن كانت ذاكرة شفويّة منها ما يعود إلى عمق التّأريخ، ومنها ما يرجع إلى الذّاكرة القريبة، اختلط بها الأسطورة بالخرافة بالواقع، لكنّها تبقى لها عمقها في التّأريخ، وتشكلت في الحكايات والقصص والأشعار والدّفن والموت والزّواج والطّقوس الدّينيّة والأطعمة وغيرها.

وبما أنّ ولاية شليم وجزر الحلّانيّات لها ارتباط تأريخيّ بالبحر والصّيد، وما يترتب على ذلك من فراق وفقد، كما ارتبطت باللّبان وأساطيره، وبالصّحراء وقسوتها، وبالتّنقل لطلب الماء والاستقرار، وبالحيوان والطّبيعة، هذا جميعه مورد مهم في الذّاكرة الشّعبيّة.

ويسرنا في هذه الجلسّة الحواريّة، والّتيّ يعدّها النّاديّ الثّقافيّ بالتّعاون مع شركة تنمية نفط عمان، ومكتب والي شليم وجزر الحلّانيّات، أن نتطرّق إلى بعض الذّاكرة الشّعبيّة أو الفولكلوريّة في هذه الولاية بصحبة الشّيخ: أحمد بن عبيد بن حسن المهريّ، والفاضل: حمد بن النّعيميّ بن مسقي البطحريّ، وفق المحاور التّاليّة:

**المحور الأول:** مأ اهم المصادر الشّفويّة الباقيّة لحفظ الذّاكرة الشّعبيّة أو الفولكلوريّة في هذه الولاية: كبار السّن – اللّغة – الأغانيّ – الحكايات – الآثار الماديّة، وهل ارتبط كثيرا بالبحر أم الصّحراء أم الحيوانات واللّبان والطّبيعة؟

**المحور الثّانيّ:** حضور الذّاكرة الشّعبيّة أو الفولكلوريّة اليوم في ظلّ الانفتاح العولمي المعاصر، ومزاحمة الإعلام الجديد، هل متعرضة للاندثار، أم هناك جهود في توثيقها، وتفعليها في الرّوايات والأدب والشّعر المعاصر، وفي السّينما والمسرح؟

**المحور الثّالث:** حضور المعتقدات والموت والمرأة والحيوان والأطعمة واللّباس واللّبان، كفنّ الدّن المرتبط بالجنائز في مرباط، هل لها حضور في الولاية، أم هناك أنواع أخرى تختص وتتميز بها الولاية عن غيرها؟

**المحور الرّابع:** نماذج لحكايات وأساطير: أولا: في الرّواية والقصص الشّفويّة – ثانيا: في الشّعر والفنون الشّعبيّة – ثالثا: في العادات والتّقاليد كالموت والزّواج – ثالثا: في الطّقوس الدّينيّة ورمضان والأعياد والموالد. (غيرها .....).

**المحور الخامس:** طرق استثمار الذّاكرة الشّعبيّة أو الفولكلوريّة في الولاية في السّياحة والسّينما والأدب العمانيّ ككل بشكل عام.

إعداد/ بدر العبريّ

## نصوص خلفيّة كتابي الجمال الصّوتيّ و إيران التّعدّديّة والعرفان

الجمعيّة العمانيّة للكتّاب والأدباء المحترمون،،

تحيّة طيبة وبعد،،

يسرني إرسال لكم نصوص خلفيّة كتابي الجمال الصّوتيّ وإيران التّعدّديّة والعرفان حسب طلبكم مع الشّكر سلفا.

**خلفيّة كتاب الجمال الصّوتيّ**

"لطالما كانت مسألة الغناء والمعازف مثار جدل وخلاف في التّراث الدّينيّ الإسلاميّ، فقد استفاضت المدارس الفقهيّة في النّقاش حول النّصوص الدّينيّة المرتبطة بالغناء تحليلا أو تحريما، ولا مبالغة في القول بأنّه يكاد لا يخلو مجموع فقهيّ في تراثنا الإسلاميّ من باب يتناول هذه المسألة، فضلا عن الكتب الكاملة الّتي تناولت هذا الموضوع خصّيصا، بيد أنّ ما يميّز كتاب الجمال الصّوتيّ، تاريخُه ورؤيته الفقهيّة لبدر العبريّ، الصّادر عن الجمعيّة العُمانيّة للكتّاب والأدباء .... أنّه لا يتناول رؤية العقلَ الفقهيّ للغناء وآلات العزف بمعزل عن الظّرف التّأريخيّ والاجتماعيّ المحيط به.

الكتاب إذن؛ ليس سردا خالصا لما ورد في المدوّنة الفقهيّة من آراء وأقوال حول مسألة الغناء والمعازف في التّراث الدينيّ؛ بل هو نظرٌ بحثيٌّ يلِجُ إلى هذا الإشكال الفقهيّ من بوّابتي الفلسفة والتّأريخ، نظرٌ كرونولوجي يتوخّى فهما أوسع وأشمل لهذه الظاهرة المكرورة، الّتي دام الجدل فيها طوال أربعة عشر قرنا من الزّمن، وما زال".

**خلفيّة كتاب إيران**

حاولت شخصيّا ولسنوات مضت الاقتراب من المجتمع الإيرانيّ، وهذا يحتاج إلى شيء من التّأني، كما يحتاج إلى شيء من الإنصاف، والتّجرد من الميولات السّابقة، فمن النّاقدين من يخلط بين رؤية سياسات بلده وبين الاجتماع البشريّ في إيران، فإذا كانت العلاقة سيئة كانت الإسقاطات العموميّة السّلبيّة حول المجتمع الإيرانيّ، ويربط كلّ شيء بالسّياسة، ويحصر أمّة

كبيرة يقترب سكانها من تسعين مليونا في الحزب الحاكم، أو في منصب الوليّ الفقيه والمرشد الأعلى للثّورة الإسلاميّة، هذا الكتاب يتحدّث عن الإنسان الإيرانيّ كإنسان من حيث عاداته ورؤيته وتعدّده الدّينيّ والمذهبيّ والعرفانيّ، وتوجهاته اليمينيّة واليساريّة وما بينهما، ومن خلال لقاءات وحوارات من داخل إيران ذاتها، بعيدا عن الإسهاب في اقتباس نصوص من كتابات خارجيّة .

## مقترح تفعيل مكتبة النّادي الثّقافيّ

فكرة جميلة في استغلال فضاء المكتبة، وسدّ فراغات النّادي، خصوصا في رمضان والصّيف، بيد أنّ العيش في كتب الماضي أمام الكم المعرفيّ المعاصر؛ لا أراه حالة صحيّة، ويمكن – في نظري – توظيف الفكرة في إنشاء مخبر نقديّ لأهم الكتب العمانيّة المعاصرة، فكرتها على شكل ورشة مخبريّة نقديّة بحضور المؤلف، ويستثمر علاء أو غيره في جذب الشّباب للمشاركة، وتعويدهم على القراءة النّقديّة، فيكون الجمع بين النّتاج المعاصر المقترن بالنّقد، والدّافع إلى المستقبل، وفي الوقت نفسه يتجاوز المخبر القراءات الإعجابيّة الهامشيّة، إلى القراءات النّقديّة، كما أنّه أداة لإخراج وجوه جديدة تجمع بين القراءة والنّقد، يظهر أثره بعد حين.

## كتاب "التّحول الثّقافيّ في عُمان المعاصرة"[82]

كتاب "التّحول الثّقافيّ في عُمان المعاصرة"، والّذي صدر عن الجمعيّة العمانيّة للكتّاب والأدباء، ودار جدل، وحرّره الدّكتور مبارك الجابريّ، هذا الكتاب – في نظري – من الكتب المحكّمة المهمّة في المكتبة العمانيّة خصوصا، والعربيّة عموما، فهو يحتوي على مباحث مهمّة، ولها حساسيتها سابقا من حيث الطّرح، وقلّ طرحه وبحثه بشكل منهجيّ علميّ وأكاديميّ، في محاولة للإجابة عن التّحوّلات في الثّقافة والإعلام والاقتصاد (الرّيع) والدّين والقبيلة.

ثمّ إنّ وجود دراسات بحثيّة محكّمة في حدّ ذاتها مرحلة مهمّة لابدّ منها في نهضتنا المتجدّدة، وهذا لا يمكن عزله عن التّحولات التّأريخيّة بشكل عام، وعن التّحوّلات الكبرى بعد 1970م.

والّذي يقوم به الدّكتور مبارك الجابريّ من خلال التّعاون بين الجمعيّة العمانيّة للكتّاب والأدباء ووزارة الإعلام خطوة مهمّة ونحتاج إليها في هذه المرحلة من خلال البحوث والدّراسات العلميّة المحكّمة، حيث لا تتوقف عند الدّراسات الانطباعيّة السّريعة، أو البحوث الأفقيّة العابرة، وقد سبق أنّ أصدر الدّكتور مبارك كتاب "خارج الأسوار" حول الدّراسات الثّقافيّة، شارك فيه كتّاب وباحثون عمانيون وعرب لهم مكانتهم العلميّة والبحثيّة، وهو من الكتب المحكّمة المهمّة في نظري في المكتبة العربيّة، بيد أنّه – للأسف – لم يلق ترويجا كبيرا يحظى بمكانته.

وأرجو أن تكون هناك مشاريع محكّمة أخرى، ولا يتوقف عند هذين المشروعين من قبل الجمعيّة خصوصا، وما قامت به في السّنوات العشر الأخيرة خصوصا من نشر وطباعة العديد من الكتب الّتي لها قيمتها المعرفيّة، بيد أنّها أن تتبنى مثل هذه الأبحاث المحكّمة أرجو أن يتوج ذلك بمركز بحثيّ فيها تتحفنا كلّ عام بدراسات محكّمة كهذه، ولا يتوقف عند طباعة بحوث النّدوات العابرة، والّتي عادة تكتب بشكل سريع وغير محكّم.

[82] موقع بدر العبريّ.

كما أرجو من الجمعيّة وقد أشهرت دار نشرها "مسندم" أن تفتح معرضا ومقرّا لها دائما سواء في مقرّها بالجمعيّة أو في إحدى المجمعات الكبرى (المولات) أو ما تراه مناسبا، بحيث يكون جميع كتبها متاحة للعرض والبيع خلال جميع أيام العام، كما أرجو أن تفتح منصّة الكترونيّة لها تعرض بيع كتبها أو عرض ما هو متاح، وممكن بيع ذلك إلكترونيّا أو ورقيّا، حيث نتاجها والحمد لله تجاوز ثلاثمائة كتابا في فترة قصيرة جدّا، ومنها بحوث وكتب لها قيمتها المعرفيّة والنّقديّة، فلا ينبغي أن تقتصر عند المعارض فقط.

عموما سعدت أنّ أشارك في كتاب "التّحول الثّقافيّ في عُمان المعاصرة" ببحث حول التّحوّلات في الفكر الدّينيّ، مع بحوث وهي: "سؤال التّحوّل الثّقافيّ في عُمان" للدّكتور مبارك الجابريّ، وبحث: "أثر وسائل الإعلام في التّحول الثّقافيّ" للدّكتورة رفيعة الطّالعيّة، وبحث "أثر الرّيع في التّحول الثّقافيّ" للأستاذ عليّ الرّواحيّ، وبحث: "التّحوّل من الثّقافة القبليّة إلى الثّقافة المدنيّة" للأستاذ إسماعيل المقباليّ، وسيكون الكتاب حاضرا في معرض مسقط للكتاب في ركن الجمعيّة العمانيّة للكتّاب والأدباء.

## رسالة إلى مجلّة الحياة بشأن مذكرة رحلات إلى جزيرة جربة

مجلّة الحياة المحترمون،،،

تحيّة طيبة وبعد،،،

يسعدني أن أرفق لكم مذكرة رحلات إلى جزيرة جربة بالجمهوريّة التّونسيّة، وتوثيق لبعض معالم الوجود الإباضيّ فيها عن قرب.

وكنت أرغب في نشرها في مجلّة الحياة الموقرة، وتأخرت في إنهاء إعدادها لظروف كتابيّة أخرى طارئة، فلا أدري إن كان هناك وقت يسمح لتحكيمها ونشرها، كذلك هل يتناسب نشر المذكرات مع سياسة المجلّة، مع شكري لاهتمامكم.

محبّكم بدر العبريّ

سلطنة عمان – محافظة مسقط

فجر الأربعاء

13 رجب 1446هـ/ 13 يناير 2025م

## مقدّمة الطّبعة الثّانية لكتاب الجمال الصّوتيّ

لقي - والحمد لله – كتاب الجمال الصّوتيّ: تأريخه ورؤيته الفقهيّة (مراجعة في النّصّ الدّينيّ حول الغناء والمعازف) قبولا حسنا، وكتبت حوله بعض القراءات في عمان وخارجها، كما أنّ بعض نصوصه أعدّت كحلقات إذاعيّة، وأجري مع المؤلف بعض اللّقاءات والجلسات حول الكتاب، لهذا لم يدم طويلا، حيث نفدت أغلب نسخه، ممّا جعل بعضهم يسأل عنه.

وقد تكرّمت الجمعيّة العمانيّة للكتّاب والأدباء بالتّعاون مع الآن ناشرون وموزعون في الأردن بطباعته، وهي اليوم تتكرّم أيضا في طبعته الثّانية، فلها الشّكر سلفا، ولكلّ العاملين فيها، وأخصّ المهندس الأديب سعيد الصّقلاويّ رئيس الجمعيّة، والأستاذ الكاتب خلفان الزّيديّ، والأستاذ عبد العزيز الرّحبيّ على السّؤال والمتابعة والتّحفيز.

ثمّ أنني أبقيت الكتاب كما هو، دون إضافة أو نقيصة، لإيماني – في الجملة – أنّ الأصل في الكتاب أن يبقى كما هو، خصوصا إذا كان معرفيّا بحثيّا خالصا، ولطبيعة الإنسان أنّه يتطوّر في فكره وقراءاته، فينبغي أن يكون ذلك وفق مشروع جديد، ولكوني كتبت أصل الكتاب في فترة مبكرة في حياتي كما أسلفت في مقدّمة الكتاب في طبعته الأولى، واستخدمت فيه الأدوات والمناهج التّقليديّة، ولو كتبته اليوم لكان المنهج الّذي أراه الآن أكثر تطوّرا واستيعابا للقراءات الحديثة، لهذا أرى أن يبقى كما هو، مع تصويبات بسيطة كتأريخ الوفيات، فبعض من اقتبست عنهم وقت الكتابة كانوا أحياء، ثمّ هم اليوم في العالم الآخر.

وإن كان من التفاتة فقد طبع الكتاب قبيل وفاة السّلطان قابوس بن سعيد - رحمه الله- ، أي في بداية عام 2020م، ولمّا تحدّثت عن النّشيد الوطني باعتبار ما كان في عهده، واليوم يعاد طباعة الكتاب في عهد السّلطان هيثم بن طارق – يحفظه الله -، حيث لمّا حكم في يناير عام 2020م بقي النّشيد كما هو، إلّا أنّه غيّر الجزء الأخير إلى:

فارتقي هام السّماء  واملئي الكونَ الضّياء

واسعدي وانعمي بالرّخاء

ولعلّي هنا اقتبس بعض ما كتب عن الكتاب أو الكاتب، من ذلك ما نشرته مجلّة نزوى في عددها (109) حول الكتاب، وممّا جاء فيه: "لطالما كانت مسألة الغناء والمعازف مثار جدل وخلاف في التّراث الدّينيّ الإسلاميّ، فقد استفاضت المدارس الفقهيّة في النّقاش حول النّصوص الدّينيّة المرتبطة بالغناء تحليلا أو تحريما، ولا مبالغة في القول بأنّه يكاد لا يخلو مجموع فقهيّ في تراثنا الإسلاميّ من باب يتناول هذه المسألة، فضلا عن الكتب الكاملة الّتي تناولت هذا الموضوع خصّيصا، بيد أنّ ما يميّز كتاب الجمال الصّوتيّ، تاريخُه ورؤيته الفقهيّة لبدر العبريّ، الصّادر عن الجمعيّة العُمانيّة للكتّاب والأدباء 2020، أنّه لا يتناول رؤية العقلَ الفقهيّ للغناء وآلات العزف بمعزل عن الظّرف التّأريخيّ والاجتماعيّ المحيط به.

الكتاب إذن؛ ليس سردا خالصا لما ورد في المدوّنة الفقهيّة من آراء وأقوال حول مسألة الغناء والمعازف في التّراث الدينيّ؛ بل هو نظرٌ بحثيٌّ يلِجُ إلى هذا الإشكال الفقهيّ من بوّابتي الفلسفة والتّأريخ، نظرٌ كرونولوجي يتوخّى فهما أوسع وأشمل لهذه الظاهرة المكرورة، الّتي دام الجدل فيها طوال أربعة عشر قرنا من الزّمن، وما زال.

يوسّع العبريّ أفق البحث والنّظر في إشكالات هذه القضيّة من خلال مسارات ثلاثة: التّأريخ، وفلسفة الجمال، واستدلالات المدوّنة الفقهيّة، فإذا كانت مراجعة الموروث الدّينيّ، والنّظر في الاستدلالات الفقهيّة هي هدف الكتاب وغايته؛ فإننا نجده -سعيا للإحاطة بالظّرف التّأريخيّ والاجتماعيّ- يقدّم أولا فَرْشًا تأريخيّا حول علاقة الإنسان الأولى بآلات العزف وتطوّر مسيرة الغناء عبر التّاريخ، راصدا حضور الفنون الغنائيّة وآلات العزف في التّراث العربيّ والغربيّ، ثمّ يدرس ثانيا علاقة الغناء بفلسفة الجمال، مقاربا العلاقة التلازميّة الرّابطة بين الفنون الجميلة وفلسفة الجمال، باحثا مدى اقتراب التّأصيل الفقهيّ الموروث من مفاهيم فلسفة الجمال.

وفي العموم؛ تنتظم الكتاب فكرة تخليص الجمال الصّوتيّ، عزفا وغناءً، ممّا شابه من التباسات التّاريخ والشّروط السّياسيّة والاجتماعيّة؛ لذا راح الكتاب يتتبع الظّاهرة، وما لابسها من ظروف وأحوال رافقتها عينُ الفقيه تحليًا أو تحريما، تشديدا أو إباحة".

ومن هؤلاء أيضا مقالة الملحن العمانيّ مسلّم الكثيريّ حول الكتاب نشرها في جريدة عمان، وممّا قال فيها: "مقالي الثّقافيّ هذا ... أحاول فيه تسليط الضّوء على المهمّة بالغة الحساسيّة الّتي يشتغل عليها بدر العبريّ بشأن بلورة رؤية فقهيّة جماليّة تنويريّة للفنون عامّة، وللموسيقى على وجهه الخصوص، تختلف اختلافا حقيقيّا عن الرّؤية الفقهيّة التّقليديّة في عُمان.

من هنا أودّ في هذا المقال التّنويه بأهميّة جهود بدر الفكريّة، ومنهجيّته الموضوعيّة والواقعيّة، وضرورة تطويرها في البحث والتّأليف والممارسة، وأدعو في هذه المناسبة إلى مغادرة الآراء الفقهيّة المتشدّدة بشأن مسألة الموسيقى والغناء بما في ذلك المعاني والمصطلحات التّاريخيّة، مثل: الملاهي واللهو الجامدة والمقلّلة في الوقت نفسه من قيمة الفنّ الموسيقي غناء وآلات.

لقد حبس بعض الفقهاء أنفسهم قرونا طويلة داخل نصوص الرّوايات الّتي أقلّ ما يقال بشأنها إنّها محلّ اختلاف، علاوة على عدم ثبوت صحتها، فتأخروا عن المشاركة في صياغة الفكر والصّناعة الفنيّة والجماليّة العربيّة الإسلاميّة الّتي تولاها الفلاسفة والمنظرون العرب الّذين ساهموا مساهمة كبيرة في تطوير فنّ الموسيقى وصناعة الآلات الموسيقيّة، ليس في الحضارة العربيّة الإسلاميّة فحسب بل والأوروبيّة والعالم.

بدر ... ينطلق في بحثه عن الجمال الإلهيّ والمعرفيّ حسب تعبيره من قوله تعالى: {قل سيروا في الأرض}، فكلّما سار الإنسان في الأرض توسّعت مداركه كما قال في إحدى حواراته الإذاعيّة.

استمعت إلى ملخّص كتابه [أي الجمال الصّوتيّ] ... وقد استعرض فيه جزءا من تاريخ الغناء والموسيقى كظاهرة إنسانيّة، ثمّ عرج على آراء عدد من النّظريّات والفلسفات بشأن الفنون والموسيقى قبل أن يقدّم بشكل مفصل آراء وحجج الفقهاء من جميع المذاهب الإسلاميّة بما فيها المذهب الإباضيّ، ويختم استعراضه هذا برؤيته الخاصّة بأنّ الغناء والمعازف من مسائل

الرّأي المختلف عليها منذ عهد صحابة النّبيّ - صلّى الله عليه وسلّم - حتّى وقتنا هذا، وفي هذا الشّأن يقول: ونحن إذا ما تأملنا الأدلّة ... نجد أدلّة الجواز أقرب إلى روح الشّريعة، وأبعد عن التكلّف في الصّناعة .... وتُنتقد الموسيقى ليس لذاتها؛ بل للسّلوكيات التي قد ترتبط بممارستها أحيانا، ولعلّنا إذا طبّقنا هذه القاعدة سيعمّ النّقد كلّ شيء نمارسه في الحياة الدّنيا، ومن وجهة نظري فقه الموسيقى والفنون لا يزال متأخرا عن الواقع المعاش، وهذا الفكر التّقليديّ يبدو دائما إمّا متشدّدا، أو محاولا بحذر اللّحاق بالمتغيرات الكثيرة دون أن يتقدّمها، ولكن بدر العبريّ قد تجرأ وقال ما يراه صوابا يتفق مع الفطرة الإنسانيّة وواقع الحياة، مستوعبا المتغيرات التّاريخيّة، ووظائف الموسيقى المتنوّعة والمتعدّدة في حياتنا المعاصرة، حيث أقيمت لها المنشآت الخاصّة، وكثر الممارسون، وتنوّعت الآلات الموسيقيّة، والتّعبير الموسيقيّ، وأنماط الممارسة الفنيّة، علاوة على أنّها صناعة ثقافيّة معاصرة، ومادّة أساسيّة في وسائل الإعلام المرئيّة والمسموعة، والتّربية والتّعليم، والثّقافة والسّياحة".

بدر بن سالم بن حمدان العبريّ

ولاية السّيب – الموالح الجنوبيّة

23 ربيع الثّاني 1446هـ/ 26 أكتوبر 2024م

## ملحوظات تصحيح كتاب بيبي ميزون لفاطمة ناصر

اطّلعت على الكتاب حول السّيدة ميزون، للكاتبة فاطمة ناصر، ووجدته قيّما، منسقا بشكل أدبي رفيع، مع جهد توثيقي مشكور، عدا هذه الملحوظات:

أولا: الملحوظات الإملائيّة صححتها دون الإشارة إليها أو تظليلها، والّتي أرها وضعت بشكل خطأ، وغالبها وضع الفاصلة مكان الفاصلة المنقوطة، أو وضع همزة القطع مكان الوصل، أو عدم وضع العلامة أصلا.

ثانيا: الأخطاء النّحويّة والصّرفيّة وضعتها مظلّلة باللّون الأصفر بعد تصويبها، ومن حقّ الكاتبة مراجعتها.

رابعا: يحتاج بعض الفقرات تدمج لعلاقتها بالفقرة السّابقة.

خامسا: جمل تحتاج إلى إعادة نظر وهي:

- إن كنت خائفة على صحتها لهذا الحد، فإنها ستأذن لي بالجلوس في زاوية المجلس وحضور لقائها بالناس. (غير واضح من المخاطب) ولعل الصواب: إن كنتِ خائفة على صحتي إلى هذا الحد، فاجلسي في زاوية المجلس، واحضري لقائي بالناس.
- فقررت أنني أريد ذلك اليقين القوي الذي سمعته منها (يحتاج إعادة صياغة)
- ولكن عمى الإنسان الذاتي هو السبب إن لم يستطع رؤيته (يحتاج إعادة صياغة)
- كنت أذهب لمعاينتها بشكل يومي في مقر إقامتها في (Waregrave)، حين تم إبلاغي بأن والدتي تحتضر تأثرت كثيراً، وكان عليَّ أن أذهب لأراها بشكل يومي (هنا تداخل بين السيدة ميزون وأم الطّبيبة، ولعلّ المراد: لمّا كنت أذهب ... تمّ إبلاغي ...) ينظر.
- وتهتم هذا الكبير بمن حولها؟! (لعلّ المراد وتهتم بهذا العدد الكبير ...) ينظر.
- حول المرأة المسلمة في القرن 12- (غير واضح أي قرن)
- فهي ذات وجهة ضعيف تحتاج التاج ليظهرها بمظهر الأميرة (غير واضح: يحتمل ذات وجهة ضعيفة، أو ذات وجه ضعيف) ينظر.

سادسا: وهذه بعض الملحوظات العّامة:

- ولأنني أتبع نهجا أقرب إلى النهج الصوفي في إسلامي، وليس النهج السني (لعلّها تقصد النّهج السّلفيّ أو الوهابيّ؛ لأنّ الصّوفيّة سنة في الجملة) ينظر
- " المؤمنين والمؤمنات " فهي تتكرر كثيرا في القرآن (وردت مرة واحدة في القرآن حسب علمي)
- معنا معالي عمر الزواوي (الهامش فارغ مع أنّه سبق ترجمته)
- عن موضوع معين بتفصيل يتجاوز علاقته بالسيدة ميزون (في نظري جميع المواضيع لها علاقة بالسيدة بما فيها الحديث عن ابنها قابوس، ولكن ممكن إضافة كلمة بشكل مباشر) وجهة نظر

سابعا: توجيهات:

- تكسر همزة إنّ بعد القول مثل: قال: إنّ اللّيل مظلم.
- لا ينبغي وضع نقطة نهاية العناوين الفرعيّة، وممكن وضع: (:) أو تترك.
- الأرقام الصّغيرة ينبغي كتابتها بالحروف، مثل: بعد عشرين عاما.
- الكلمات المنتهية بألف مقصورة لا ينبغي تنوينها؛ لأنّ الألف علامة التّنوين، مثل صباحا ونهارا، لا تكتب: صباحاً ونهاراً، وإن كتبت يضع التّنوين قبل لأنّها ساكنة، مع الأولى عدمه؛ لأنّ الألف تغني عن التّنوين.
- لا داعي لإكثار كلمة رحمه الله، ويكفي مرة واحدة.
- بعد أرقام السّنوات الميلاديّة يحبّذ وضع م مثل: 1992م.

كتبه بدر العبريّ

صباح الاثنين

4 ربيع الثّانيّ 1446هـ/ 7 أكتوبر 2024م

## ملخص ورقة أنسنة التّعبير في و اقع الدّولة القطريّة من لاهوتيّة المدارس السّياسيّة الإسلاميّة الأولى إلى أنسنة الدّولة القطريّة المعاصرة[83]

**مفهوم الدّولة القطريّة** تزامن مع الدّولة الحديثة، إلا أنّه اليوم أصبح واقعا في العالم أجمع تحت مظلّة حقوقيّة واحدة، ومنها العالم الإسلاميّ والعربيّ، حيث تحوّل من دولة الخلافة إلى دولة المواطنة، وقد كان تجربته السّابقة **قد تطوّرت بعد حادثة السّقيفة (11ه)**، حيث تجمعت القبائل المختلفة في زاوية واسعة جغرافيّا، وتمدّدت بتمدّد انتشار الإسلام، من الأمّة والإمارة، إلى الإمامة والخلافة، ابتدأت من الشّورى إلا أنّها رجعت إلى الوراثة في القبيلة أو الأسرة أو الشّخص الأقرب نسبا، وتباينت الشّورى بين **الشّورى المطلقة في الأمّة** كما عند الإباضيّة والعديد من المعتزلة، أو **الشّورى وفق القرشيّة** كما عند غالب السّنة وأهل الحديث، أو **الشّورى في البطن الهاشميّ نصّا جليّا في عليّ بن أبي طالب** (ت 40ه) وذرّيته من بعده كما عند الإماميّة والنّصيريّة والإسماعيليّة والجاروديّة، **أو نصّا خفيّا في البطنين من بني هاشم** كما عند الزّيديّة، وجميعهم يقولون بالشّورى إلا أنّ أغلبهم قيّدها بالقرشيّة أو النّصيّة، كما اختلفوا في إطلاقيّة القيد من ظرفيّته خصوصا في القرشيّة.

**ارتبط تطوّر الخلافة أو الإمامة بلاهوت النّصّ لتبريره**، من رواية "قدّموا قريشا ولا تَقَدّموها" لحل أكبر مشكلة بين المهاجرين والأنصار بعد وفاة النّبيّ – صلّى الله عليه وسلّم -، لتصبح رواية "الأئمة من قريش" قاعدة قيديّة لها ظرفيّتها حينها كقول عبد الله بن أبي السّرح (ت 36ه): "أيّها الملأ إن أردتم أن لا تختلف قريش فيما بينها فبايعوا عثمان" أي بعد وفاة عمر (ت 23ه)، هذه الرّؤية ستتمدّد في الدّولة الأمويّة من خلال روايات الخلافة ومناقب بني أمية وروايات الجبر والتّحذير من الخوارج والخروج، ثمّ تتسع الرّؤية أكثر في الدّولة العباسيّة لتحمل قيد القرشيّة، وطبيعة الوراثة، وتضيف إليها روايات النّصيّة في البطن الهاشميّ، ولتطوّر

[83] مقدّم للمعهد العاليّ في الدّراسات التّطبيقيّة في الإنسانيّات بسبيطلة -جامعة القيروان في الجمهوريّة التّونسيّة - ندوة المدينة، الدّورة الرّابعة، بعنوان: "الإنسان والتّعبير" 29 – 31 أكتوبر 2024م.

المباحث الكلاميّة تطوّر الجانب اللّاهوتي، ويصبح التّعبير السيّاسي يعيش في اغترابات لاهوتيّة أكثر منها إنسانيّة.

**وارتبطت الدّولة العثمانيّة بروايات التّغلّب** لاحقا للخروج من أزمة روايات القرشيّة، ومع سقوط فكرة الخلافة والّتي ارتبطت بالدّولة العثمانيّة مؤخرا إلّا أنّ مفهوم الخلافة كأمل عودة له ظلّ موجودا إلى اليوم، وكان قائما ابتداء مع بدايات المدرسة الإصلاحيّة كما عند الإمام محمّد عبده (ت 1905م)، إلّا أنّه تراجع عن هذا الرّأي مع تقادم العهد، ولتبلور الدّولة القطريّة كواقع، **وظلّ مفهوم الخلافة حاضرا مع حركات الإسلام السّياسيّ خصوصا** عند الإخوان المسلمين ابتداء من حسن البنا (ت 1949م)، مع محاولة أسلمة الدّولة لا علمنتها بالمعنى الشّموليّ، هذا الاتّجاه الحركيّ السّنيّ الإخوانيّ أثر في الجانب الشّيعيّ الإماميّ القائلين بالنّصّ الجليّ أيضا، ومع تأثر بعض الشّيعة الإماميّة بالإخوان المسلمين مبكرا؛ لهذا ولد حزب الدّعوة الشّيعيّ في العراق عام 1957م، والّذي كان محل جدل في حوزة النّجف حينها، لطبيعة الاتّجاه الشّيعيّ الإماميّ السّلبيّ من السّياسة بعد الغيبة الكبرى، وانقطاع السّفارة، إلا أنّها تظهر وتخفت بين فترة وأخرى بنسب متفاوتة، بيد أنّ التّشكل الأكبر كان مع الإمام الخمينيّ (ت 1989م)، **والّذي طوّر نظريّة ولاية الفقية من النّيابة عن الإمام الغائب في بعض الجوانب**، إلى النّيابة عنه حتّى في الإمامة الكبرى، كما استطاع أيضا تطبيق ذلك عمليّا بعد الثّورة الإيرانيّة 1979م، إلا أنّ هذه التّجربة الوليدة للشّيعة في التّأريخ من حيث الولاية العامّة للفقيه؛ إلا أنّها أمام نظريّات متقدّمة للدّولة اليوم من حيث الانتخابات، وطريقة الاختيار، والدّساتير المرتبطة بالمواثيق الدّوليّة وغيرها، لهذا حاولت هذه الرّؤية المزاوجة بين التّراث وعلمنة الدّولة من خلال التّوسّع في الأسلمة من خلال المقاصد والمصالح، دون الوقوف عند حرفيّة النّصوص، مع ظهور نظريّات شيعيّة أخرى تزامنت مع ولاية الفقية كدولة الإنسان عند محمّد باقر الصّدر (ت 1980م) ومحمّد حسين فضل الله (ت 2010م)، وولاية الأمّة على نفسها كما عند محمّد مهدي شمس الدّين (ت 2001م)، بيد أنّ نظريّة ولاية الفقيه هي الغالبة في التّفكير الشّيعيّ الإماميّ اليوم.

**لفظة دولة لم ترد في القرآن الكريم إلا مرة واحدة في سورة الحشر** آية 7: {مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ}، والدّولة الشّيء المتداول يدار بينهم، تارة عند هذا وتارة عند هذا، وتطوّر التّعبير إلى التّداوليّة في الوزارة والسّلطة والملك، وقد كان سابقا يعبّرون عنها بدولة الخلافة أو الإمامة أو الولاية.

**القرآن لم يتطرّق إلى مفهوم الدّولة ولا حتّى الخلافة والإمامة ونظامها**، ممّا يجعلها في الدّائرة المفتوحة، والمرتبطة بالظّرفيّة التّأريخيّة، فنظامها وفلسفتها متطوّرة بتطوّر الوعي الإنسانيّ، ولمّا نتأمل النّصّ الأول – أي القرآن – لا نجد كما أسلفنا مفهوما واضحا للدّولة، وإنّما أشار إلى قيمتي الحكامة بالعدل، وإلى الشّورى.

**بسقوط الدّولة العثمانيّة عام 1922م انتهت دولة الخلافة**، وبدأ تكوّن الدّولة الوطنيّة القطريّة، ومفهوم الدّولة بمعناها الإقليميّ الوطنيّ التّعاقديّ تبلور بشكل كبير في الغرب بعد عصر الأنوار، لهذا بدأت بعض المراجعات مبكرا، وأجرأها ما قدّمه عليّ عبد الرّازق في كتابه "الإسلام وأصول الحكم"، والّذي صدر مبكرا عام 1925م، والّذي خلص فيه "بأنّ محمّدا - صلّى الله عليه وسلّم - ما كان إلا رسولا لدعوة دينيّة خالصة للدّين، لا تشوبها نزعة ملك، ولا دعوة لدولة، وأنّه لم يكن للنّبيّ - صلّى الله عليه وسلّم - ملك ولا حكومة، وأنّه - صلّى الله عليه وسلّم - لم يقم بتأسيس مملكة، بالمعنى الّذي يفهم سياسة من هذه الكلمة ومرادفاتها، ما كان إلا رسولا كإخوانه الخالين من الرّسل، وما كان ملكا، ولا مؤسّس دولة، ولا داعيا إلى ملك".

**بيد أنّ طرح مثل هذه القضايا، ورغم بدايات تكوّن الدّولة الوطنيّة؛ لم يكن بتلك الإنشراحة في عالمنا الإسلاميّ والعربيّ**، ولم توجد قراءات ناقدة بشكل كبير، خشية الرّهاب الدّينيّ، وتأثيره على الجانبين السّياسيّ والاجتماعيّ، ومع ذلك طرحت بعض القضايا المتعلّقة بالدّولة والحكامة حينها، وقد كان الاستعمار في النّصف الأول من القرن العشرين الميلاديّ وحد جميع الاتّجاهات، **وتناغم الإسلاميون مع الاتّجاه اليساريّ والاشتراكيّ بشكل عام**، لنجد

كتابات إسلامية تحمل بعض مضامينها عناوين اشتراكيّة، ككتاب "التّكافل الاجتماعيّ في الإسلام لمحمّد أبو زهرة (ت 1974م)، و"اشتراكيّة الإسلام" لمصطفى السّباعيّ (ت 1964م)، و"العدالة الاجتماعيّة في الإسلام" لسيّد قطب (ت 1966م)، و"ومن هنا نبدأ" لخالد محمّد خالد (ت 1996م)، واعتبر عليّ شريعتيّ (ت 1977م) أنّ أبا ذر أول اشتراكيّ في الإسلام، فقد كانت هناك شيء من الانشراحة في التّعامل مع النّظريّة الاشتراكيّة، خصوصا في أجوائها الثّوريّة والاجتماعيّة وليس العقائديّة.

**نظريّة الخلافة ظلّت عالقة في التّفكير الإسلاميّ الحركيّ**، بيد أنّهم لاحقا أكثر انفتاحا على الأدوات العلمانيّة في الوسائل وليس الحاكميّة، والحاكميّة هي أسلمة الحكامة كما طرحها أبو الأعلى المودودي (ت 1979م) وسيّد قطب، ثمّ ظهر فريق آخر من التّيار السّلفيّ كفّر الدّولة المدنيّة لثلاثة أسباب كما عند محمّد عبد السّلام فرج في كتابه الجهاد الفريضة الغائبة: الأول: تعلو فيها أحكام الكفر أي تعطيل الشّريعة واستبدالها بالقوانين الغربيّة، والثّاني: ذهاب الأمان للمسلمين، إشارة إلى الاستبداد ضدّ الإسلاميين والتّضييق على أنشطتهم، والثّالث: المتاخمة أو المجاورة أي مع الكفار، وعلى هذا حكّام العصر كفار مرتدون وعقوبتهم أشدّ، ويستندون إلى نصوص ظاهريّة من القرآن مثلا: {وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ}، وبعض الرّوايات كرواية: "من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهليّة"، وتشكلت مؤخرا في أدبيات الحركات الجهاديّة كالقاعدة وداعش.

**كما أنّ الحركات اليساريّة والقوميّة كانت الأرقى في تصوّر الدّولة المدنيّة** في النّصف الأول من القرن العشرين، وكانت لها الرّؤية العصريّة في التّعليم والصّحة والزّراعة والرّعي، بيد أنّ الحركات اليساريّة في العالم العربيّ فشلت في التّطبيق العمليّ في الجملة، ويمكن القول بعد مائة سنة من سقوط الخلافة الإسلاميّة؛ **لم توجد تجربة قطريّة وطنيّة متكاملة في الوطن العربيّ، كما لم توجد روح إحيائيّة تجعل الجميع سواء في نهضته الوطنيّة، وعدم التّدخل في شؤونه الدّاخليّة**، لهذا نحن اليوم، ومع بدايات القرن الحادي والعشرين؛ لازال غالب أقطار

العالم العربي في صراعات طائفيّة وأهليّة، كما يعاني من الجماعات المسلحة، ومن الفقر والبطالة والضّعف في جميع المستويات.

وفي نهايات النّصف الثّاني من القرن العشرين، وبداية الألفية الجديدة، وجدت العديد من القراءات النّقديّة، أكثر انشراحا واقترابا من دولة المواطنة والإنسان، ووجدت العديد من الأطروحات والنّظريّات الإحيائيّة والنّقديّة، ولكن لتحقيق هذا **علينا أن نمايز بين الإحياء والتّدخل المصالحيّ**، وبين اتّجاهات الحكامة في الماضي وبين الدّولة الوطنيّة المعاصرة، وبين الدّولة الوطنيّة الشّموليّة وبين الدّولة الوطنيّة التّعاقديّة.

**وأمّا التّمايز بين الإحياء والتّدخل المصالحيّ**؛ فالإحياء مرتبطة بالإنسان من جهة، وبالقوميّة من جهة ثانية، من حيث الأنسنة، أي يرتبط كمواطن بذاته بعيدا عن أيّ انتماءات هويّاتيّة، ومن حيث القوميّة فهي قديمة كظاهرة اجتماعيّة، حديثة كانتماءات إحيائيّة وليست تصارعيّة أو احترابيّة ، فالأمّة العربيّة وإن كانت ابتداء مكوّن إنسانيّ، إلّا أنّها قوميّة مستقلّة لها جوامعها الخاصّة، لهذا لابدّ أن يفكر جميع أقطارها بعقل الإحياء للكل، لا بعقل المصالح والمنافع الآنيّة، فإحياء جزء منها هو إحياء للكل.

**وأمّا اتّجاهات الحكامة في الماضي وبين الدّولة الوطنيّة المعاصرة**، فظرفيّة الماضي تختلف عن ظرفيّة الحاضر، فلها قيمها المطلقة، إلّا أنّ مصاديقها ظرفيّة، ومنها ما يتعلّق بمصاديق الحكامة والسّلطة، فعلى العقل المعرفيّ أن يشتغل بقيم الدّولة، وحقوق الإنسان فيها، ومدى تحقّق قيم العدالة والمساواة، بدل الإغراق في قضايا ماورائيّة، أو صراعات مفاهيميّة

وهذا ينطبق أيضا على الدّولة **الوطنيّة الشّموليّة بينها وبين الدّولة الوطنيّة التّعاقديّة**، فدولنا العربيّة والإسلاميّة عموما كانت ملكيّة أم جمهوريّة، عليها أن تؤمن اليوم بضرورة التّعاقد، لأجل تحجيم الاستبداد، ولأجل الشّراك في الموازنات الدّاخليّة، والاستفادة

من التّدافع بشكل إيجابيّ، فيما يحققّ النّهضة الإحيائيّة في الدّولة القطريّة، مع ضرورة بعث الإحياء لجميع البشر، واحترام ما يرتضونه من تعاقد بينهم.

**تصوّرندوة حواريّة دوليّة حول: الآلات الأصوليّة والاستنباطيّة المنطقيّة بين الآلات التّقليديّة والنّظريات المعرفيّة المعاصرة**

**(مشروع كتاب)**

**المكان: النّادي الثّقافيّ بالقرم.**

**السّكن: ثلاث ليالي.**

**المقترح: نهاية يناير أو بداية فبراير.**

**المتحدّثون (المبلغ بالزّيادة):**

**يشترط تقديم ورقات عمل من 2000 - 3000 كلمة.**

| المتحدّثون | الدّولة | التّذكرة | السّكن مع الفطور | المكافأة مقابل الورقة |
|---|---|---|---|---|
| الأستاذ محمّد يحيى عزّان | قطر | 150 | 125 | 250 ريال |
| الدّكتور حيدر حبّ الله | لبنان | 250 | 125 | 250 ريال |
| الدّكتور مسعود سعيديّ | تونس | 300 | 125 | 250 ريال |
| مدير الجلسة (يحدّد لاحقا) | عمان | - | - | 100 ريال |
| المبلغ الجزئي | | 700 | 375 | 850 |
| المبلغ الإجمالي بدون المكافأت | | | | 1075ريال |
| المبلغ الإجمالي مع المكافأت إن تقرّرت | | | | 1925 ريال |

## تصوّر استكتاب كتاب الإله والدّين في عمان قبل الإسلام وامتداداته بعد الإسلام

**الجدّة:** لم يطرح الموضوع من قبل.

| العنوان | الشّخص المقترح (يمكن تبديله) | حدود الكلمة | الفترة الزّمنيّة | المبلغ |
|---|---|---|---|---|
| مدخل عام للكتاب | بدر العبريّ | 1000 كلمة | ثلاثة أشهر | - |
| الإله والدّين في النّقوش الأثريّة في عمان | خميس العدويّ | من 5000 إلى 8000 كلمة | ثلاثة أشهر | 250 ريال |
| الامتداد الدّينيّ في عمان في زمنيّة حضارة ما بين النّهرين وبلاد السّند وفارس القديمة | نائل حنّون | من 5000 إلى 8000 كلمة | ثلاثة أشهر | 250 ريال |
| الأديان الوثنيّة وما قبل الإبراهيميّة في عمان: الزّرادشت والمانويّة والغنوصيّة والهندوسيّة أنموذجا | إسماعيل المقباليّ أو حارث الخروصيّ | من 5000 إلى 8000 كلمة | ثلاثة أشهر | 250 ريال |
| اليهوديّة في عمان وعلاقتها بيهود اليمن | محمّد الشّحريّ | من 5000 إلى 8000 كلمة | ثلاثة أشهر | 250 ريال |
| الكنيسة النّسطوريّة وحضورها في شمال عمان: مسح للوجود | قيس البلوشيّ | من 5000 إلى 8000 كلمة | ثلاثة أشهر | 250 ريال |

| | | | | |
|---|---|---|---|---|
| المسيحي في عمان قبل الإسلام وبعده | | | | |
| حضور الأديان والمفردات الدّينيّة في التّراث الإسلاميّ العمانيّ: علم الكلام والفقه أنموذجا | يوسف أمبو عليّ أو ناصر السّعديّ | من 5000 إلى 8000 كلمة | ثلاثة أشهر | 250 ريال |
| التّعدّديّة الدّينيّة المعاصرة في عمان | عليّ الرّياميّ | من 5000 إلى 8000 كلمة | ثلاثة أشهر | 250 ريال |

## بعض المحاضرين المقترحين للمو افقات المبدئية في النّادي الثّقافيّ

**ملحوظة: يحدّد التّوقيت حسب الإمكانات الماديّة والمزاحمات الزّمنيّة**

أعدّ التّصوّر: بدر العبريّ

عضو مجلس النّادي الثّقافيّ

| المحاضر | البلد | العنوان المقترح مبدئيّا |
|---|---|---|
| رشيد الخيّون | العراق - بريطانيا | لاهوت السّياسة |
| جاسم السّلطان | قطر | التّراث وإشكالياته الكبرى |
| محمّد سليم العوا | مصر | نقد النظام السّياسيّ في الإسلام |
| زكي الميلاد | السّعوديّة | نقد المثقف الخليجيّ |
| توفيق السّيف | السّعوديّة | الدّيمقراطيّة الدّينيّة |
| عبد الجبّار الرّفاعيّ | العراق | علم الكلام الجديد |
| حيدر حبّ الله | لبنان | المعرفة بين الأسلمة والأنسنة |
| سعد سلوم | العراق | التّعدّديّة الإنسانيّة: جمال أم فساد |
| عبد الجواد يس | مصر | الإنسان والتّأويل: الدّين والتّدين أنموذجا |
| حنّا أسكندر | لبنان | أصول اللّغات القديمة في الوطن العربيّ |
| نادر كاظم | البحرين | نقد المركزيّة الإنسانيّة وما بعد الحداثة |
| يوسف البناي | السّعوديّة | الفيزياء والفلسفة: تكامل أم تضادّ |

| | | |
|---|---|---|
| فتحي المسكيني | تونس | تنوير الإنسان الأخير |
| سعيد ناشيد | المغرب | الحداثة والتّراث |
| صلاح الرّاشد | الكويت | نقد التّفكير الصّحويّ |
| زهير تغلات | تونس | نقد الفكر السّياسي الإباضي |
| أحمد برقاوي | فلسطين - الإمارات | الوطن العربي وأنطولوجيا الذات |

## تصوّر فعاليّة المعرفة والاجتهاد بين الآلات التّقليديّة والنّظريّات المعرفيّة المعاصرة بالنّادي الثّقافيّ

| | | |
|---|---|---|
| الورقة الأولى | الاجتهاد الأخلاقيّ في استنباط الشّريعة: عرض وتحليل لنظريّة العلاقة بين النّصّ الشّرعيّ والعقل الأخلاقيّ | الدّكتور حيدر حبّ الله (لبنان) |
| الورقة الثّانية | النّصّ الدّينيّ بين الثّابت والمتغيّر في نظام الدّولة والحكامة: العلمانيّة والدّولة الدّينيّة أنموذجا | الأستاذ محمّد يحيى عزّان (اليمن) |
| الورقة الثّالثة | النّصّ الدّينيّ وفق نظريّات التّأريخيّة والتّأريخانيّة: قراءة في معيار التّفريق بين المطلق والنّسبيّ | الدّكتور مسعود بن أحمد سعيديّ (تونس) |
| إدارة وتعقيب الدّكتور حمد الرّشيديّ | | (عُمان) |

## تصوّر جلسة بمناسبة يوم الفلسفة العالميّ

## يو افق العام 21 نوفمبر 2024م

## تصوّر جلسة علميّة حواريّة حول العلم بين الدّين والأخلاق

**الفكرة:** الإجابة عن هذه الأسئلة الجوهريّة: ما العلم؟ وما علاقة العلم بالدّين؟ وهل يجب أن يخضع العلم للضّوابط الأخلاقيّة؟

**الآلية:** يُعطى كلّ واحد مدّة زمنيّة لا تتجاوز 15 دقائق لكلّ سؤال، ليبيّن وجهة نظرة، ومن ثمّ يعطى الوقت للجمهور للمداخلات والأسئلة.

**المتحدّثون:**

- الدّكتور نضال قسّوم جزائريّ مقيم في الشّارقة.
- الدّكتور يوسف البناي من الكويت.
- الدّكتور حيدر أحمد اللّواتيّ من عمان.

**إدارة الجلسة:** عليّ الرّواحيّ.

**المكان:** النّادي الثّقافيّ أو جامع قابوس الأكبر (قاعة المحاضرات).

**الزّمان:** مبدئيّا (بداية نوفمبر 2024م) في الفترة المسائيّة [اليوم يحدّد لاحقا].

**التّكلفة الماليّة المقدّرة بالزّيادة:**

| المخرج | المبلغ المقدّر |
|---|---|
| تذكرتان | 600 ريال |
| غرفتان (السّكن) ثلاث ليالي | 300 ريال |

| | |
|---|---|
| الإقامة | 100 ريال |
| المكافئات للمتحدّثين الثّلاثة | 600 ريال |
| مدير الجلسة | 100 ريال |
| المبلغ الإجمالي | 1700 ريال عماني |

**المطلوب حاليا:**

- الموافقة المبدئيّة من إدارة النّادي لاتّخاذ الإجراءات الإداريّة والمخاطبات الرّسميّة.
- البحث عن داعم أو رعاة للفعاليّة.

**أعدّ التّصوّر المعرفيّ العام:** الدّكتور حيدر أحمد اللّواتيّ، بروفيسور أكاديميّ جامعة السّلطان قابوس.

**أعدّ التّصوّر الإداريّ والماليّ:** بدر العبريّ (عضو النّادي الثّقافيّ).

## تصوّر فعاليّة لشهر رمضان مع فطور جماعيّ في النّادي الثّقافيّ

الفكرة: بما أنّه لا توجد فعالية في النّادي طيلة الشّهر الفضيل، فجميل أن يكون هناك حضور جماهيريّ يتمثل في: أولا: دعوة مائة شخصيّة ساهمت في فعاليّات النّادي طيلة العام المنصرم لحضور فطور جماعيّ في العشر الأولى من رمضان.

ثانيا: إقامة جلسة حواريّة نقاشيّة مفتوحة حول المشهد الثّقافيّ في عمان، أو قراءة في الاستراتيجيّة الثّقافيّة، أو ما شابه ذلك، يشارك فيها نخبة من المعنيين والمهتمين مثلا: عائشة الدّرمكيّ – سعيد الصّقلاويّ – سليمان المعمريّ – عاصم الشّيديّ – خميس العدويّ (أمثلة فقط).

ملحوظة: -يحبّذ في العشر الأولى للسّبق، ولأنّ غالب الدّعوات عادة تكون بعد العشر الأولى.

مدّة الجلسة الحواريّة ساعة على الجدول التّاليّ:

| | |
|---|---|
| الفطور | 10د |
| الصّلاة | 20 د |
| تكملة الفطور | 20 د |
| الفعاليّة | ساعة فقط |
| وجبة خفيفة | مفتوح |

بدر العبريّ

مساء الأربعاء

20 شعبان 1446هـ/ 19 فبراير 2025م

## تصوّر محاضرة المثقف والسّلطة وتحدّي المو اقف الأخلاقيّة

**تصوّر محاضرة بالنّادي الثّقافي بالتّعاون مع مجاز والنّادي الاجتماعيّ للجالية السّودانيّة بسلطنة عمان.**

**عنوان المحاضرة:** المثقف والسّلطة وتحدّي المواقف الأخلاقيّة.

**المحاضر:** الدّكتور أحمد إبراهيم أبوشوك.

مؤرخ وناقد سوداني.

**يديرها:** (المقترح) الدّكتور زكريا المحرمي، حال تعذره مقترح الأستاذ عليّ الرّواحيّ، حال تعذره مقترح الأستاذ عليّ الرّياميّ.

**الزّمان:** الأحد 7 يناير 2024م في السّابعة مساء.

المكان: النّادي الثّقافي بالقرم.

**المو افقة:** تمّت الموافقة من أعضاء النّادي.

**التّكاليف الماديّة:** لا توجد تكاليف ماديّة إلّا إذا قدّم له النّادي مساهمة بسيطة إن وجدت.

**ملحوظة:** يحبّذ أن يصدر الإعلان اليوم حتّى لا يزاحم إعلان إبراهيم نصر الله.

# تصوّر مقترحات ومراجعات للنّادي الثّقافيّ في الجانب الكتابي

**معدّ التّصوّر: بدر العبريّ (عضو بالنّادي)**

| خريطة التّصوّرات |
| --- |
| الاستكتاب في إصدار كتابين محكمين في العام |
| إصدار مجلّة محكّمة سنويّة تصدر مصاحبة للتّدشين السّنويّ، ولها هويّة معينة |
| إصدارات النّادي |
| مراجعة توزيع ونشر كتب النّادي |
| إقامة مقهى بسيط بالنّادي |

**أولا: الاستكتاب في إصدار كتابين محكمين في العام.**

**الصّفة العامّة:** يصدر النّادي الثّقافيّ كتابين محكمين يتميزا بالجدّة والطّرح الجديد، النّصف الأول حول المجتمع العمانيّ، والثّاني حول الفلسفة والفكر والنّقد بشكل عام، ويستكتب لكلّ كتاب، ويكون التّعاون مع وزارة الإعلام، أو وزارة الثّقافة، ويعطى الباحث من 200 إلى 300 ريالا عمانيّا حسب الوفرة مع عشرة نسخ له، مع 50 إلى 100 ريالا عمانيّا لكلّ محكّم.

**تصوّر النّصف الأول من 2024م:**

**العنوان:** الإله والدّين في عمان قبل الإسلام وامتداداتها بعد الإسلام.

**الجدّة:** لم يطرح الموضوع من قبل.

**مباحث الكتاب المقترحة:** الإله والدّين في النّقوس الأثريّة في عمان – الأديان الوثنيّة وما قبل الإبراهيميّة في عمان: الزّرادشت والمانويّة والغنوصيّة والهندوسيّة أنموذجا – اليهوديّة في عمان وعلاقتها بيهود اليمن، الكنيسة النّسطوريّة وحضورها في شمال عمان: مسح للوجود المسيحي في عمان قبل الإسلام، حضور المفردات الدّينيّة في التّراث العمانيّ: علم الكلام والفقه أنموذجا، التّعدّد الدّينيّ المعاصر في عمان.

**شّروط الأوراق:** كلّ ورقة لا تقل عن 8000 كلمة ولا تزيد عن 1000 كلمة، مع الملخص لا يقل عن 200 كلمة، والمصادر والمراجع – يدخل الكتاب في لجنة تحكيم من أكاديميين لا تزيد عن شخصين – لا تصرف الأموال إلّا بعد الإجازة من لجنة التّحكيم مع التّصحيح.

**الخريطة الزّمنيّة للكتاب:**

**من 1 – 15 يناير:** اختيار المستكتبين والمحكمين ومخاطبتهم.

**من 15 يناير وحتّى 15 مارسّ:** التّسليم النّهائيّ للبحوث.

**من 15 مارس وحتّى 1 أبريل:** مراجعة التّصحيحات وملحوظات المحكمين.

**من 1 أبريل وحتّى 1 مايو:** تحويل الكتاب إلى التّنسيق ثمّ المراجعة الإملائيّة ثمّ التّرخيص الإعلاميّ واختيار دور النّشر للشّروع في الطّباعة.

**في نهاية مايو:** حفل تدشين الكتاب مع ندوة مصاحبة وتوزيعه في المكتبات للبيع – المكتبة المتعاقد معها يشترط منها نشر الكتاب وتوزيعه وتسويقه خارج عمان.

**<u>ثانيا: إصدار مجلّة محكّمة سنويّة تصدر مصاحبة للتّدشين السّنويّ، ولها هويّة معينة.</u>**

**أقسامها:**

**القسم الأول:** الاستكتاب بنسبة عشرين بالمائة أي بمقدار ثلاث مقالات لا تزيد عن 1000 كلمة حسب الهويّة العامّة المتفق عليها، ويعطى مكافأة ثمانون ريالا عمانيّا، بما فيها النّصوص المترجمة حسب شروط التّرجمة.

**القسم الثّاني:** إعلان عن المشاركة الكتابيّة بنسبة ثلاثين بالمائة أي بمعدل أربع أو خمس مقالات لا تزيد عن 1000 كلمة، ويعطى مكافأة ستون ريالا عمانيّا بعد إجازة لجنة إدارة المجلّة، بما فيها النّصوص المترجمة حسب شروط التّرجمة.

**القسم الثّالث:** يختار أهم ما طرح في النّادي الثّقافي وكان متناسقا مع هويّة المجلّة من قبل الإدارة، بنسبة ثلاثين بالمائة أي بمعدل أربع أو خمس مساهمات، ويفرغ لها باحث من خارج إدارة المجلّة من حيث الاختيار والتّنسيق والمراجعة، لا تزيد المساهمة عن 1000 كلمة، ويعطى المنسق مكافأة لا تقل عن 100 ريالا عمانيّا.

**القسم الرّابع:** قسم خاص عن النّادي ونشاطه ورؤيته وإصداراته في عام 2015م، بنسبة 15 بالمائة.

**القسم الخامس:** حوار مع شخصيّة عالميّة، بحيث يتميز الحوار بالجدّة والعمق ومتناسقا مع الهويّة، ويتولى الحوار إدارة المجلّة.

**اختيار اللّجنة العلميّة والإداريّة:**

**رئيس التّحرير:** يقترح من أعضاء النّادي.

**هيئة التّحرير: :** يقترح من خارج النّادي.

**اللّجنة الإداريّة والتّصميم:** أرشح محمود العبريّ وسند المحرزيّ وخليفة الحراصيّ.

**الجانب المادي: يقرّرلهم لاحقا حسب الإمكانات ولا يقل عن مائة ريال عماني.**

**الخريطة الزّمنيّة للمجلّة حال المو افقة:**

**من 1 إلى 10 يناير** اختيار اللّجنة العلميّة والإداريّة من قبل أعضاء النّادي.

**من 11 – 15 يناير** اجتماع اللّجنة المختارة واختيار الهويّة وتقسيم مهامها ورفع تقريرها.

**من 15 – 20 يناير** الإعلان عن المشاركة الكتابية ويكون آخر قبولها 1 يوليو 2024م.

**من 20 – 30 يناير** اختيار المستكتبين مع الفترة الزّمنيّة لتسليم المقالات المستكتبة لا يتجاوز 1 يونيو 2024م.

**على 1 أغسطس** تجميع 50 بالمائة من المواد.

**على 1 أغسطس أيضا** توفر مادّة الحوار.

**من 1 أغسطس إلى 1 أكتوبر:** فرز أهم المساهمات المقدّمة في النّادي.

**من 1 أكتوبر وحتى نهاية نوفمبر** التّصميم والتّراخيص والطّباعة.

**على 24 ديسمبر:** الإعلان عن المجلّة في حفل التّدشين وتوزيعها وتسويقها.

**<u>ثالثا: إصدارات النّادي</u>**

مراجعة آلية إصدارات النّادي السّابقة وآلية اختيارها، ونستفيد من تجربة الجمعيّة العمانيّة للكتّاب والأدباء، لأنّها الأفضل حاليا في نظري وهذا يحتاج إلى:

1- تحديد عدد الكتب المراد طبعها ومجالاتها.
2- تحديد المقدار المالي، وبه ممكن وضع آليّة عدد الكتب.
3- مراجعة العقود مع الكاتب والنّاشر.
4- التّعاقد مع دار متعاقدة مع النّادي قادرة على النّشر والتّوزيع والتّرويج خارج عمان.
5- تحديد فترة زمنيّة لاستقبال الكتب وتحديد شروطها ومجالاتها.

6- تدخل الكتب في لجنة أكاديميّة محكمة من خارج النّادي ويصرف لها مبلغ لا يقل عن 100 ريال عماني، وحال الكثرة من المحكمين 50 ريالا عمانيّا، مع النّظر في تفاوت عدد الكتب لكلّ محكم حسب مجال الكتاب.
7- تظهر الكتب في فترة واحدة في العام ويعلن عنها قبل معرض الكتاب.
8- تشكيل لجنة لمتابعة ذلك وأرشح من اللّجنة الإداريّة في النّادي لأنّه يحتاج إلى عمل إداري بعضويّة واحدة من أعضاء النّادي.
9- يصرف لهم مبلغ لا يقل عن 100 ريالا عمانيّا مقابل جهدهم.

**الخريطة الزّمنيّة:**

1- 15 يناير: مراجعة آلية إصدار الكتب سابقا، واختيار آلية جديدة، وحال الموافقة على ما قدّم أو البناء عليها يتمّ اختيار اللّجنة الإداريّة.
2- 15 – 30 يناير: الاجتماع باللجنة الإدارية.
3- 1 – 15 نوفمبر: وضع تصوّر وآلية لاختيار الكتب.
4- 15 مارس إلى 15 مايو: فترة الإعلان عن استقبال الكتب.
5- من 15 مايو إلى 15 يونيو: إدخالها للتّحكيم.
6- من 15 يونيو إلى 15 يوليو: تصويب وتصحيح ما قبل حسب لجنة التّحكيم.
7- من بعد 15 يوليو التّراخيص والتّنسيق والطّباعة.
8- في حفل التّدشين يعلن عنها مع تضمينها في المجلّة السّنويّة.

**<u>رابعا: مراجعة توزيع ونشر كتب النّادي</u>**

1- وضع آلية واضحة متى توزع مجانا ومتى يؤخذ منها مبالغ.
2- التّعاقد مع اللّولو مثلا بوضع خانة لكتب النّادي في جميع مراكز اللّولو المهمة في مناطق السّلطنة، مع توزيعها في المكتبات.
3- توزيع بعضها في المكتبات والجامعات خارج وداخل السّلطنة.
4- توكيل دار نشر عمانيّة لتوزيع بعضها خارج السّلطنة حال عدم مشاركة النّادي في المعارض العربيّة.

5- وضع معرض مستمر خارج قاعة المحاضرات في النّادي لبيع الكتب بشكل مستمر لأجل تحريك ريعها، ويتحرك المعرض مع تحرّك أماكن فعاليّات النّادي.
6- وضع إحصائيّة واضحة للكتب الموجودة لأجل الحصر والمحاسبة وإعادة طباعة المهم منها.

**خامسا: إقامة مقهى بسيط بالنّادي** يعود ريعه إلى النّادي أو من الباحثين عن عمل، بتوفير آلة قهوة بسيطة مع بعض الحلويات المعلبة وبعض المشروبات الباردة.

## تقرير محاضرة زهير تغلات بالنّادي الثّقافيّ

ألقى الدّكتور زهير تغلات من الجمهوريّة التّونسيّة مساء الأربعاء محاضرة بعنوان تجليات الفكر السياسي في مؤلفات سالم بن ذكوان والبرادي والشماخي والتي أدارها الأستاذ سيف المسكري، ومنها انطلق من أنّ الاهتمام بالفكر السّياسيّ لسالم بن ذكوان والبرادي والشّماخي بدأ يتعزّز شيئا فشيئا، وهذا يدركه جيّدا الباحثون لهذه المسائل، وعلاقتها بالفكر السياسي الحديث، والمتغيرات السياسية في المنطقة.

لهذا إنّ كلّ من يريد إعادة كتابة التّاريخ الاسلاميّ المبكّر في القرن الأوّل الهجريّ يجد نفسه مجبرا على العودة إلى هذه النّصوص في إطار اهتمام الدّراسات التّاريخيّة والأنتروبولوجيّة بما يسمّى بفكر الأقلّيات، وقد كان اهتمام المدرسة التّصحيحيّة الانغلوسكسونيّة بهذا الفكر لافتا، لما قد يوفّره من مصادر متقدّمة تحظى بالثّقة، وتعود إلى الإسلام المبكّر، ومن ثمّة كان همّ الاستشراق الجديد البحث عن مصداقيّة الشّواهد الوثائقيّة والأبحاث الأركيولوجيّة، لإعادة قراءة التّاريخ الإسلاميّ قراءة إشكاليّة.

هكذا نتبيّن أهمّية منهجيّة لا تقدّر بثمن في استثمار هذه النّصوص المؤسّسة ففي تاريخ علم اجتماع الأديان يطرح سؤال كبير يتعلّق بمسألة الفرق: هل أنّ الفرقة سابقة للتّوحّد أم الأصل هو التّوحّد ثمّ يأتي الانشقاق بعد ذلك، وقد تكثّف هذه المقاربات في السّنين الأخيرة، فاضطلعت به مراكز بحوث ومؤسّسات، ولا جدال في أنّ هذا الجهد المعرفيّ رغم العقبات التي قد تعترضه، سيسهم في جمع شتات المؤلّفات الإباضيّة في المشرق والمغرب. فرصيد التّراث الإباضيّ على غير ما قد يُظنّ به من الافتقار والضّمور، غزير. وإن تمّ الالتفات إليه بالقدر المطلوب، أسهم في تنوّع الفكر الإسلاميّ وثرائه .

وسيرة سالم بن ذكوان، لسالم بن ذكوان الهلالي، وهي رسالة عقديّة مبكّرة، بدأ يتبلور فيها الفكر السّياسيّ الإباضيّ وهي من المراجع الرّئيسة للفكر السّياسي الإباضي جاءت مستفيضة ومفصّلة، والجدير بالذّكر أنّ هذا العنصر يمثّل أهمّ عناصر الرّسالة لأنّه يكشف بداية تشكّل الكلام السّياسيّ عند الإباضيّة بما يعنيه من جدل ومنافحة وتمايز منذ الصّدر الأوّل للتّأسيس.

ونعني بالكلام السّياسيّ الشّعارات والمقالات والأفكار والنّصوص التي أنتجتها الجماعات السّياسيّة التي بدأت تتشكّل في خضمّ الفتنة الكبرى واستمرّ وجودها بعدها مدّة من الزّمن ثمّ

اندثرت أو تطوّرت إلى أحزاب سياسيّة وفرق كلاميّة أكثر نضجا وقدرة على التّأقلم مع الظّروف السّياسيّة والاجتماعيّة والثّقافيّة المتحوّلة.

نشأ الكلام السّياسيّ الأوّل كما وردت عيّنات واضحة منه في رسالة سالم بن ذكوان على انشغال حاد بالقضايا السّياسيّة والاجتماعيّة الحامية التي عرفها المجتمع الإسلاميّ في القرن الهجريّ الأوّل/ القرن السّابع الميلاديّ، إنّ هذه القضايا عبارة عن أسئلة سياسيّة حارقة ومشاغل اجتماعيّة حيّة ووقائع جسيمة ذات تأثير حاسم في مجريات الحياة الاجتماعيّة تستقطبها جميعا بؤرة واحدة تتمثّل في إشكاليّة السّلطة والحكم وتنظيم المجتمع .

وقد نفهم من ذلك أنّ الأنساق العقائديّة المغلقة تنتج بفعل آلياتها الدّاخليّة استراتيجيّات رفض الآخر المختلف، وتجعل التّعايش مرفوضا أصلا أو أمرا متكلّفا مقبولا على مضض بحكم الأمر الواقع، ولكن هشاشته سرعان ما تفضي إلى انطفاء جذوته، فيعمّ التّكفير وتتبعه البراءة، ولكن لا مناص من أن يخوض المجتمع الحديث صراعا لاستبداله بمفهوم حديث ينأى عن الهوويّة الضّيقة، ويكون أوسع انتشارا وأكثر تأثيرا واستيعابا، وهو مفهوم "المواطنة" الذي يقول "بأوّلية الفرد."

فلا مناص إذن من ترسيخ مفهوم المواطنة في مسار ديمقراطيّ يحقّق الحرّية والعدالة من شأنه أن يسهم في تجاوز مفهوم الولاية والبراءة المحمّل بمعاني البغض والإقصاء والمفاضلة وتضييق الانتماء، نحو أفق أرحب يكفل المساواة لكافة أفراد المجتمع، ويسهم في تغلغل الرّوح الدّيمقراطيّة. وهذا الأفق يقتضي خلق فضاء عام ذو وظيفة استيعابية يكون منبرا للحوار والاقتراحات البنّاءة والتّوافق يستجيب لمبدأ التعدّد ويعقد نقاشا بين المواطنين حول مواضيع تكتسي طابع المصلحة العامّة، فيفضي إلى الاعتراف والتّقريب والتّعايش وفق قيم المواطنة.

# جدول زيارة الدّكتور زهير تغلات الجربيّ التّونسيّ

| اليوم | التّأريخ | الوقت | العمل | المنسق | ملحوظة |
|---|---|---|---|---|---|
| الأربعاء | 15 يناير | 4:25 | الوصول إلى مسقط | بدر العبريّ | طلب الإذاعة |
| | | 2:00 | الغداء | | |
| | | 6:00 | الذّهاب إلى النّادي وجولة في النّادي | داود | |
| | | 7:00 | محاضرة النّاديّ | بدر العبريّ وسيف المسكريّ | |
| | | بعد المحاضرة | العشاء والرّجوع إلى الفندق | | |
| | | | | | |
| الخميس | 16 يناير | الصّباح | مفتوح | صلاح قوجة | |
| | | 10:30 | زيارة وزير الإعلام | بدر العبريّ | |
| | | الغداء | | صلاح قوجة | |
| | | المساء | زيارة مكتبة قرّاء المعرفة | إبراهيم الصّلتيّ | |
| | | العشاء | العشاء مع الدّكتور زكريا المحرميّ | زكريا المحرميّ | |
| | | | | | |
| الجمعة | 17 يناير | 10:00 | زيارة أزكي ونزوى والمسفاة | بدر العبريّ | |
| | | الغداء | في حارة العقر | بدر العبريّ | |
| | | بعد المغرب | فعاليّة في مركز النّدوة بهلا | خميس العدويّ | |
| | | | | | |
| السّبت | 18 يناير | الصّباح | مفتوح | صلاح قوجة | |

| | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|
| | | الغداء | الغداء مع المترجم الحارثي | عبد الرّحمن الصّلتيّ | |
| | | بعد الغداء وحتّى اللّيل | الذّهاب إلى بديّة | الدّكتور سلطان الحجريّ | |
| | | | | | |
| الأحد | 19 يناير | الصّباح | مفتوح | الشّيخ الفلاحي | |
| | | الغداء | | | |
| | | العصر | زيارة مكتبة السّيّد محمّد بن أحمد | بدر العبريّ | |
| | | 7:00 | فعاليّة مكتبة السّيّد محمّد بن أحمد | بدر العبريّ وعليّ الرّياميّ | |
| | | | | | |
| الاثنين | 20 يناير | الصّباح | مفتوح | | |
| | | الغداء | | | |
| | | العصر | زيارة مطرح والتّسوق | صلاح قوجة | |
| | | العشاء | زهران العبريّ | | |
| | | | | | |
| الثّلاثاء | 21 يناير | الذّهاب إلى المطار ليلا | | | |

## جدول زيارة الدّكتور حيدر حبّ الله (لبنان) والدّكتور مسعود سعيديّ (تونس) والأستاذ محمّد يحيى عزّان (اليمن)

| اليوم | التّأريخ | الوقت | العمل | المنسق | ملحوظة |
|---|---|---|---|---|---|
| الخميس | 20 فبراير | 4:05 | وصول مسعود سعيديّ | بدر العبريّ | فجرا |
| | | العصر | زيارات داخليّة (سعيديّ) | | |
| | | 7:00 | عشاء وجلسة في الفلسفة والمنطق وعلم الكلام (سعيديّ) | | |
| | | 9:45 | وصول حيدر حبّ الله | كمال اللّواتيّ وبدر العبريّ | مساء |
| | | 12:55 | وصول محمّد عزّان | بدر العبريّ | منتصف اللّيل |
| | | | | | |
| الجمعة | 21 فبراير | 10 | الذّهاب إلى نزوى والمسفاة | بدر العبريّ | صباحا |
| | | | | | |
| السّبت | 22 فبراير | 9:30 | فطور في روزنة – السّيب | كمال اللّواتيّ وبدر العبريّ | |
| | | 11:30 | زيارة الأستاذ أحمد الفلاحيّ | بدر العبريّ | |
| | | 5:00 | جلسة في مزرعة مال الله مع العشاء | كمال اللّواتيّ وبدر العبريّ | عصرا |
| | | | | | |
| الأحد | 23 فبراير | 9:00 | زيارات ثقافية – الأوبرا أو جامع السّلطان قابوس | بدر العبريّ | صباحا |
| | | 6:00 | زيارة النّادي الثّقافيّ | | مساء |

| | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|
| | | 7:00 | محاضرة النّادي الثّقافيّ | | |
| | | | | | |
| الاثنين | 24 فبراير | فجر | موعد رجوع حيدر حبّ الله | | |
| | | 5:55 فجرا | موعد رجوع مسعود سعيديّ | | |
| | | 1:25 | موعد رجوع محمّد عزّان | | ظهرا |

## جديد مقترحات 2025 للنّادي الثّقافيّ

**أولا: المحتاجة إلى تكملة تمويل:**

**تمّ تمويل التّذكرة، بقي السّكن والمكافأة**

| المتحدّث والمجال | الدّولة | التّذكرة | السّكن مع الفطور | المكافأة مقابل الورقة | مدير الجلسة | المكافأة | التّأريخ المقترح |
|---|---|---|---|---|---|---|---|
| الفكر السّياسيّ عند ابن ذكوان والشّماخيّ والدّرجينيّ | تونس | 250 | 210 | 200 | سيف المسكري | 100 | 15 يناير |

**ثانيا: المحتاجة إلى تمويل:**

### تصوّر جلسة علميّة حواريّة حول العلم بين الدّين والأخلاق

**المكان:** النّادي الثّقافيّ أو جامع قابوس الأكبر (قاعة المحاضرات).

**الزّمان:** مبدئيّا (بداية نوفمبر 2024م) في الفترة المسائيّة [اليوم يحدّد لاحقا]. لكي يكون الكتاب جاهزا على نهاية ديسمبر ويضاف إلى مطبوعات 2026م بعد التّحكيم. (يوم الفلسفة العالميّ)

**التّمويل:** جاري البحث عن ممول.

| المتحدّثون | الدّولة | التّذكرة | السّكن مع الفطور | المكافأة مقابل الورقة |
|---|---|---|---|---|
| الدّكتور نضال قسّوم | الجزائر مقيم في الشّارقة | 100 | 125 | 250 ريال |

| | | | | |
|---|---|---|---|---|
| الدّكتوريوسف البناي | الكويت | 150 | 125 | 250 ريال |
| الدّكتورحيدرأحمد اللّواتيّ | عمان | - | - | 250 ريال |
| مديرالجلسة عليّ الرّواحيّ | عمان | - | - | 100 ريال |
| المبلغ الجزئي | | 250 | 250 | 850 |
| المبلغ الإجمالي بدون المكافأت | | | | 1350ريال |
| المبلغ الإجمالي مع المكافأت إن تقرّرت | | | | 1925 ريال |

**ندوة تكميليّة لو اقع الدّرس الفلسفيّ في عمان ومستقبله**

**المكان:** النّادي الثّقافيّ بالقرم.

**المقترح:** نهاية شهر مارس لكي يكون الكتاب جاهزا على نهاية مارس ويضاف إلى مطبوعات 2026م بعد التّحكيم.

**المتحدّثون:**

| الورقة | المعدّ المقترح مبدئيّا | المبلغ |
|---|---|---|
| حضورالفلسفة في المخطوطات والتّراث العمانيّ: مسح أفقي | خميس العدويّ | 150 ريال |
| و اقع الدّرس الفلسفيّ في المؤسّسات الجامعيّة العمانيّة المعاصرة | نبهان الحراصيّ | 150 ريال |

| | | |
|---|---|---|
| حضور نظريات وآراء الفلسفات المعاصرة في الكتابات العمانيّة الحديثة (١٩٩٠ - ٢٠٢٥) | حسن اللّواتيّ | 150 ريال |
| مقدّم الفعالية | محمّد العجميّ | 100 |
| المبلغ الإجمال الأولي | | 550 ريال |

## ثالثا: ممولة بالكامل (لا تحتاج تمويل)

ندوة حواريّة دوليّة حول:

الآلات الأصوليّة والاستنباطيّة المنطقيّة بين الآلات التّقليديّة والنّظريات المعرفيّة المعاصرة

(مشروع كتاب)

المكان: النّادي الثّقافيّ بالقرم.

السّكن: ثلاث ليالي.

المقترح: منتصف فبراير لكي يكون الكتاب جاهزا على نهاية مارس ويضاف إلى مطبوعات 2026م بعد التّحكيم.

التّمويل: تبرعت به إحدى الشّركات كاملا.

يشترط تقديم ورقات عمل من 2000 - 3000 كلمة.

| المتحدّثون | الدّولة | التّذكرة | السّكن مع الفطور | المكافأة مقابل الورقة |
|---|---|---|---|---|

| | | | | |
|---|---|---|---|---|
| الأستاذ محمّد يحيى عزّان | اليمن | 150 | 125 | 250 ريال |
| الدّكتور حيدر حبّ الله | لبنان | 250 | 125 | 250 ريال |
| الدّكتور مسعود سعيديّ | تونس | 300 | 125 | 250 ريال |
| مدير الجلسة (يحدّد لاحقا) | عمان | - | - | 100 ريال |
| المبلغ الجزئي | | 700 | 375 | 850 |
| المبلغ الإجمالي بدون المكافأت | | | | 1075ريال |
| المبلغ الإجمالي مع المكافأت إن تقرّرت | | | | 1925 ريال |

## نقد الأدب العربيّ

| المتحدّث والمجال | الدّولة | التّذكرة | السّكن مع الفطور | المكافأة مقابل الورقة | مدير الجلسة | المكأفأة | التّأريخ المقترح |
|---|---|---|---|---|---|---|---|
| مرزوق بن تنباك في تأريخ الأدب العربيّ | السّعوديّة | 200 | 125 | 200 | قيس السّيابيّ | 100 | شهر أبريل |
| المبلغ الإجماليّ | | | | | | | 625 |

## دعوة مشاركة في النّادي الثّقافيّ العمانيّ لفعاليّة "المعرفة الدّينيّة بين الآلات التّقليديّة والنّظريات المعرفيّة المعاصرة"

**الدّكتور الجليل: حيدر حبّ الله المحترم،،،**

**الباحث والمفكر الإسلاميّ من الجمهوريّة اللّبنانيّة**

**تحيّة طيبة وبعد،،،**

يسعدنا إشعاركم أنّ النّادي الثّقافي العمانيّ، وهو من أقدم المؤسّسات الثّقافيّة في عمان، إذ تأسّس عام 1983م؛ سوف يقيم ندوة بعنوان: **"المعرفة الدّينيّة بين الآلات التّقليديّة والنّظريات المعرفيّة المعاصرة"**، ويسعده تقديم الدّعوة لكم للمشاركة في النّدوة، تثمينا لجهودكم المبذولة في خدمة الإنسان والمجتمع العربيّ والإسلاميّ معرفيّا وثقافيّا، راجين منكم الموافقة وتقديم ورقتكم حول **"الاجتهاد الأخلاقيّ في استنباط الشّريعة، عرض وتحليل لنظريّة العلاقة بين النّصّ الشّرعيّ والعقل الأخلاقيّ"**، كما نرجو كتابة ورقة في ذلك لا تقلّ عن ألف كلمة ليتسنى نشرها في كتاب مستقلّ حول النّدوة، والنّدوة ستكون – بعونه تعالى - يوم الاثنين 17 فبراير 2025م، في مقرّ النّاديّ الثّقافي في مدينة القرم بمسقط، علما أنّ النّادي يتحمل تكاليف تذكرة السّفر والإقامة، مع مكافأة (مائتان وخمسون ريالا عمانيّا) نظير الورقة المكتوبة، راجين منكم الموافقة لأجل إنهاء حجوزات التّذاكر والإقامة، مع إرسال صورة شخصيّة للإعلان وصورة من الجواز للحجوزات، متطلعين إلى رؤيتكم قريبا في مسقط، مع الشّكر سلفا.

**الدّكتور الجليل: محمّد يحيى عزّان المحترم،،،**

**رئيس مركز الإمام زيد باليمن**

**تحيّة طيبة وبعد،،،**

يسعدنا إشعاركم أنّ النّادي الثّقافي العمانيّ، وهو من أقدم المؤسّسات الثّقافيّة في عمان، إذ تأسّس عام 1983م؛ سوف يقيم ندوة بعنوان: **"المعرفة الدّينيّة بين الآلات التّقليديّة والنّظريات المعرفيّة المعاصرة"**، ويسعده تقديم الدّعوة لكم للمشاركة في النّدوة، تثمينا لجهودكم المبذولة في خدمة الإنسان والمجتمع العربيّ والإسلاميّ معرفيّا وثقافيّا، راجين منكم الموافقة وتقديم ورقتكم حول **"النّصّ الدّينيّ بين الثّابت والمتغيّر في نظام الدّولة والحكامة: العلمانيّة والدّولة الدّينيّة أنموذجا"**، كما نرجو كتابة ورقة في ذلك لا تقلّ عن ألف كلمة ليتسنى نشرها في كتاب مستقلّ حول النّدوة، والنّدوة ستكون – بعونه تعالى - يوم الاثنين 17 فبراير 2025م، في مقرّ النّاديّ الثّقافي في مدينة القرم بمسقط، علما أنّ النّادي يتحمل تكاليف تذكرة السّفر والإقامة، مع مكافأة (مائتان وخمسون ريالا عمانيّا) نظير الورقة المكتوبة، راجين منكم الموافقة لأجل إنهاء حجوزات التّذاكر والتّأشيرة والإقامة، مع إرسال صورة شخصيّة للإعلان وصورة من الجواز للحجوزات والتّأشيرة، متطلعين إلى رؤيتكم قريبا في مسقط، مع الشّكر سلفا.

**الدّكتور الجليل: محمود أحمد سعيديّ المحترم،،،**

**أستاذ مساعد بالتّعليم العاليّ بجامعة القيروان في الجمهوريّة التّونسيّة**

**تحيّة طيبة وبعد،،،**

يسعدنا إشعاركم أنّ النّادي الثّقافي العمانيّ، وهو من أقدم المؤسّسات الثّقافيّة في عمان، إذ تأسّس عام 1983م؛ سوف يقيم ندوة بعنوان: **"المعرفة الدّينيّة بين الآلات التّقليديّة والنّظريات المعرفيّة المعاصرة"**، ويسعده تقديم الدّعوة لكم للمشاركة في النّدوة، تثمينا لجهودكم المبذولة في خدمة الإنسان والمجتمع العربيّ والإسلاميّ معرفيّا وثقافيّا، راجين منكم الموافقة وتقديم ورقتكم حول **"النّصّ الدّينيّ وفق نظريّات التّأريخيّة والتّأريخانيّة: قراءة في معيار التّفريق بين المطلق والنّسبيّ"**، كما نرجو كتابة ورقة في ذلك لا تقلّ عن ألف كلمة ليتسنى نشرها في كتاب مستقلّ حول النّدوة، والنّدوة ستكون – بعونه تعالى - يوم الاثنين 17 فبراير

2025م، في مقرّ النّاديّ الثّقافي في مدينة القرم بمسقط، علما أنّ النّادي يتحمل تكاليف تذكرة السّفر والإقامة، مع مكافأة (مائتان وخمسون ريالا عمانيّا) نظير الورقة المكتوبة، راجين منكم الموافقة لأجل إنهاء التّأشيرة وحجوزات التّذاكر والإقامة، مع إرسال صورة شخصيّة للإعلان وصورة من الجواز للحجوزات، متطلعين إلى رؤيتكم قريبا في مسقط، مع الشّكر سلفا.

## دعوة مشاركة النّادي الثّقافيّ العمانيّ لفعاليّة "تجليات الفكر السّياسيّ في مؤلفات سالم بن ذكوان والبّراديّ والشّماخيّ"

الدّكتور الجليل: الزّهير بن عمر تغلات من الجمهوريّة التّونسيّة المحترم

أستاذ جامعيّ مساعد في الدّراسات الحضاريّة والتّأريخيّة بالمعهد العاليّ للعلوم الإنسانيّة بمدنين بجامعة قابس.

تحيّة طيبة وبعد،،،

يسعدنا إشعاركم أنّ النّادي الثّقافي العمانيّ، وهو من أقدم المؤسّسات الثّقافيّة في عمان، إذ تأسّس عام 1983م؛ يسعده تقديم الدّعوة لكم لتقديم محاضرة بعنوان: **"تجليات الفكر السّياسيّ في مؤلفات سالم بن ذكوان والبّراديّ والشّماخيّ"**، تثمينا لجهودكم المبذولة في خدمة الإنسان والمجتمع العربيّ والإسلاميّ معرفيّا وثقافيّا، راجين منكم الموافقة: علما أنّ المحاضرة ستكون – بعونه تعالى - يوم الأربعاء 15 يناير 2025م، في مقرّ النّاديّ الثّقافي في مدينة القرم بمسقط، والنّادي يتحمل تكاليف تذكرة السّفر والإقامة، مع مكافأة (مائتان ريالا عمانيّا) نظير المحاضرة، راجين منكم الموافقة لأجل إنهاء التّأشيرة وحجوزات التّذاكر والإقامة، متطلعين إلى رؤيتكم قريبا في مسقط، مع الشّكر سلفا.

## تصوّر ندوة تكميليّة لو اقع الدّرس الفلسفيّ في عمان ومستقبله

**المكان:** النّادي الثّقافيّ بالقرم.

**المقترح:** نهاية شهر يناير أو بداية شهر فبراير لكي يكون الكتاب جاهزا على نهاية مارس ويضاف إلى مطبوعات 2026م بعد التّحكيم.

**المتحدّثون:**

| الورقة | المعدّ المقترح مبدئيّا | المبلغ |
|---|---|---|
| حضور الفلسفة في المخطوطات والتّراث العمانيّ: مسح أفقي | خميس العدويّ | 150 ريال |
| و اقع الدّرس الفلسفيّ في المؤسّسات الجامعيّة العمانيّة المعاصرة | نيهان الحراصيّ | 150 ريال |
| حضور نظريات وآراء الفلسفات المعاصرة في الكتابات العمانيّة الحديثة (١٩٩٠ - ٢٠٢٥) | حسن اللّواتيّ | 150 ريال |
| مقدّم الفعالية | عليّ الرّياميّ | 100 |
| المبلغ الإجمال الأولي | | 550 ريال |

## خامسا: الأجوبة

### جواب حول العيد الوطنيّ وحضوره في نفوس الأجيال في الوقت الرّاهن

**الأستاذ العزيز: م.م المحترم،،،**

**تحيّة طيبة وبعد،،،**

**بالنّسبة لسؤالك كيف نمكن العيد الوطنيّ في نفوس الأجيال في الوقت الرّاهن، مع تصاعد الولاءات الخارجيّة؟**

**الجواب:** بلا شك، للإنسان جانبان: بشريّ حيوانيّ، ورقي إنسانيّ، ولا يتحقّق الثّاني إلّا بالأول، وهذا لا يربطه زمن، ولا يحدّه يوم، ومعناه إشباع الجانب الغرائزيّ في المواطن، وتحقيق مساواته في حقوقه الذّاتيّة في المجتمع، وعمان كغيرها من دول المنطقة فتية، وعليه أهمية وجود فرص عمل، وتحقيق الحماية الاجتماعيّة في ذلك، من أهم الأولويات في هذا، وبها يشعر المواطن بارتباطه بالوطن، وأنّ حكومته تهتم به، ولا تشتغل عنه بالخارج، ومعلوم أنّ عمان والحمد لله في نهضتها المتجدّدة عملت على هذا وهو واضح، ولكن لا زال الجانب الإعلاميّ عندنا في هذا خجول جدّا، ولا زال الجانب الإعلاميّ الرّسميّ يقتصر عند صورته التّقليديّة في إبراز ذلك، ونحن هنا بحاجة إلى تكثيف إعلاميّ، مع حضور ذلك في المنتديات والحوارات، وإشراك المجتمع في هذا الأمر، والاستفادة بشكل أكبر من الجهات الإعلاميّة غير الرّسميّة، ومن النّاشطين.

وأمّا الرّقي الإنسانيّ فيتحقّق في رقي المواطن ذاته، بحيث يكون مرتبطا ولائيّا بالدّولة القطريّة، والعيد الوطني فرصة للتّذكير بذلك، سواء على الجانب الاحتفالي، أم على الجوانب الإعلاميّة الأخرى، وهنا من خلال إبراز الجوانب الإيجابيّة الّتي تحقّقت في عمان منذ مسيرة النّهضة عموما، ومنّذ النّهضة المتجدّدة في عهد السّلطان هيثم بن طارق – يحفظه الله – خصوصا في الخمس السّنوات الماضية.

وهذا لا يعني عدم وجود قراءات عميقة تتجاوز القراءات الانطباعيّة، وكما أسلفت في مقالة لي سابقة في جريدة عمان بعنوان : "نحو إنشاء مؤسّسة بحثيّة في قراءة القضايا الحيّة"، فنحن بحاجة إلى قياس الجانب الولائيّ عند الجيل الجديد في ضوء المتغيرات في المنطقة، وصناعة أبطال ورموز خارجيّة لأسباب تعرفونها فيما يحدث في غزّة ولبنان، ثمّ الانفتاح الإعلاميّ ونحوها، وكلّ ما يقدّم حاليا هو عصف ذهنيّ، وانطباعات فرديّة، وليست قراءات بحثيّة عميقة مبنية على إحصاءات وأدلّة دقيقة وعميقة.

وأمّا الوسائل فهي عديدة، لكن اليوم الصّورة والمقاطع الصّغيرة أصبحت رائجة بشكل كبير، كما يمكن صناعة رؤية خارجيّة عن عمان، ودورها في الجانب الإحيائي في الخارج، وإبراز دور جلالته في ذلك، وخدمته للإنسان عموما، يقوم بها غير العمانيين، في ظلّ الهجمة السّلبيّة الّتي تعرضت لها عمان ولا زالت تتعرّض لها مؤخرا، بحيث لا نتوقف عند ردّات الفعل، وقد تكون سلبيّة أيضا، فلابدّ من تأسيس فعل، وبهذا تكون الاحتفاليّة بارزة في الإعلام الرّقميّ، وعلم عمان ساطع في هذه الأيام المجيدة، والأهم هنا إشراك الجيل الجديد في ذلك، مع تكريم من أحسن وأبدع في أيّ جانب كان، ولو تكريما رمزيا، على مستوى عمان، وعلى مستوى المحافظات والولايات، والله الموفق، وكلّ عام وعمان في أمن وأمان، وتقدّم واستقرار.

## جواب سؤال سهيل النّهديّ من جريدة عُمان حول: الخطاب الدّينيّ في رمضان وتعزيز مفهوم التّسامح والعمل الاجتماعيّ[84]

التّسامح والعمل الاجتماعيّ مفهومان مطلقان من حيث الزّمنيّة، ومن الخطأ حصرهما في شهر ما كرمضان، ولكن في الوقت ذاته رمضان فرصة للتّذكير بهما وبأهميّتهما، فهناك فارق بين التّذكير وبين ما انغرس في العقل الجمعيّ من تصوّر أنّه يسامح في رمضان، فإذا انقضى قطع وآذى، فهناك من ينظر إلى رمضان لذاته، وكأنّ رمضان هو الّذي يثيب ويمنع، ويعفو ويعاقب، بيد أنّ الأصل في المنظور إلى مَن كتب علينا الصّيام، أي الله جلّ جلاله، ولهذا ختم آيات الصّيام في سورة البقرة بقوله تعالى: {تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ} [البقرة: 187]، فأضاف الحدود إلى الله لا إلى رمضان، والإضافة تلزم التّخصيص.

وهنا يأتي أهميّة الخطاب الدّينيّ في تصحيح المفاهيم، وفي مراجعة العديد من القضايا الاجتماعيّة في رمضان من خلال مفاهيم القرآن الكبرى، خاصّة وأنّ العديد من النّاس لصيقة المسجد في رمضان، ولديهم من الفراغ ما يملأونه بالاستماع إلى الخطاب الدّينيّ، فلا ينبغي أن يقتصر هذا الخطاب على المواعظ المكرّرة، والكلام الّذي يُكرّر كلّ عام، وخصوصا أنّ مثل هذه المواعظ حاضرة اليوم بشكل طبيعيّ في وسائل التّواصل الاجتماعيّ، ولا يكاد تخفى على أحد.

فنحن بحاجة ابتداء أن يكون هناك رقيّ في الخطاب الدّينيّ ذاته، يتناسب والمرحلة الّتي نعيشها، ليس على مستوى الأدوات المستخدمة في الخطاب، أو طريقة الخطاب ذاته، فنحن بحاجة إلى تجديد ورقيّ الخطاب بحيث يتناسب والمرحلة الزّمنيّة الّتي نعيشها، ويكون منفتحا على جميع الأجواء الثّقافيّة والفكريّة والمعرفيّة المعاصرة، ولا يكون محصورا في اتّجاه وخطاب تقليديّ متكرّر، فكلّما اتّسعت أجواء الخطاب؛ ساهم ذلك في رقيّ الخطاب الدّينيّ ذاته.

[84] جريدة عمان.

فقضيّة التّعايش والتّسامح اليوم لم تعد منحصرة عند أدبيات وأخلاقيات سلوكيّة طبيعيّة في المجتمع، كقضايا حقوق الجوار وابن السّبيل، وإعادة تكرار لروايات وقصص حدثت في واقع ظرفيّ غير واقعنا، بل أصبحت قضيّة تطرح من زوايا متعدّدة، فهي قضيّة فلسفيّة في الابتداء، متعلّقة بقيم الذّات الإنسانيّة المطلقة، كالكرامة والمساواة والعدل، كما أصبحت قضيّة إجرائيّة متعلّقة بالمواطنة من حيث نظام الحكم الأساسيّ، ومصاديقه التّشريعيّة في القوانين، كما أصبحت حالة اجتماعيّة ونفسيّة متعلّقة بالاجتماع البشريّ، وفي الوقت ذاته لما يمرّ به العالم اليوم من حالات انغلاقيّة وتكفيريّة متطرّفة تؤثر في استقرار الدّول والاجتماع البشّريّ، فأصبحت مرتبطة بالجوانب السّياسيّة والأمنيّة، وعليه ينبغي على الخطاب الدّينيّ أن لا يكون منحصرا في زاوية ضيّقة في طرح الخطاب، بل ينبغي أن يتفاعل مع الاتّجاهات الأخرى، وهذا يرفع من قيمة الخطاب المسجديّ في رمضان، ويتفاعل إيجابا مع تطوّر المجتمعات البشريّة، والتّداخل المعرفيّ والثّقافيّ اليوم.

والحال ينطبق ذاته على العمل الاجتماعيّ، والّذي لم يعد منحصرا عند الصّورة التّقليديّة عند الصّدقات، وهي وإن كانت حالة لابدّ منها في البعد الأفقيّ المجتمعيّ، ولكن اليوم العمل الاجتماعيّ فلسفته واسعة بكثير، قائمة على الشّراك المجتمعيّ ليس فقط عند السّائل والمحروم، والفقر والمسكنة، فهناك شراك اجتماعيّ في إحياء الإنسان بما يتعلّق بجانبه التّعليميّ والثّقافيّ، وبما يتعلّق بالجانب الصّحيّ وجانب التّنمية، وحول مركزيّة العمل الاجتماعيّ بما يحدّ من سوء تصريفه، واستغلاله سلبا، والتّحايل في الحصول عليه بما يسمى التّسول المقنع.

لهذا ينبغي أن لا يكون الخطاب الدّينيّ كلاسيكيّا لا يتعدّى إعادة ما ذكر في ظرفيّات لها ما يناسبها من خطاب، وإن كانت قيمته باقيّة في مطلقيّة البر والإحسان والتّعاون المجتمعيّ، ولكن ينبغي أن تكون مصاديقه وفق زمننا، لهذا حضور الجانب الاقتصاديّ والقانونيّ وتوعية النّاس بهما أصبح ضرورة اليوم، كما ينبغي أن يكون استثمار أعمال البر بما يتناسب في تدوير المال تدويرا استثماريّا، عن طريق الوقف، أو المساهمة في خلق وظائف تساهم في استمراريّة

استقرار الأسر المحتاجة، وتتحول بذاتها إلى أسر منتجة، كذلك إحياء الإنسان اليوم بالمساهمة في تعليمه ورقيّه ثقافيّا وصحيّا أولى من إسراف الإنفاق في بناء المساجد وتزيينها، وهذا يحتاج إلى خلق وعي عن طريق الخطاب الدّينيّ، الّذي ينفتح على واقع العصر، ويتماشى معه.

## جواب سؤال سهيل النّهديّ من جريدة عُمان حول: أهميّة الزّكاة والعمل الاجتماعيّ في رمضان[85]

العيد في الإسلام له بُعدان: البعد الرّوحيّ التّعبديّ الملتصق بالخالق سبحانه وتعالى، فهو يأتي بعد شعيرة الصّيام، وأصل الصّيام مرتبط بالله تعالى، لهذا يفتتح عيد الفطر بالصّلاة، وفيها إشهار لتكبيرات العيد الدّالة على وحدانيّة الله تعالى، والبعد الثّانيّ البعد الاجتماعيّ، ومن أهم ما يجسّد البعد الاجتماعيّ المساواة، ولهذا سنّ الرّسول – عليه الصّلاة والسّلام - زكاة الفطر، وقلتُ في كتابي "أيام رمضان" أنّ "العيد موسم من مواسم الرّحمة، وفترة زمنيّة تتكامل فيها البهجة والمحبّة، فالعيد في الإسلام لا يعرف طبقة دون طبقة، ولا تتميز فيه فئة دون فئة؛ بل هو عيد الصّغار والكبار، والرّئيس والمرؤوس، والفقير والغنيّ، والذّكر والأنثى".

لهذا كانت زكاة الفطر لإغناء الفقير، بمعنى تحقّق الجانب الأدنى من حفظ كرامة وجهه، وليشعر أبناؤه وأهله أنّهم جزء من المجتمع، متساوون جميعا في أفراحهم وأتراحهم، كما يقول يقول أبو سعيد الكدميّ (ت: في القرن 4 ه): "إنّ فطرة شهر رمضان هي زكاة الأبدان، سنّها رسول الله – صلى الله عليه وسلم – على الأغنياء للفقراء؛ ليستغنوا بها في ذلك اليوم؛ لفضله وعظم حرمته، وجلال قدره".

وإذا كان الرّسول – صلّى الله عليه وسلّم – سنّها "صاعا من تمر، أو صاعا من زبيب أو بر أو شعير أومن أقِط" فبما يناسب تلك الظّرفيّة، وظرفيّة اليوم اختلفت، فأصبحت مظاهر العيد لصيق اللّباس وأطعمة أخرى كاللّحم، بل كان النّظر إلى تحقيق المقصد في فترة مبكرة، ففي منهج الطالبين: "وقيل كان ضمام (ت: 150ه) يكره إعطاء الدّراهم عن فطرة شهر رمضان، وكان الأعور – أيّ جابر بن زيد (ت: 93ه) – يعجبه ما قال ضمام، ثمّ بدا له من رأيه أن قال: إنّ الدّراهم خير من الطّعام"، وكما ذكرتُ في كتابي "أيام رمضان" أيضا: "وممّن أجازه من التّابعين سفيان الثّوريّ (ت: 16 ه)، والحسن البصريّ (ت: 110ه)، والخليفة عمر ابن عبد العزيز (ت:

[85] جريدة عُمان.

101 ه)، وقال الحسن البصريّ (ت: 110ه): لا بأس أن تُعطى الدّراهم في صدقة الفطر، وكتب الخليفة عمر بن عبد العزيز (ت: 101 ه) إلى عامله في البصرة: أن يأخذ من أهلِ الدّيون من أعطياتهم من كلِّ إنسان نصف درهم ، ويرى الإمام الصّادق (ت: 148ه) وهو من أئمّة القرن الثّاني الهجريّ أنّ إخراج زكاة الفطر أنفع وأفضل للفقير"، وعلى هذا أغلب الفقهاء اليوم.

لهذا تحقيق العمل الاجتماعيّ من خلال الصّدقات والزّكوات هو أعظم ما يتحقّق به البر كما أخبر القرآن ذاته: {لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا ۖ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ ۗ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ} [البقرة: 177]، وهنا قدّم الصّدقة والعمل الاجتماعيّ على الصّلاة ذاتها.

وكما هناك من البرّ في إخراج الصّدقة في رمضان وغيرها، لابدّ أن يكون من البرّ حسن توظيفها، بما يحقّق المنفعة، ومنها حسن توظيفها في تحقيق البهجة والإعانة في عيد الفطر، خصوصا ومجتمعاتنا اليوم تعاني من التّضخم، ومن غلاء الأسعار وغيرها، فحضور البعد الاجتماعيّ في تحقيق هذا ضرورة ملحة، ولكن لابدّ أيضا كما أسلفت من تنظيم، وأن توضع في مكانها الصّحيح قدر الإمكان، كما يجب الابتعاد عن المباهاة والسّرف في الأعياد، وعلاج العديد من العلاقات الاجتماعيّة الّتي تعوق جانب تحقّق البهجة في العيد، وتقوده إلى الاقتراض لغير حاجة ملحة، وإلى الهمّ والأرق كما يقول الشّاعر:

يا عيد، بأيّة حال عدت يا عيد  لما مضى أم لأمر فيك تجديد

## جواب حول مفردة أهل البيت عند الإباضيّة في الرّوايات الإباضيّة

شكرا لك الأستاذ الكريم محمّد مرة أخرى

قبل عام 1435هـ/ 2013م كتبتُ مقالة "الرّواية عند الإباضيّة وقاعدتي العرض على القرآن وعمل المسلمين: مدونة أبي غانم الخراسانيّ أنموذجا" نشرتها في مجلّة الحياة الجزائريّة، قد أتحفظ حاليا عن شيء من لغة ومادّة المقالة، ولكن تعطيك الصّورة العامّة لرؤية الإباضيّة الأولى حول الرّواية، راسلا لك الرّابط آخر التّغريدة.

وتوجد هناك إشكاليّة في العقلين الزّيديّ والإباضيّ، فالآخرون وهما الأخباريون من السّنّة والشّيعة يحاكمون المذهبين بمناهجهم، وكأنّه لا مناهج متقدّمة للمذهبين في الحديث، والثّانية من يريد من أتباع المدرستين أن يبحث عن توافقات ومقتطفات من التّراث ليوافق ويرضي المدرستين الأخباريتين الكبرى؛ ليجعل المذهبين لا منهجيّة حديثيّة أو روائيّة لهما نتيجة التّأثير الرّوائيّ السّنيّ والشّيعيّ، وهذا ممكن أن تقرأه في كتابي عبد الله العزّي من الزّيديّة، وصالح البوسعيديّ من الإباضيّة في كتابيهما حول الحديث عند الزّيديّة أو الإباضيّة، في حين هناك من قدّم مقاربات أكثر استقلاليّة في خصوصيّة المنهجين ما بين تأثير الجانب الأخباريّ السّنيّ والشّيعيّ ولكن لا يرفع خصوصيّة المدرستين.

وعلى هذا من خلال بحثك الأستاذ الكريم ممكن البحث عن مفردة أهل البيت عند الإباضيّة ذاتها، وكيف ينظر إليها الإباضيّة، وهل لها حضور أو أهميّة، بعيدا عن السّياقات التّأريخيّة.

كما أنّ للإباضيّة رؤيتهم الأولى في التّفريق بين السّياق التّأريخيّ والسّياق الفقهيّ، فالإمام عليّ حاضر لديهم كفقيه في مدوّناتهم، كما يحضر أيضا معاوية بن أبي سفيان ومن قبلهم أبو بكر وعمر وعثمان، وإن غلب عليهم حضور عائشة وابن عبّاس وابن عمر وأنس بن مالك من صغار الصّحابة وغيرهم، وحضور هؤلاء حتّى في مدوّنتهم الرّوائيّة الأولى، على أنّ سياق من بعدهم من ذريّة آل البيت وفق المفهوم الإماميّ مثلا كالباقر أو الصّادق قد لا تجد له تداخلا أو حضورا

كبيرا، لكن توجد اقتباسات متأخرة كما في كتب السّلوك كقناطر الخيرات، وربّما تجد في المدونات المقارنة كشرح كتاب النّيل، وهي اقتباسات من كتب السّنة كالإحياء مثلا للغزاليّ .

وهنا مسألة أخرى وهي مسألة العمل أو الأثر داخل المدرسة ذاتها، فقد اعتنى به الإباضيّة لدرجة أنّهم جعلوه أصلا مقدّما على الرّواية، وهذا الخطّ مبكر لديهم، واستمرّ عليه العمانيون خصوصا إلى فترة متأخرة، هذه الأجواء تجعلك أمام منهجيّة تختلف عن منهجيّة التّشيّع مثلا، ودوران الخبر حول أهل البيت وفق مفهومهم، فهذا غير موجود تماما عند الإباضيّة، مودتي لك.

# فهرس المحتويات


**مقدّمة الأجزاء** ..... 2

مقدّمة الجزء التّاسع والثّلاثين ..... 3

**أولا: المقالات** ..... 5

**أبو محمّد الجولانيّ وتطوّر مفهوم الدّولة في الحركات الجهاديّة** ..... 5

**أحداث سوريا وحقّ تقرير المصير** ..... 9

**التّعدّد الثّقافيّ في بناء مجتمع عمانيّ متسامح** ..... 13

**البابا فرنسيس ورسالة طوبى لصانعي السّلام** ..... 17

**الحدّاديّة بين الجاميّة والحركات الجهاديّة المتطرّفة** ..... 21

**الدّولة الوطنيّة في العالم العربيّ وما بعد فكرة الخلافة** ..... 26

**الدّولة والسّلفيّات الدّينيّة والمذهبيّة** ..... 30

**السّجون وذاتيّة الإنسان** ..... 33

**العيد الوطنيّ وتحدّيات المستقبل** ..... 36

**المطاعم في نهار رمضان وقضيّة تقنين فتحها لمن يباح له الفطر** ..... 39

**المكتبة البارونيّة في جربة وعلاقتها بعمان** ..... 42

**تهجير أهل غزّة نكبة القرن الجديد** ..... 46

**ثالوث تخلّف المجتمعات** ..... 49

**دماء غزّة ولبنان والاشتغال بالطّائفيّة** ..... 52

**ذهب ترامب جاء ترامب** ..... 55

سبيطلة والمراجعات المعرفيّة الإنسانيّة ..... 58
سياحة جامع السّلطان قابوس الأكبروخطوة في مجال التّصحيح ..... 62
عام ميلاديّ جديد وو اقع عربيّ مضطرب ..... 65
عُمان بعد خمس سنين من حكم السّلطان هيثم: من ثمارهم تعرفونهم ..... 68
عُمان وإحياء وكالة الجاموس في مصر ..... 75
عُمان والبحرين والثّقافة المشتركة ..... 79
عمان والجز ائروقدم علاقات التّأريخ ..... 83
عُمان ومصرومشترك الثّقافة ..... 86
غزّة وعيد الفطر الحزين ..... 90
فعاليّة العطرفي عمان وجدليّة العمل الثّقافيّ ..... 93
كن أذن خير ..... 97
لبنان عروس شاخت سريعا ..... 100
مسلسل معاوية بن أبي سفيان وتقديس الشّخوص والتّأريخ ..... 103
معرض مسقط للكتاب وضيف الشّرف ..... 107
نصح وإصلاح أم استهزاء وهدم ..... 110
نظام حماية الأجوروحقوق العمّال ..... 113
ولا تكونوا كالّتي نقضت غزلها من بعد قوّة أنكاثا ..... 116
ولاية شليم وجزر الحلّانيّات والسّياحة المفقودة ..... 120
ثانيا: البحوث وأوراق العمل ..... 123
تحديد سنّ زواج المرأة في سلطنة عُمان ..... 123
التّعريف بعمان: ..... 123
وضع المرأة في عُمان: ..... 124

معالجة قضايا زواج المرأة في عُمان: ..... 125
مراجعة قانون سنّ الزّواج في عمان: ..... 126
الزّواج وقانون الطّفولة: ..... 129
تحدّيات قانون سنّ الزّواج في عمان: ..... 131
أحاديث وزيارات في جزيرة جربة ..... 133
مخبر الشّيخ محفوظ دحمان للتّجليد والتّرميم ..... 134
زيارة جمعيّة التّنشيط الثّقافيّ والمكتبة الوسائطيّة ..... 138
المكتبة البارونيّة في جربة ..... 141
قراءة نقديّة للفكر السّياسيّ الإباضيّ ..... 144
الإباضيّة في جربة بين الو اقع والتّأريخ ..... 149
غار مجماج في جربة ومسجد بن بيان ..... 156
مسجد لوطى: المسجد الّذي بني تحت الأرض ..... 157
جامع أبي مسور ..... 158
مغادرة جربة ..... 160
عيد الفطر في هانوي ..... 162
رابعا: الأنشطة ..... 175
قبول إعادة طباعة كتاب الجمال الصّوتيّ ..... 175
تصوّر أسئلة فعاليّة الإنسان والآخر: نقد جذور التّطرّف النّادي الثّقافيّ العمانيّ مع الشّيخ حسن بن موسى الصّفار ..... 176
مباركة مؤسّسة بيت الزّبير في إصداراته الأخيرة ..... 180
رسالة إلى رئيسة مؤتمر منظمة بودا – باكستان لتأخر رسالة تسليم البحث حول زواج القصّر 183
رسالة إلى الجمعيّة العمانيّة للكتّاب والأدباء بإرفاق كتابي إيران والجمال الصّوتيّ ..... 184

رسالة إلى مدير المعهد العاليّ للدّراسات التّطبيقيّة في الإنسانيّات بسبيطلة بشأن الوصول إلى تونس ..... 185
ترجمة الدّكتور صالح بن أحمد الصّوافيّ ..... 186
الجلسة الحوارية" الفرص الاستثمارية بولاية شليم" ..... 188
تصويبات كتاب: الجمال الصّوتيّ تأريخه ورؤيته الفقهيّة..... 190
تقرير شؤون عمانيّة حول صدور كتاب "إيران التّعدّديّة والعرفان" ..... 195
تصوّر الجلسة الحواريّة" حكاياتٌ من الذّاكرة موروثات شعبيّة" بولاية شليم وجزر الحلّانيّات . 199
نصوص خلفيّة كتابي الجمال الصّوتيّ و إيران التّعدّديّة والعرفان ..... 201
مقترح تفعيل مكتبة النّادي الثّقافيّ ..... 203
كتاب "التّحول الثّقافيّ في عُمان المعاصرة" ..... 204
رسالة إلى مجلّة الحياة بشأن مذكرة رحلات إلى جزيرة جربة ..... 206
مقدّمة الطّبعة الثّانية لكتاب الجمال الصّوتيّ..... 207
ملحوظات تصحيح كتاب بيبي ميزون لفاطمة ناصر ..... 211
ملخص ورقة أنسنة التّعبير في و اقع الدّولة القطريّة من لاهوتيّة المدارس السّياسيّة الإسلاميّة الأولى إلى أنسنة الدّولة القطريّة المعاصرة..... 213
تصوّر ندوة حواريّة دوليّة حول: الآلات الأصوليّة والاستنباطيّة المنطقيّة بين الآلات التّقليديّة والنّظريات المعرفيّة المعاصرة ..... 219
تصوّر استكتاب كتاب الإله والدّين في عمان قبل الإسلام وامتداداته بعد الإسلام ..... 220
بعض المحاضرين المقترحين للمو افقات المبدئية في النّادي الثّقافيّ..... 222
تصوّر فعاليّة المعرفة والاجتهاد بين الآلات التّقليديّة والنّظريّات المعرفيّة المعاصرة بالنّادي الثّقافيّ ..... 224
تصوّر جلسة بمناسبة يوم الفلسفة العالميّ ..... 225
تصوّر فعاليّة لشهر رمضان مع فطور جماعيّ في النّادي الثّقافيّ ..... 227

تصوّر محاضرة المثقف والسّلطة وتحدّي المو اقف الأخلاقيّة ..... 228
تصوّر مقترحات ومراجعات للنّادي الثّقافيّ في الجانب الكتابي ..... 229
أولا: الاستكتاب في إصدار كتابين محكمين في العام. ..... 229
ثانيا: إصدار مجلّة محكّمة سنويّة تصدر مصاحبة للتّدشين السّنويّ، ولها هويّة معينة. ... 230
ثالثا: إصدارات النّادي ..... 232
رابعا: مراجعة توزيع ونشر كتب النّادي ..... 233
خامسا: إقامة مقهى بسيط بالنّادي يعود ريعه إلى النّادي أو من الباحثين عن عمل، بتوفير آلة قهوة بسيطة مع بعض الحلويات المعلبة وبعض المشروبات الباردة..... 234
تقرير محاضرة زهير تغلات بالنّادي الثّقافيّ ..... 235
جدول زيارة الدّكتور زهير تغلات الجربيّ التّونسيّ ..... 237
جدول زيارة الدّكتور حيدر حبّ الله (لبنان) والدّكتور مسعود سعيديّ (تونس) والأستاذ محمّد يحيى عزّان (اليمن) ..... 239
جديد مقترحات 2025 للنّادي الثّقافيّ..... 241
دعوة مشاركة في النّادي الثّقافيّ العمانيّ لفعاليّة "المعرفة الدّينيّة بين الآلات التّقليديّة والنّظريات المعرفيّة المعاصرة" ..... 245
دعوة مشاركة النّادي الثّقافيّ العمانيّ لفعاليّة "تجليات الفكر السّياسيّ في مؤلفات سالم بن ذكوان والبّراديّ والشّماخيّ" ..... 248
تصوّر ندوة تكميليّة لو اقع الدّرس الفلسفيّ في عمان ومستقبله ..... 249
خامسا: الأجوبة ..... 250
جواب حول العيد الوطنيّ وحضوره في نفوس الأجيال في الوقت الرّاهن ..... 250
جواب سؤال سهيل النّهديّ من جريدة عُمان حول: الخطاب الدّينيّ في رمضان وتعزيز مفهوم التّسامح والعمل الاجتماعيّ ..... 252
جواب سؤال سهيل النّهديّ من جريدة عُمان حول: أهميّة الزّكاة والعمل الاجتماعيّ في رمضان 255

**جواب حول مفردة أهل البيت عند الإباضيّة في الرّوايات الإباضيّة** ..... 257

فهرس المحتويات ..... 259